رسائل جامعية (٢٤)

العذاب النفسي

على الكافرين والمنافقين في الآخرة

تأليف

الدكتور عبد الله بن علي الحازمي الشريف

دار ابن القيم

دار ابن عفان

العذاب النفسي


العذاب النفسي
على الكافرين والمنافقين
في الآخرة

الطبعة الأولى

1436هـ - 2015م

رقم الإيداع	2014/17458
الترقيم الدولي	978 - 977 - 375 - 138 - 5

دار ابن عفان
للنشر والتوزيع

القاهرة: ١١ درب الأتراك خلف الجامع الأزهر

ت: ٢٥٠٦٦٤٢٠ - محمول: ٠١٠٠١٥٨٣٦٢٦

الإدارة: الجيزة برج الأطباء، أول شارع فيصل

تليفون ٣٥٦٩٣٦١٥ - تليفاكس: ٣٥٦٩٢٨٥٠

ص.ب ٨ بين السرايات

جمهورية مصر العربية

E-mail:ebnaffan@hotmail.com



دار ابن القيم للنشر والتوزيع

هاتف: ٤٣١٥٨٨٢ - فاكس: ٤٣١٨٨٩١

جوال: ٠٥٠٣٦٨٦٧٦٧

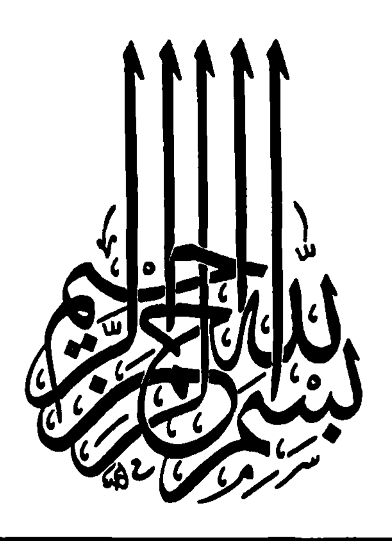
الرياض: ص.ب: ١٥٦٤٧١

الرمز البريدى: ١١٧٧٨

المملكة العربية السعودية

E-mail:ebnalqayyam@hotmail.com





أصل هذا الكتاب رسالة علمية تقدم بها المؤلف لنيل درجة العالمية الدكتوراه
من كلية الآداب قسم الدراسات الإسلامية تخصص عقيدة من جامعة صنعاء.
وقد أُجيزت الرسالة مع توصية لجنة المناقشة بطباعتها وتداولها بين الجامعات.

المقدمــة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

وبعــد:

إن الله خلق الجن والإنس لعبادته، وسخر لهم ما في هذا الكون، وأسبغ عليهم نعمه ظاهرة وباطنة، ورتب على ذلك الجزاء والحساب، فنال المطيع أجر طاعته، ونال العاصي جزاء معصيته، وتوعدهم بيوم تشيب فيه الولدان، وتكون فيه المحاكمة العادلة من الحكم العدل، والمجازاة بقدر ما أودع الإنسان في تلك الدار من الأعمال.

وكانت حكمة الله ﷻ أن جعل ذلك اليوم العظيم هو يوم الجزاء والحساب، ذلك اليوم الذي أقسم الله به في عدة آيات، وتنوع تصويره في القرآن والسنة، فهو اليوم الموعود الذي تشهده الخلائق، والذي لا يمكن الوقوف على حقيقته إلا عن طريق الوحي، فجاء القرآن بتجلية ذلك اليوم كأنك تراه رأي عين، فكان من أركان الإيمان الذي لا يصح إيمان العبد إلا بعد الإيمان به، وحقيقة ذلك اليوم تبدأ معاينتها من بعد الموت إلى مستقر العباد في الجنة أو في النار.

وهو اليوم الذي تجازى فيه البشرية بما اقترفته من خير أو شر، فكان جزاء النفوس المشمرة عن ساعد الطاعة جنان عرضها كعرض السماوات والأرض، وجزاء النفوس الخبيثة الأمارة بالسوء العذاب الأليم.

وقد نوع الله ﷻ العذاب في ذلك اليوم ولم يجعله مقصورًا على العذاب الجسدي بل جمع بينه وبين العذاب النفسي لكي يكون أشد تأليمًا وتحسيرًا على الكافرين والمنافقين والعياذ بالله.

ولما رأيت عدم وجود بحث يُفصل الكلام فيه عن العذاب النفسي على الكافرين والمنافقين في الآخرة، أحببت تجلية هذا الموضوع في بحث مستقل، فجاءت هذه الرسالة لتجلية ذلك وتوضحيه، سائلًا الله العون والسداد.

وسوف أبين منهجي في هذه الرسالة على النحو التالي:

أولًا: أهمية الموضوع وأسباب اختياره:

١- بيان منهج القرآن والسنة في الترغيب والترهيب لما جبلت عليه النفوس من الميل إلى الخير والنفور من الشر.

٢- بيان ما للكافرين والمنافقين من العذاب النفسي والحسرات في الآخرة.

٣- كثرة الآيات والأحاديث الدالة على العذاب النفسي للكافرين والمنافقين في الآخرة.

٤- بيان شدة العذاب النفسي على الكافرين والمنافقين في الآخرة.

٥- بيان أن الجمع بين العذاب النفسي والعذاب الحسي يكون أشد في العقوبة على الكافر والمنافق.

٦- إني لم أجد من تعرض لهذا الموضوع من قبل في بحث مستقل، والله أعلم.

ثانيًا: منهج البحث:

١- كان منهجي المتبع في هذا الموضوع المنهج الاستقرائي الوصفي.

٢- عزو الآيات القرآنية إلى سورها، وكتابتها بالرسم العثماني.

٣- تخريج الأحاديث النبوية من مصادرها وذكر أقوال أهل العلم في الحكم

عليها، ما لم يكن الحديث في الصحيحين أو أحدهما.

٤- شرح الكلمات الغريبة.

٥- ترجمة الأعلام الواردة في الرسالة من عدة مصادر.

٦- وضع الفهارس المتنوعة، وهي:

١- فهرس الآيات.

٢- فهرس الأحاديث والآثار.

٣- فهرس الأعلام.

٤- فهرس المصادر والمراجع

٥- فهرس الموضوعات.

ثالثًا: خطة البحث:

ينقسم البحث إلى: مقدمة، وتمهيد، وثلاثة أبواب، والخاتمة، والفهارس.

وتفصيل ذلك على النحو الآتي:

المقدمة: وتشتمل على أهمية الموضوع وأسباب اختياره، وخطة البحث.

التمهيد: ويشتمل على ما يأتي:

أولًا: معنى العذاب النفسي.

ثانيًا: ألفاظ مرادفة للعذاب النفسي.

الباب الأول: العذاب النفسي عند الموت وفي البرزخ، وفيه فصلان:

الفصل الأول: العذاب النفسي عند الموت، وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: العذاب النفسي عند سكرات الموت وتحسرهم على فوات العمل.

المبحث الثاني: العذاب النفسي عند نزول الملائكة لقبض أرواحهم، وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: العذاب النفسي في تبشيرهم بالنار.

المطلب الثاني: العذاب النفسي في منظر ملائكة العذاب عند حضورهم لقبض أرواحهم.

المطلب الثالث: العذاب النفسي عند تقريع نفوسهم وهم على النعش.

المبحث الثالث: العذاب النفسي في الحيلولة بينهم وبين ما يشتهون.

الفصل الثاني: العذاب النفسي في البرزخ، وفيه سبعة مباحث:

المبحث الأول: تعريف البرزخ.

المبحث الثاني: إثبات عذاب البرزخ.

المبحث الثالث: العذاب النفسي في إصفاد أبواب السماء أمام أرواحهم.

المبحث الرابع: العذاب النفسي في رؤية مقاعدهم من النار وتحسرهم بفوات مقعده من الجنة.

المبحث الخامس: العذاب النفسي في تَمَثُّل أعمالهم له في قبورهم.

المبحث السادس: العذاب النفسي في توبيخ الرسل لهم بعد الموت.

المبحث السابع: العذاب النفسي عند جدالهم، وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: العذاب النفسي عند جدال الضعفاء والمستكبرين.

المطلب الثاني: العذاب النفسي عند جدال المشركين وشركائهم.

المطلب الثالث: العذاب النفسي في لعن بعضهم بعضًا.

المطلب الرابع: العذاب النفسي في عدم شفاعة الشركاء لهم.

الباب الثالث: العذاب النفسي عند النار وداخلها، وفيه خمسة فصول:

الفصل الأول: العذاب النفسي عند النار، وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: العذاب النفسي عند سوقهم إلى النار.

المبحث الثاني: العذاب النفسي عند فتح أبواب جهنم أمامهم وقد كانت مغلقة.

المبحث الثالث: العذاب النفسي عند وقوفهم على النار.

الفصل الثاني: العذاب النفسي في بشاعة ملائكة النار وتقريعهم، وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: العذاب النفسي في رؤية خزنة النار.

المبحث الثاني: العذاب النفسي عند ذم الملائكة لهم بسبب شركهم وكفرهم.

المبحث الثالث: العذاب النفسي في تقريع وتهديد الملائكة لهم.

الفصل الثالث: العذاب النفسي في توبيخ أصحاب الأعراف وأهل الجنة لهم، وفيه مبحثان:

المطلب الثاني: تمنيهم الموت في النار.

المبحث الثالث: طلبهم تخفيف العذاب في النار.

المبحث الرابع: العذاب النفسي في طلبهم الخروج من النار.

المبحث الخامس: العذاب النفسي في محاولتهم الخروج من النار.

المبحث السادس: العذاب النفسي في رؤيتهم لنعيم أهل الجنة وطلبهم من ذلك النعيم.

المبحث السابع: العذاب النفسي في بكاء أهل النار.

المبحث الثامن: العذاب النفسي في الطعام والشراب في النار.

المبحث التاسع: العذاب النفسي في تقييدهم بالأغلال والسلاسل في النار.

المبحث العاشر: العذاب النفسي في لباسهم في النار.

المبحث الحادي عشر: العذاب النفسي في رؤيتهم لبعض ظواهر الدنيا في النار، وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: رؤيتهم السحاب في النار.

المطلب الثاني: إرسال الريح عليهم.

المطلب الثالث: رؤيتهم وتأذيهم ببعض الحشرات.

المطلب الرابع: العذاب النفسي في تسليط الجرب عليهم.

الخاتمة.

الفهارس.

وختامًا: أشكر كل من ساعدني، أو أعانني بفكرة، أو ملحوظة، أو رأي، أو كتاب؛ لإتمام هذه الرسالة وإخراجها.

وهذه الرسالة جهد المقل، وهو عمل بشري يتخلله الخطأ والنقص، والعيب، والكمال عزيز، وحسبي أني اجتهدت فيها قدر طاقتي، ولا أزعم أني وفيتها حقها، فما كان فيها من صواب فمن الله وحده، وما كان فيها من خطأ أو زلل فمن نفسي والشيطان، وحسبي الله نعم المولى ونعم النصير، عليه توكلت وهو رب العرش العظيم.

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

وكتبه

الفقير إلى رحمة ربه

الشريف عبدالله بن علي الحازمي الحسني

المملكة العربية السعودية - الطائف

٣٠/ ٧/ ١٤٣٣هـ

التمهيـد

وفيه:

أولًا: معنى العذاب النفسي.

ثانيًا: ألفاظ مرادفة للعذاب النفسي.



تمهيـــد

اقتضت حكمة الله ﷻ وعدله في الآخرة أن يحاسب المطيع على طاعته والمسيء على إساءته، وتوعد أعداءه في ذلك اليوم العظيم بالعذاب الأليم، ونوّع عليهم فيه أنواع العذاب، فجعل منه الجسدي ومنه النفسي، وقد يجمع بينهما عليهم، وحديثنا في هذا البحث عن الجانب الآخر من أنواع العذاب ألا وهو العذاب النفسي.

ويحسن بنا قبل الشروع في هذا البحث أن نتحدث عن العذاب النفسي وما يتعلق ببعض مرادفاته.

أولًا: معنى العذاب النفسي:

العذاب لغةً: وهو التعذيب وهو الضرب.

وقيل: هو من قولهم: ماء عذب إذا كان فيه قذى وكدر، فيكون عذبته كقولك: كدرت عيشه، وزلقت حياته وعذبة السوط واللسان والشجر: أطرافها[1].

وهو من قولهم: عذب الرجل إذا ترك المأكل والنوم، فإنه قال: القول في العذوب والعاذب أنه الذي لا يأكل ولا يشرب، فهو عاذب وعذوب، فالتعذيب في الأصل هو: حمل الإنسان أن يعذب، أي: يجوع ويسهر.

وقيل: أصله من العذب، فعذبته أي: أزلت عذب حياته على بناء مرضه وقذيته.

وقيل: أصل التعذيب إكثار الضرب بعذبة السوط، أي: طرفها.

---

(١) معجم مقاييس اللغة،لابن فارس، ص(٧٢٣).

فالعذاب إذًا: هو الإيجاع الشديد، وقد عذبه تعذيبًا: أكثر حبسه في العذاب[١].

تعريف النفس:

النفس لغة: الروح، يقال: خرجت نفسه، والنفس: الدم، والنفس: الجسد، يقولون: ثلاثة أنفس: فيذكرونه لأنهم يريدون به الإنسان[٢].

النفس اصطلاحًا: هو من الشيء النفيس؛ لنفاستها وشرفها، وإما من تنفس الشيء إذا خرج؛ فلكثرة خروجها ودخولها في البدن سميت نفسًا[٣].

ثانيًا: ألفاظ مرادفة للعذاب النفسي:

العذاب الروحاني:

الروحاني لغة: نسبة إلى الروح، والروح يذكر ويؤنث، والجمع الأرواح، ويسمى القرآن وعيسى وجبرائيل عليهما السلام رُوُحًا، والنسبة إلى الملائكة والجنّ رُوحاني، والجمع: روحانيون، والروح من الاستراحة، وكذا الراحة والروح أيضًا والريحان: الرحمة والرزق، والروح: فروُحُ الأجسام الذي يقبضه الله عند الممات[٤].

الروح اصطلاحًا: هو جسم مخالف بالماهية لهذا الجسم المحسوس، وهو جسم نوراني علوي خفيف حيّ متحرك ينفذ في جوهر الأعضاء ويسري فيها

---

(١) مفردات ألفاظ القرآن، للراغب الأصفهاني ص(٥٥٤-٥٥٥).

(٢) مختار الصحاح، للرازي ص(٣٨٠).

(٣) لوامع الأنوار، للسفاريني، (٢/ ٣٠).

(٤) مختار الصحاح، ص(١٥٩)، وتأويل مشكل القرآن، لابن قتيبة، ص(٤٨٥).

سريان الماء في الورد، وسريان الدهن في الزيتون، والنار في الفحم[(١)].

قال ابن حزم: «النفس والروح والنسمة أسماء مترادفة لمعنى واحد»[(٢)].

وقال أبو الحسن المنوفي المالكي[(٣)]: «والأرواح جمع روح وهي مرادفة للنفس على الصحيح»[(٤)].

٢- العذاب المعنوي:

المعنوي لغة: هو الذي لا يكون للسان فيه حظ، وإنما هو معنى يعرف بالقلب[(٥)].

المعنوي اصطلاحًا: هو تقريبًا نفس معنى الروحاني والنفسي، فقد عدّ ابن كثير التهديد والتقريع والتوبيخ نوعًا من العذاب المعنوي على النفوس، وكما هو

---

(١) الروح، ابن القيم، ص(٤٢٢)، لوامع الأنوار (٢/ ٢٩)، شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز، ص(٣٩٣).

(٢) الفصل في الملل والأهواء والنحل، لابن حزم (٣/ ٢٣١).

(٣) هو نور الدين أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن محمد بن خلف، المنوفي المصري، المعروف بالشاذلي، ولد في القاهرة في رمضان سنة سبع وخمسين وثمانمائة، العالم الجليل الصالح الفقيه المحدث النحوي اللغوي، تتلمذ عليه عدد من العلماء منهم الإمام السيوطي، صنف التصانيف النافعة منها (عمدة السالك على مذهب مالك) و(كفاية الطالب الرباني) و(شرح الترغيب للمنذري) وغيرها، توفي سنه تسع وثلاثين وتسعمائة.

شجرة النور الزكية، محمد مخلوف (١/ ٢٧٢)، الأعلام، للزركلي (٥/ ١١)، معجم المؤلفين، عمر رضا كحالة (٢/ ٥٢٤)، إيضاح المكنون، إسماعيل باشا (١/ ٤٤٥)، هدية العارفين، إسماعيل باشا (١/ ٦٦٣).

(٤) كفاية الطالب الرباني في رسالة أبي زيد القيرواني، لأبي الحسن المنوفي (١/ ٥٦).

(٥) التعريفات، للشريف الجرجاني، ص(١٤٥).

معلوم فإن التوبيخ والتقريع والتهديد نوع من أنواع العذاب النفسي [١] وكذلك جعله البرسوي [٢] في تفسيره «روح البيان» عذابًا معنويًا روحانيًا [٣].

٣- العذاب الوجداني:

الوجدان في اللغة: من الموجدة الغضب، يقال: وجد في نفسه إذا غضب.

ويقال أيضًا: وجد إذا حزن، ووجد ضد فقد، ووجد إذا استفاد مالًا، ويظهر الفرق بينهما بمصادرهما: ففي الغضب موجدة، وفي الحزن وَجدًا بالفتح، وفي ضد الفقد وجدانًا، وفي المال وُجدًا بالضم، وقد يقع الاشتراك في بعض هذه المصادر [٤].

الوجدان اصطلاحًا: هو ما يجده الحي في نفسه من الألم واللذة والجوع والعطش والقبض والبسط وغير ذلك من عوارض النفس [٥].

---

(١) انظر: تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، سورة العنكبوت، آية (٥٣) (٣/ ٣٦٨).

(٢) هو إسماعيل حقي بن مصطفى الإسلامبولي، الحنفي الخلوتي المولى أبو الفداء، متصوف مفسر تركي مستعرب، ولد في آيدوس وسكن القسطنطينية، وانتقل إلى بروسة، وكان من أتباع الطريقة الخلوتية، فنفي إلى تكفورطاغ وأوذي وعاد إلى بروسة فمات فيها، له مصنفات منها: (روح البيان في تفسير القرآن) و (الأربعون حديثًا) و (الفروقات)، توفي ببروسة سنة سبع وعشرين ومائة وألف، وقيل: سنة سبع وثلاثين ومائة وألف.

الأعلام: (١/ ٣١٣)، معجم المؤلفين: (١/ ٣٦٢)، إيضاح المكنون: (١/ ٤٦٩)، هدية العارفين: (١/ ١٩٨)، معجم المطبوعات: (١/ ٤٤١).

(٣) روح البيان، البرسوي، سورة غافر، آية (٤٦)، (٨/ ٢١٠-٢١١).

(٤) انظر: تهذيب اللغة، للأزهري (١١/ ١١٠)، لسان العرب، لابن منظور (٩/ ٢٢٢).

(٥) شرح مختصر الروضة، سليمان الطوفي، (١/ ١٧٢).

«فالاشمئزاز والرعب والوجيف شعور وجداني»[١].

ونخلص مما سبق أنه يمكن القول إن العذاب النفسي، أو الروحي، أو الوجداني هو: مجموعة من الأحاسيس والمشاعر التي يجدها المرء في نفسه فتؤثر فيه ألمًا، وتكون سببًا في شقائه وأحزانه.

ثالثًا: أنواع العذاب النفسي:

١-**عذاب الفضيحة**: قال أهل اللغة: يقال فضحه يفضحه فضحًا وافتضح الرجل إذا انكشفت مساويه[٢]، وقيل: افتضح الرجل يفتضح افتضاحًا: إذا ركب أمرًا سيئًا فاشتهر به[٣]، وقيل: فضحهُ: إذا أبان من أمره ما يلزمه به العار[٤].

فعذاب الفضيحة إذًا: أن تعلن مساوئ المرء أمام الأشهاد بعد أن كانت مجهولة.

٢-**عذاب التخجيل**: الخجل الاسترخاء من الحياء، ويكون من الذل، رجل خجل وبه خجلة أي حياء، والخجل: التحيُّر والدّهش من الاستحياء، وخجل الرجل خجلًا: فعل فعلًا فاستحى منه ودهش وتحير[٥]، وقيل الخجل: أن يلتبس الأمر على الرجل فلا يدري كيف المخرج منه. وقيل خجل: كفرح: استحياه ودهش وبقي ساكتًا لا يتكلم ولا يتحرك[٦].

---

(١) تفسير المنار، محمد رشيد رضا، (٩/ ٣٤٨).

(٢) مقاييس اللغة (١٠٤٤)، تهذيب اللغة (١١/ ١١٠).

(٣) تهذيب الأسماء واللغات، للنووي (٢/ ٣٥٧).

(٤) تهذيب اللغة (٤/ ١٢٧-١٢٨)، معجم الصحاح، للجوهري ص(٨١٤).

(٥) لسان العرب (٧/ ١١٦)، تاج العروس، للزبيدي (٧/ ١١).

(٦) لسان العرب (٣/ ٣٠)، العين للخليل بن أحمد، ص(٢٣٢)، القاموس المحيط، للفيروزآبادي، ص(١٠٦٦).

فعذاب التخجيل: هو أن يصيب المرء حياء ذلٍّ فيبقى ساكتًا لا يتكلم ولا يتحرك.

عذاب الذم: تقول العرب: ذم يذم ذمًّا وهو اللوم في الإساءة ومنه التذمم[١].

فعذاب الذم: أن يلام المرء على سوء فعله.

٤- **عذاب التوبيخ**: التوبيخ: هو التهديد والتأنيب واللوم، يقال: وبخت فلانًا بسوء فعله توبيخًا[٢]، وقيل: التوبيخ التقرير بالشيء وإنما التوبيخ التقريع بالذنب[٣].

فعذاب التوبيخ: أن يتم تقريعهم، وتوبيخهم مرة بعد أخرى، على ما اقترفوا من المساوئ.

٥- **عذاب التحسر**: التحسر: التلهف، والحسرة: أشد الندم حتى يبقى النادم كالحسير من الدواب الذي لا منفعة فيه[٤].

فعذاب التحسير: أن يصيبهم أشد الندم، فيظلوا حسيرين منكسرين ذليلين.

٦- **عذاب التمني**: والتمني هو: تشهي حصول ما توده[٥].

فعذاب التمني: أن يتم تعذيبهم بعدم حصولهم على ما تشتهي أنفسهم.

---

(١) تهذيب اللغة (١٤/ ٢٩٨).

(٢) لسان العرب (٩/ ٢٠٠).

(٣) جمهرة اللغة، لابن دريد (٣/ ٢٠١).

(٤) انظر: لسان العرب (٢/ ٤٤٠)، والتعريفات، ص(٦٢).

(٥) مفردات ألفاظ القرآن، ص(٨٦٠).

٧- **عذاب الحرمان**: والمحروم: الممنوع عن الخير[(١)].

فعذاب الحرمان: أن يتم تعذيبهم بحرمانهم من كل خير.

٨- **عذاب التلاوم**: والتلاوم مفاعلة من لامه لومًا إذا عَذَلَه وعنّفه[(٢)].

فعذاب التلاوم: أن يتم تعذيبهم بعذلهم وتعنيفهم وعدم الشفقة بهم.

٩-**عذاب الاستهزاء والضحك والسخرية بهم**: قال أهل اللغة: الاستهزاء: من الهُزْءُ: وهي السخرية، يقال هَزِيء به واستهزأ به ورجل هُزَأَةٌ: يَهزأ بالناس، ورجل هُزأه: يُهزأ به[(٣)].

وقال أهل اللغة: الضحك معروف ضَحِكَ يضْحَكُ ضَحِكًا، والضَّحِكُ: ظهور الثنايا من الفرح[(٤)].

فعذاب الضحك والاستهزاء بهم: هو أن يُسخر ويفرح من الكافرين والمنافقين على ما أصابهم يوم القيامة شماتة بهم.

وما أشد ما يؤلم الكريم سخرية عدوه منه وشماتته به.

رابعًا: معنى الكفر:

الكفر لغة: الكُفْرُ: ضد الإيمان، وكَفَرَ نعمة الله وبها كُفُورًا وكُفْرانًا: جحدها وسترها، وكَافَرَهُ حقه: جحده، وكافِرٌ: جاحدٌ لأنعم الله تعالى، وكَفَرَ عليه يكْفِرُ: غطاهُ، والشيء: ستره، وكل من ستر شيئًا فقد كَفَره وكَفَّره، وجمع

---

(١) القاموس المحيط، ص(١١٧٥).

(٢) لسان العرب (٨/ ١٦٠).

(٣) تهذيب اللغة (٦/ ١٩٦).

(٤) لسان العرب (٥/ ٤٦٧-٤٦٨).

الكافِر: كُفَّارٌ، وكَفَرَةٌ، وكِفَارٌ أيضًا، وجمع الكافِرة: الكوافر(١).

الكفر اصطلاحًا: هو عدم الإيمان بالله، ورسله، سواء أكان معه تكذيب، أو لم يكن معه تكذيب، بل شكٌ وريبٌ، أو إعراضٌ عن هذا كله حسدًا، أو كبرًا، أو اتباع لبعض الأهواء الصارفة عن اتباع الرسالة(٢).

وهذا هو الكفر الأكبر الذي يخرج صاحبه من الملة، وهو مرادنا ومقصودنا في هذا البحث، وهو ينقسم إلى خمسة أقسام:

القسم الأول: كفر التكذيب، قال تعالى: ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُ ۚ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَافِرِينَ ﴾ [العنكبوت: ٦٨].

القسم الثاني: كفر الإباء والاستكبار مع التصديق، قال تعالى: ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴾ [البقرة: ٣٤].

القسم الثالث: كفر الشك والظن، قال تعالى: ﴿ وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ قَالَ مَا أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَٰذِهِ أَبَدًا ﴿٣٥﴾ وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنقَلَبًا ﴿٣٦﴾ قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاكَ رَجُلًا ﴿٣٧﴾ لَّٰكِنَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَدًا ﴾ [الكهف: ٣٥-٣٨].

القسم الرابع: كفر الإعراض، قال تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا عَمَّا أُنذِرُوا

(١) انظر: معجم الصحاح، ص(٩١٦)، العين، ص(٨٤٨)، لسان العرب، (٧/ ٦٨٨-٦٩٠)، القاموس المحيط، ص(٥٠٣).

(٢) مجموع الفتاوى، ابن تيمية، (١٢/ ٣٣٥).

مُّعۡرِضُونَ ﴾[الأحقاف:٣].

القسم الخامس: كفر النفاق، قال تعالى:﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ ءَامَنُواْ ثُمَّ كَفَرُواْ فَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ فَهُمۡ لَا يَفۡقَهُونَ ﴾[المنافقين: ٣].

وهناك نوع آخر وهو الكفر الأصغر وهو الذي لا يخرج صاحبه من الملة وهو الذي ورد تسميته في الكتاب والسنة كفرًا مثل كفر النعم، قال تعالى: ﴿ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلٗا قَرۡيَةٗ كَانَتۡ ءَامِنَةٗ مُّطۡمَئِنَّةٗ يَأۡتِيهَا رِزۡقُهَا رَغَدٗا مِّن كُلِّ مَكَانٖ فَكَفَرَتۡ بِأَنۡعُمِ ٱللَّهِ ﴾ [النحل: ١١٢]، وقوله: ﷺ: «سِبَابُ الْمُسْلِمِ فُسُوقٌ وَقِتَالُهُ كُفْرٌ»[١] وغير ذلك. وهذا النوع ليس مقصودنا ولا مرادنا في هذا البحث.

خامسًا: معنى النفاق:

النفاق لغة: مأخوذ من النافقاء إحدى جحر اليربوع يكتمها ويظهر غيرها وهو موضع يرققه، فإذا أتى من قبل القاصعاء ضرب النافقاء برأسه فانتفق أي خرج، تقول: نفَّق اليربوع تنفيقًا ونافق: أي دخل في نافقائه، ومنه اشتقاق المنافق في الدين، والنِّفاق بالكسر: فعل المنافق، وقيل النِّفاقُ: الخِلاف والكفر، والفعل: نافق نفاقًا، وإنما سمي المنافق منافقًا؛ لأنه نافق كاليربوع وهو دخوله نافقاءه[٢].

النفاق اصطلاحًا: هو إظهار الإيمان وإبطان الكفر[٣].

---

(١) رواه البخاري، كتاب الإيمان، باب: خوف المؤمن أن يحبط عمله وهو لا يشعر، رقم (٤٨)، ص(١٤)، ورواه مسلم، كتاب الإيمان، باب: بيان قول النبي ﷺ «سباب المسلم فسوق وقتله كفر»، رقم (٦٤)، (١/ ٨٠).

(٢) انظر: معجم الصحاح، ص(١٠٦٠)، العين، ص(٩٧٨)، لسان العرب (٨/ ٥٧).

(٣) الفصل في الملل والأهواء والنحل (٢/ ٢٢٨).

وهذا النفاق يسمى النفاق الاعتقادي أو النفاق الأكبر، وهو الذي يخرج صاحبه من الملة ويجعله مرتدًّا مخلدًا في النار والعياذ بالله، فهؤلاء المنافقون أشر وأخطر من الكافرين، فقد شاركوا الكافرين في عدم الإيمان وزادوا عليهم في المكر والخداع وكيدهم بالإسلام والمسلمين، قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ ﴾[النساء: ١٤٥].

والنفاق الاعتقادي هو مرادنا في هذا البحث وله أنواع منها:

١- تكذيب الرسول ﷺ أو تكذيب بعض ما جاء به الرسول ﷺ.

٢- بغض الرسول ﷺ أو بغض بعض ما جاء به الرسول ﷺ.

٣- المسرة بانخفاض دين الرسول ﷺ.

٤- الكراهية لانتصار دين الرسول ﷺ[١].

وهناك نوع آخر للنفاق لا يخرج صاحبه من الملة ولكن يجعله متصفًا بصفات من صفات المنافقين، ألا وهو النفاق العملي أو النفاق الأصغر، ومن ذلك ما روي عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **«آيَةُ الْمُنَافِقِ ثَلاَثٌ: إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ، وَإِذَا ائْتُمِنَ خَانَ»**[٢].

وهذا النوع من النفاق أيضًا ليس مقصودنا في هذا البحث.

سادسًا: معنى الآخرة:

الآخرة لغة: الأُخرى والآخرةُ: دارُ البقاء، صفة غالبة، والآخِرُ: بعد

---

(١) انظر: مجموع الفتاوى (٢٨/ ٤٣٤)، مجموعة التوحيد (٩).

(٢) رواه مسلم، كتاب الإيمان، باب (بيان خصال المنافق)، رقم (٥٨)، (١/ ٧٨).

الأول[١].

الآخرة اصطلاحًا: هي كل ما يكون بعد الموت إلى دخول أهل الجنة الجنة وأهل النار النار[٢].

وقيل: إنما سميت آخرة؛ لأنها متأخرة عن الدنيا أو هي آخر ما يسكن[٣].

* * *

(١) انظر: معجم الصحاح، ص(٣٢)، لسان العرب (١/ ٩٥)، القاموس المحيط، ص(٣٦٣).

(٢) رُوى عن عثمان ﷺ أنه كان إذا وقف على قبر بكى حتى يبل لحيته، فقيل له: تذكر الجنة والنار فلا تبكي، وتبكي من هذا؟! فقال: إن رسول الله ﷺ قال: «إِنَّ القَبْرَ أَوَّلُ مَنْزِلٍ مِنْ مَنَازِلِ الآخِرَةِ، فَإِنْ نَجَا مِنْهُ فَمَا بَعْدَهُ أَيْسَرُ مِنْهُ، وَإِنْ لَمْ يَنْجُ مِنْهُ فَمَا بَعْدَهُ أَشَدُّ مِنْهُ...» الحديث، رواه الترمذي في سننه، كتاب الزهد، باب (ما جاء في ذكر الموت)، رقم (٢٣٠٨)، (٤/ ٤٧٩-٤٨٠)، وقال عنه: هذا حديث حسن غريب، لا نعرفه إلا من حديث هشام ابن يوسف، قال الألباني في (صحيح وضعيف الترمذي): حسن، ص(٥٢٢)، ورواه ابن ماجه في سننه، كتاب الزهد، باب (ذكر القبر والبلى)، رقم (٤٢٦٧)، (٢/ ١٤٢٦)، قال الألباني في (صحيح وضعيف سنن ابن ماجه): حسن، ص(٧٠٦)، ورواه الحاكم في مستدركه، كتاب الرقائق، رقم (٧٩٤٢)، (٤/ ٣٦٦-٣٦٧)، وقال عنه: حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي فقال في التلخيص: صحيح، وحسنه الألباني أيضًا في صحيح الجامع الصغير، رقم (٥٦٢٣)، (٢/ ٩٨٣).

(٣) البحر المحيط، لأبي حيان (١/ ٤٧٧).

الباب الأول
العذاب النفسي عند الموت وفي البرزخ

الفصل الأول
العذاب النفسي عند الموت

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: العذاب النفسي عند سكرات الموت وتحسرهم على فوات العمل.

المبحث الثاني: العذاب النفسي عند نزول الملائكة لقبض أرواحهم.

المبحث الثالث: العذاب النفسي في الحيلولة بينهم وبين ما يشتهون.

المبحث الأول

العذاب النفسي عند سكرات الموت وتحسرهم على فوات العمل

الموت هو أعظم حقيقة تواجه البشرية، فيها نهاية الحياة الأرضية، والذي لا حيلة للبشرية في ردها، قال تعالى: ﴿ فَلَوْلَآ إِن كُنتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ ۝٨٦ تَرْجِعُونَهَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾[الواقعة: ٨٦-٨٧] فلو كان الأمر كما تقولون: أنه لا بعث ولا جزاء ولا حساب؛ فأرجعوا أرواحكم من ذهابها إلى ربها وخالقها إن كنتم صادقين.

وهنا تتعالى حسرات الكافرين والمنافقين على فوات العمل، ويتمنون الرجوع إلى الدنيا؛ ليعملوا صالحًا.

قال الباري ﷻ: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ٱرْجِعُونِ ۝٩٩ لَعَلِّىٓ أَعْمَلُ صَٰلِحًا فِيمَا تَرَكْتُ ﴾[المؤمنون: ٩٩-١٠٠] فيأتيه التوبيخ والزجر من الله ﷻ: ﴿ كَلَّآ ۚ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَا ﴾[المؤمنون: ٩٩-١٠٠] كلمة حقيرة لا قيمة لها، ولا وزن لها عند الله قائلها لا تنفعه ولا تعيده إلى الدنيا وقد أغلقت الأبواب وأقفل باب التوبة أمامه، ثم يزيد عذابه النفسي عند سماع: ﴿ وَمِن وَرَآئِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴾[المؤمنون: ٩٩-١٠٠].

قال الطبري في تفسيره لهذه الآية: «يقول تعالى ذكره حتى إذا جاء أحد هؤلاء المشركين الموت وعاين نزول أمر الله به، قال لعظيم ما يعاين مما يقدم عليه من عذاب الله تندمًا على ما فات وتلهفًا على ما فرط فيه قبل ذلك من طاعة الله ومسألته للإقالة رب ارجعون إلى الدنيا فردوني إليها؛ لعلي أعمل صالحًا يقول كي أعمل صالحًا فيما تركت قبل اليوم من العمل فضيعته وفرطت فيه»[1].

وقال ابن كثير: «يخبر تعالى عن حال المحتضر عند الموت من الكافرين أو

---

(١) تفسير الطبري: ١٨/ ٦٦.

المفرطين في أمر الله تعالى وقيلهم عند ذلك وسؤالهم الرجعة إلى الدنيا ليصلح ما كان أفسده في مدة حياته» إلى أن يقول: «وقوله ههنا﴿ كَلَّآ ۚ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَا ﴾[المؤمنون: ٩٩-١٠٠] كلا حرف ردع وزجر، أي: لا نجيبه إلى ما طلب ولا نقبل منه.

وقوله تعالى:﴿ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَا ﴾[المؤمنون: ٩٩-١٠٠] قال عبدالرحمن ابن زيد بن أسلم[١]: أي لابد أن يقولها لا محالة كل محتضر ظالم، ويحتمل أن يكون ذلك علة لقوله كلا؛ أي لأنها كلمة، أي سؤاله الرجوع ليعمل صالحًا هو كلام منه وقول لا عمل معه، ولو ردّ لما عمل صالحًا، ولكان يكذب في مقالته هذه، كما قال تعالى:﴿ وَلَوْ رُدُّوا۟ لَعَادُوا۟ لِمَا نُهُوا۟ عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴾[الأنعام: ٢٨].

قال قتادة[٢]: «والله ما تمنى أن يرجع إلى أهل ولا إلى عشيرة ولا بأن يجمع

---

(١) عبدالرحمن بن زيد بن أسلم العمري، مولاهم المدني أخو عبدالله، وأسامة، قال أبو يعلى الموصلي: سمعت يحيى بن معين يقول: «بنو زيد بن أسلم ليسوا بشيء، قال أبو أحمد بن عدي: له أحاديث حسان، وهو ممن احتمله الناس وصدقه بعضهم وهو ممن يكتب حديثه، وقال أحمد: «عبدالله ثقة، والآخران ضعيفان»، قال الذهبي: له تفسير. مات سنة ثنتين وثمانين ومائة.

ميزان الاعتدال، للذهبي، ٤/ ٢٨٢؛ تهذيب الكمال، للمزي، ٤/ ٤٠٤؛ تهذيب التهذيب، لابن حجر، ٢/ ٥٠٧؛ تقريب التهذيب، لابن حجر، ص: ٢٨٢؛ الكاشف، للذهبي، ٢/ ١٤٦.

(٢) هو أبو الخطاب قتادة بن دعامة بن قتادة السدوسي الضرير الأكمه، حافظ العصر، وقدوة المفسرين المحدثين، قال الذهبي عنه: «كان من أوعية العلم، وممن يضرب به المثل في قوة الحفظ، وهو حجة بالإجماع إذا بين السماع فإنه مدلس معروف بذلك، وكان يرى القدر نسأل الله العفو، ومع هذا فما توقف أحد في صدقه وعدالته وحفظه». توفي سنة ثماني عشرة ومائة.

سير أعلام النبلاء، الذهبي، ٥/ ٢٦٩؛ تهذيب الكمال، ٦/ ٩٩؛ تهذيب التهذيب، ٣/ ٢٨؛ الجرح والتعديل، ابن أبي حاتم، ٧/ ١٣٣؛ الكاشف، ٢/ ٣٤١.

الدنيا ويقضي الشهوات؛ ولكن تمنى أن يرجع فيعمل بطاعة الله ﷻ، فرحم الله امرأ عمل فيما يتمناه الكافر إذا رأى العذاب في النار».

وقال محمد بن كعب القرظي [١]: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ٱرْجِعُونِ ۝٩٩ لَعَلِّىٓ أَعْمَلُ صَـٰلِحًا فِيمَا تَرَكْتُ ﴾ قال: فيقول الجبار ﴿ كَلَّآ ۚ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَا ﴾[المؤمنون: ٩٩-١٠٠].

وقال عمر بن عبدالله مولى غفرة [٢]: «إذا قال الكافر رب ارجعون لعلي أعمل صالحًا، يقول الله تعالى: كلا كذبت» [٣].

---

(١) هو محمد بن كعب بن سليم: وقال ابن سعد محمد بن كعب بن حيان بن سليم، الإمام العلامة الصادق أبو حمزة، وقيل: أبو عبدالله القرظي المدني، من حلفاء الأوس، وكان أبوه من سبي بني قريظة، وكان من أوعية العلم، قال ابن سعد: كان ثقة عالمًا كثير الحديث ورعًا، وقال ابن المديني وأبو زرعة: ثقة، وقال العجلي: مدني تابعي رجل صالح عالم بالقرآن، وقال الذهبي: كان من أئمة التفسير، مات بالمدينة سنة ثمان عشرة ومائة، وقيل: سنة سبع عشرة ومائة.

الثقات، ابن حبان، ٥/ ٣٥١؛ تهذيب الأسماء واللغات، ١/ ١٦٠؛ سير أعلام النبلاء: ٥/ ٦٥؛ غاية النهاية في طبقات القراء، ابن الجزري٢/ ٢٠٥؛ مشاهير علماء الأمصار، ابن حبان، ص:٨٥.

(٢) هو عمر بن عبدالله المدني، مولى غفرة، قال أبو حاتم: لم يلق أنس بن مالك، وحديثه عن ابن عباس مرسل، وقال ابن معين: لم يسمع من صحابي، وقال عيسى بن يونس: أدرك ابن عباس وهو مدني، وقال أحمد بن حنبل: ليس به بأس ولكن أكثر حديثه مراسيل، وقال يحيى ابن معين: ضعيف، وقال أبو حاتم: يكتب حديثه، وقال النسائي: ضعيف، وقال ابن حبان: يقلب الأخبار لا يحتج به.

جامع التحصيل، العلائي، ص: ٢٤٢؛ التاريخ الكبير، البخاري، ٦/ ١٦٩؛ الضعفاء والمتروكين، النسائي، ص: ١٧٨؛ الجرح والتعديل: ٦/ ١١٩؛ تهذيب التهذيب، ٣/ ٢٣٨.

(٣) تفسير ابن كثير: ٣/ ٢٢٧.

قال السعدي [١]: «يخبر تعالى عن حال من حضره الموت من المفرطين الظالمين، أنه يندم في تلك الحال، إذا رأى مآله، وشاهد قبح أعماله، فيطلب الرجعة إلى الدنيا، لا للمتعة بلذاتها، واقتطاف شهواتها وإنما ذلك يقول: ﴿ لَعَلِّيٓ أَعۡمَلُ صَٰلِحٗا فِيمَا تَرَكۡتُ ﴾ من العمل وفرطت في جنب الله كَلَّآۚ أي: لا رجعة له ولا إمهال قد قضى الله أنهم إليها لا يرجعون» [٢].

وقال الشنقيطي [٣] في أضواء البيان: «وما تضمنته هذه الآية الكريمة من أن الكافر والمفرط في عمل الخير إذا حضر أحدهما الموت طلبا الرجعة إلى الحياة؛ ليعملا العمل الصالح الذي يدخلهما الجنة، ويتداركا به ما سلف منهما من الكفر والتفريط وأنهما لا يجابان لذلك، كما دل عليه حرف الزجر والردع الذي هو كلا» [٤].

وقد قال أهل العلم من السلف: لا يسأل الرجعة عبد له عند الله ذرة من

---

(١) هو العلامة الفقيه الأصولي المحدث عبدالرحمن بن ناصر بن حمد آل سعدي من بني تميم، كان يحفظ كثيرًا من المتون العلمية، وكان يميل في فتاويه ومؤلفاته وتدريسه إلى اختيارات ابن تيمية وابن القيم، من مؤلفاته: (تيسير الكريم المنان) و(بهجة قلوب الأبرار) و(منهاج السالكين)، مات سنة ست وسبعين وثلاثمائة وألف للهجرة.

روضة الناظرين، محمد بن عثمان بن صالح، ١/ ٢٢٠، علماء نجد، عبدالله آل بسام، ٣/ ٢١٨.

(٢) تيسير الكريم الرحمن في تفسيركلام المنان،عبدالرحمن السعدي، ص ٥٠٨.

(٣) هو العلامة محمد الأمين بن محمد المختار الجكني الشنقيطي، يرجع نسبه إلى حمير ولد في (شنقيط) من موريتانيا، قال الدكتور محمد الخضر: (وأخبار نجابته شائعة وذائعة في القطر الموريتاني) له مصنفات منها (رجز في فروع مذهب مالك) و(نظم في الفرائض) و(أضواء البيان)، توفي في اليوم السابع عشر من ذي الحجة سنة ثلاث وتسعين وثلاثمائة وألف.

ترجمة الشيخ محمد الأمين الشنقيطي، عبدالرحمن السديس، ص (٩، ١٧٨).

(٤) أضواء البيان، الشنقيطي، ٥/ ٨١٩-٨٢٠.

خير؛ لأنه إذا كان له خير عند الله فهو يحب القدوم عليه، واتفقوا أن سؤال الرجعة يكون للكافر لا للمؤمن[١].

* * *

(١) تفسير السمعاني: ٣/ ٤٩٠.

المبحث الثاني

العذاب النفسي عند نزول الملائكة لقبض أرواحهم

حديثنا في هذا المبحث عن العذاب النفسي عند نزول الملائكة لقبض أرواحهم، وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: العذاب النفسي في تبشيرهم بالعذاب:

أخبر الله ﷻ عن عذاب الكافرين والمنافقين النفسي عند نزول الملائكة لقبض أرواحهم وتبشيرهم بالنار، والهون والخزي الذي ينتظرهم.

كما جاء تصوير ذلك في سورة الأنعام بصورة مرعبة مفزعة.

قال تعالى: ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ وَمَن قَالَ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَا أَنزَلَ اللَّهُ ۗ وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُو أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنفُسَكُمُ ۖ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ ﴾[الأنعام: ٩٣].

وقد بيّن النبي ﷺ وقائع مشهد الاحتضار عند الكافر والمنافق وتبشيرهم بسخط وغضب الله عليهم زيادة في تأليمهم النفسي وما ينتظرهم من العذاب الأليم؛ فقد جاء في حديث البراء بن عازب [1] الطويل الذي جاء في قوله ﷺ:

(١) هو البراء بن عازب بن الحارث بن عدي الأوسي، يكنى أبا عمارة، ويقال أبو عمرو، له ولأبيه صحبه، استصغر يوم بدر، وأول مشاهده أحد، وقيل: الخندق،. ورُوي عنه أنه غزا مع رسول الله ﷺ أربع عشرة غزوة، وفي رواية خمس عشرة، وعنه قال: سافرت مع رسول الله ﷺ ثمانية عشر سفرًا، نزل الكوفة وابتنى بها دارًا، ومات في إمارة مصعب بن الزبير سنة اثنتين وسبعين. ....=

«ثُمَّ يَجِيءُ مَلَكُ الْمَوْتِ، حَتَّى يَجْلِسَ عِنْدَ رَأْسِه، فَيَقُولُ: أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْخَبِيثَةُ، اخْرُجِي إِلَى سَخَطٍ مِنَ اللهِ وَغَضَبٍ»[(١)]، وروى ابن ماجه عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «وَإِذَا كَانَ الرَّجُلُ السُّوءُ، قَالَ: اخْرُجِي أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْخَبِيثَةُ، كَانَتْ فِي الْجَسَدِ الْخَبِيثِ، اخْرُجِي ذَمِيمَةً، وَأَبْشِرِي بِحَمِيمٍ، وَغَسَّاقٍ، وَآخَرَ مِنْ شَكْلِهِ أَزْوَاجٌ، فَلَا يَزَالُ يُقَالُ لَهَا ذَلِكَ حَتَّى تَخْرُجَ»[(٢)]، وفي لفظ عند البزار[(٣)]

= أسد الغابة، ابن الأثير، ١/ ١٩٩؛ معرفة الصحابة، لأبي نعيم، ١/ ٣٤٢؛ الإصابة، ابن حجر، ١/ ٤١١؛ الاستيعاب، ابن عبدالبر، ١/ ٩٨؛ الطبقات الكبرى، ابن سعد، ٦/ ٣٧٣.

(١) رواه أحمد في مسنده، رقم (١٨٥٣٤)، ٣٠/ ٤٩٩-٥٠٥. قال الأرنؤوط: إسناده صحيح، رجاله رجال الصحيح؛ ورواه البيهقي في عذاب القبر، رقم (٢٨)، ص: ٣٥-٣٨. وقال: (هذا حديث كبير، صحيح الإسناد، رواه الجماعة من الأئمة الثقات عن الأعمش)؛ ورواه الحاكم في مستدركه، رقم (١٠٧)، ١/ ٩٣-٩٤؛ ورواه عبدالله بن الإمام أحمد في السنة، رقم (١٤٣٨)، ٢/ ٦٠٣-٦٠٤؛ وصححه ابن القيم في (الروح)، ص: ١٤٢. وقال: ذهب إلى القول بموجب هذا الحديث جميع أهل السنة والحديث من سائر الطوائف؛ وصححه أيضًا الألباني في (أحكام الجنائز)، ص: ٢٠٢.

(٢) رواه أحمد في مسنده، رقم (٨٧٦٩)، ١٤/ ٣٧٧-٣٧٨. قال الأرنؤوط: إسناده صحيح على شرط الشيخين؛ ورواه النسائي في السنن الكبرى، كتاب التفسير، قوله: (وآخر من شكله أزواج)، رقم (١١٤٤٢)، ٦/ ٤٤٣، ٤٤٤، ورواه ابن ماجه في سننه، كتاب الزهد، باب ذكر الموت والاستعداد له، رقم (٤٣٥٤، ٢/ ١٤٢٣-١٤٢٤، قال الألباني في صحيح وضعيف ابن ماجه، ص: ٧٠٦: صحيح، ورواه البزار في مسنده البحر الزخار، رقم (٨٢١٩)، ١٥/ ٢٩-٣٠، ورواه ابن منده في كتاب الإيمان، ص: ٤٠٢؛ ورواه ابن عبدالبر في الاستذكار، ٢/ ٦١٢.

(٣) الحافظ الكبير أبو بكر البزار، أحمد بن عمرو بن عبدالخالق البصري، صاحب المسند الكبير، صدوق مشهور، قال الحاكم: سألت الدارقطني عنه فقال: يخطئ في الإسناد والمتن، حدث بالمسند بمصر حفظًا، ينظر في كتب الناس ويحدث من حفظه، ولم يكن معه كتب، فأخطأ في أحاديث كثيرة، قال ابن يونس: حافظ للحديث،حدث في آخر عمره بأصبهان والعراق والشام.. توفي بالرملة سنة أربع وتسعين ومائتين وقيل غير ذلك. ....=

في مسنده من حديث أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «وَإِنَّ الْكَافِرَ إِذَا حُضِرَ، أَتَت الْمَلائِكَةُ بِمِسْح[1] فِيهَا جَمْرَةٌ، فَتُنْزَعُ رُوحُهُ انْتِزَاعًا شَدِيدًا، وَيُقَالُ: أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْخَبِيثَةُ، اخْرُجِي سَاخِطَةً مَسْخُوطًا عَلَيْكِ إِلَى هَوَانٍ وَعَذَابٍ»[2].

قال ابن كثير عند تفسيره لهذه الآية: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِى غَمَرَٰتِ ٱلْمَوْتِ﴾ أي: في سكراته وغمراته وكرباته﴿وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓا۟ أَيْدِيهِمْ﴾ أي: بالضرب كقوله تعالى: ﴿لَئِنۢ بَسَطتَ إِلَىَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِى﴾[المائدة: ٢٨] الآية، وقوله: ﴿يَفْعَلْهُ مِنكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتَهُم بِٱلسُّوٓءِ﴾[الممتحنة: ٢] الآية، وقال الضحاك[3]، وأبو صالح[4]: باسطوا أيديهم أي: بالعذاب كقوله ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ يَتَوَفَّى ٱلَّذِينَ

= لسان الميزان، ابن حجر، ١/ ٢٥٧، ميزان الاعتدال، ١/ ٢٦٧، شذرات الذهب، ابن العماد الحنبلي، ٢/ ٢٠٩، تاريخ بغداد، للخطيب البغدادي، ٥/ ٩٤، المنتظم لابن الجوزي،١٣/ ٣٤.

(١) قال النووي: هو ثوب من الشَّعْر غليظ معروف، ويقال له: البَلاَسُ، قال ابن الجواليقي: جمعه: بُلُسٌ، وجمع المِسْح: مُسُوحٌ.
تهذيب الأسماء واللغات، ٢/ ٤٤٠.

(٢) رواه البزار في البحر الزخار، رقم (٩٥٤١)، ١٧/ ٢٩.

(٣) هو الضحاك بن مزاحم الهلالي، أبو القاسم، أو أبو محمد الخراساني، كان من أوعية العلم، قال عبدالله بن أحمد عن أبيه: ثقة مأمون، وقال ابن عدي: عُرف بالتفسير، قال سفيان الثوري: كان الضحاك يعلم ولا يأخذ أجرًا، مات سنة خمس ومائة.
الثقات: ٦/ ٤٨٠، تهذيب التهذيب: ٢/ ٢٢٦؛ تاريخ البخاري الصغير: ١/ ٢٧٩؛ الكاشف: ٢/ ٣٣، سير أعلام النبلاء:٤/ ٩٥.

(٤) هو ذكوان أبو صالح السمان الزيات التيمي، كان يجلب السمن والزيت إلى الكوفة، مولى جويرية بنت الحارث الغطفاني، قال عبدالله بن أحمد: قلت لأبي أبو صالح ذكوان فوق عبدالرحمن بن يعقوب والد العلاء، فقال: أبو صالح من أجلة الناس وأوثقهم، ومن أصحاب أبي هريرة، وقد شهد الدار زمن عثمان، وهو ثقة ثقة، وقال سئل أبو زرعة عنه فقال: مدني ثقة مستقيم الحديث.. مات سنة إحدى ومائة. ....=

كَفَرُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَٰرَهُمْ ﴾[الأنفال: ٥٠]، ولهذا قال ﴿ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓا۟ أَيْدِيهِمْ ﴾ أي: بالضرب لهم، حتى تخرج أنفسهم من أجسادهم، ولهذا يقولون لهم ﴿ أَخْرِجُوٓا۟ أَنفُسَكُمُ ﴾وذلك أن الكافر إذا احتضر، بشَّرته الملائكة بالعذاب والنكال، والأغلال والسلاسل، والجحيم والحميم، وغضب الرحمن الرحيم، فتتفرق روحه في جسده وتعصي وتأبى الخروج فتضربهم الملائكة حتى تخرج أرواحهم من أجسادهم قائلين لهم: ﴿ أَخْرِجُوٓا۟ أَنفُسَكُمُ ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ ﴾الآية، أي: اليوم تهانون غاية الإهانة كما كنتم تكذبون على الله وتستكبرون عن اتباع آياته والانقياد لرسله[1].

قال الشوكاني[2] عند تفسيره لهذه الآية قوله: ﴿ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِى غَمَرَٰتِ ٱلْمَوْتِ ﴾ الخطاب لرسول الله ﷺ أو لكل من يصلح له، والمراد كل ظالم، ويدخل فيه الجاحدون لما أنزل الله والمدعون للنبوات افتراء على الله دخولاً أوليًا.

= الجرح والتعديل: ٣/ ٤٥٠؛ تهذيب الكمال: ٢/ ٤٤٠؛ تهذيب التهذيب: ١/ ٥٧٩؛ تقريب التهذيب، ص: ١٤٣؛ الأنساب، السمعاني، ٦/ ٣٣٢.

(١) تفسير ابن كثير: ٢/ ١٤٠.

(٢) هو العلامة محمد بن علي بن محمد الشوكاني، فقيه مجتهد من كبار علماء اليمن، ولد بهجرة شوكان ونشأ بصنعاء وولي قضاءها سنة ١٢٢٩هـ، ومات وهو حاكمًا بها، وكان يرى تحريم التقليد، له مصنفات كثيرة منها (نيل الأوطار من أسرار منتقى الأخبار) و(البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع) و(السيل الجرار المتدفق على حدائق الأزهار)، مات سنة خمسين ومائتين وألف.

نيل الوطر، محمد زبارة، ٢/ ٣٤٤؛ أبجد العلوم، صديق حسن القنوجي، ص: ٦٨٣؛ هدية العارفين، إسماعيل باشا البغدادي، ٧/ ٣٢٣؛ الأعلام، الزركلي، ٦/ ٢٩٨؛ الروض الأغن، عبدالملك حميد الدين، ٣/ ٨٧.

وجواب «لو» محذوف أي: لرأيت أمرًا عظيمًا، و«الغمرات» جمع غمرة وهي الشدة، وأصلها الشيء الذي يغمر الأشياء فيغطيها، ومنه غمرة الماء، ثم استعملت في الشدائد، ومنه غمرة الحرب.

قال الجوهري [١]: والغمرة الشدة، والجمع غمر، وجملة ﴿وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓا۟ أَيْدِيهِمْ﴾ أي: والحال أن الملائكة باسطو أيديهم لقبض أرواح الكفار، وقيل للعذاب، وفي أيديهم مطارق الحديد قوله ﴿أَخْرِجُوٓا۟ أَنفُسَكُمُ﴾ أي: قائلين لهم أخرجوا أنفسكم من هذه الغمرات التي وقعتم فيها، أو أخرجوا أنفسكم من أيدينا وخلصوها من العذاب، أو أخرجوا أنفسكم من أجسادكم وسلموها إلينا لنقبضها ﴿ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ﴾ أي: اليوم الذي تقبض فيه أرواحكم، أو أرادوا باليوم الوقت الذي يعذبون فيه الذي مبدؤه عذاب القبر، و«الهون» والهوان بمعنى أي: اليوم تجزون عذاب الهوان الذي تصيرون به في إهانة وذلة بعدما كنتم فيه من الكبر والتعاظم [٢].

قال الإمام الطبري عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ ءَايَٰتِهِۦ تَسْتَكْبِرُونَ﴾ وهذا خبر من الله جل ثناؤه عما تقول رسل الله التي تقبض أرواح هؤلاء الكفار لها يخبر عنها أنها

---

(١) هو العلامة اللغوي إسماعيل بن حماد الجوهري أبو نصر، من أعاجيب الزمان ذكاءً وفطنة وعلمًا، وأصله من بلاد الترك من فاراب، وهو إمام في علم اللغة والأدب وخطه يضرب به المثل في الجودة، وهو مع ذلك من فرسان الكلام في الأصول، له مصنفات منها: (الصحاح)، و(العروض)، و(مقدمة في النحو)، مات سنة ثلاث وتسعين وثلاثمائة، وقيل في حدود الأربعمائة.

سير أعلام النبلاء: ١٧/ ٨٠؛ إنباه الرواة، للقفطي، ١/ ١٩٤؛ بغية الوعاة، للسيوطي، ١/ ٤٤٦؛ معجم الأدباء، ياقوت الحموي، ٦/ ١٥١؛ يتيمة الدهر، الثعالبي، ٤/ ٤٦٨.

(٢) فتح القدير، الشوكاني، بتصرف، ١/ ٥٥٢.

تقول لأجسامها ولأصحابها أخرجوا أنفسكم إلى سخط الله ولعنته، فإنكم اليوم تثابون على كفركم بالله، وقيلكم عليه بالباطل، وزعمكم أن الله أوحى إليكم ولم يوح إليكم شيئًا، وإنذاركم أن يكون الله أنزل على بشر شيئًا، واستكباركم عن الخضوع لأمر الله وأمر رسوله والانقياد لطاعته عذاب الهون وهو عذاب جهنم الذي يهينهم فيذلهم حتى يعرفوا صغار أنفسهم وذلتها[1].

قال البيهقي[2]: وقوله تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِى غَمَرَٰتِ ٱلْمَوْتِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓا۟ أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوٓا۟ أَنفُسَكُمُ ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ ءَايَٰتِهِۦ تَسْتَكْبِرُونَ﴾ فدلت الآيتان على أن الكفار يعنف عليهم في نزع أرواحهم وأنهم يخبرون بما هم قادمون عليه من العذاب الهون خلاف المؤمنين الذين يؤمنون ويبشرون بالجنة التي كانوا يوعدون[3].

---

(١) تفسير الطبري: ٧/ ٣٤٤.

(٢) هو الإمام الحافظ الكبير أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي بن موسى البيهقي الخسروجردي، كان كثير التحقيق والإنصاف، حسن التصنيف، قال عنه عبدالغفار في الذيل: كان على سيرة العلماء، قانعًا من الدنيا باليسير، متجملًا في زهده وورعه. وقيل: إنه سرد الصوم ثلاثين سنة، وقال عنه إمام الحرمين: ما من شافعي إلا وللشافعي عليه منة إلا البيهقي، فإن له على الشافعي منة لتصانيفه في نصرة مذهبه، له تصانيف كثيرة منها: (السنن الكبير والصغير)، و(المبسوط جمع نصوص الشافعي)، و(الاعتقاد)، توفي في نيسابور سنة ثمان وخمسين وأربعمائة.

طبقات الشافعية الكبرى، للسبكي، ٤/ ٨؛ طبقات الشافعية، لابن قاضي شهبة، ١/ ٢٢٥؛ وفيات الأعيان: ١/ ٤٦؛ مرآة الجنان، لليافعي، ٣/ ٦٣؛ تذكرة الحفاظ، للذهبي، ٣/ ٢١٩.

(٣) الاعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد، البيهقي، ص: ٢٨٧، شعب الإيمان، البيهقي، ١/ ٢٩٨-٢٩٩.

وقال الزمخشري[١] في «كشافه» عن الملائكة في قولهم للكافر ﴿ٱلۡيَوۡمَ تُجۡزَوۡنَ﴾ يجوز أن يريدوا وقت الإماتة وما يعذبون به من شدة النـزع، وأن يريدوا الوقت الممتد المتطاول الذي يلحقهم فيه العذاب في البرزخ والقيامة، والهون الشديد[٢].

* * *

(١) هو أبو القاسم جار الله محمود بن عمر بن محمد بن عمر الزمخشري، الإمام الكبير في التفسير والحديث والنحو واللغة وعلم البيان، وقد سافر إلى مكة وجاور بها زمانًا فصار يقال له جار الله، وكان معتزلي الاعتقاد متظاهرًا به، من مصنفاته (الكشاف) في التفسير، و(المفرد المركب) في العربية، و(الفائق) في تفسير غريب الحديث وكان مع ذلك غاية في المعرفة بفنون البلاغة وتصريف الكلام، مات سنة ثمان وثلاثين وخمسمائة بعد رجوعه من مكة.

وفيات الأعيان، ابن خلكان ٣/ ٨٦؛ ميزان الاعتدال: ٦/ ٣٨٣؛ لسان الميزان: ٣/ ٨٦؛ الجواهر المضيئة في طبقات الحنفية، عبدالقادر القرشي، ص: ٣٩٤؛ تاج التراجم، ابن قطلوبغا، ص: ٢٩١.

(٢) الكشاف، الزمخشري، ٢/ ٤٥.

المطلب الثاني

العذاب النفسي في منظر ملائكة العذاب عند حضورهم لقبض أرواحهم

إن لهيئة الإنسان ومنظره أثرًا على الآخرين من حيث الاستبشار برؤيته أو التقزز أو الفزع من منظره؛ ولأجل ذلك حث الإسلام المسلم على تحسين منظره في ملبسه وشعره حيث يتعهده عند خروجه ومقابلته للآخرين، وهذه الأمور التي ألفتها النفوس في الدنيا وسرت برؤيتها أو تقززت أو فزعت منها جعلها الله علامة لأعمالها عند قبض أرواحها. فالمؤمن المطيع تأتيه ملائكة بيض الوجوه، وفيه دلالة على صفاء وبياض أعماله وتبشيرٌ له بقبول عمله، وأما الكافر أو المنافق والتي كانت حياته سوداء مظلمة ﴿ ظُلُمَٰتُۢ بَعۡضُهَا فَوۡقَ بَعۡضٍ ﴾[النور: ٤٠]، فتأتيه ملائكة سود الوجوه دلالة على البؤس والكآبة وزيادة في النكال به وتحسيره وتعذيبه نفسيًّا فقد جاء في حديث البراء بن عازب السابق: «وإن العبد الكافر إذا كان في انقطاع من الدنيا وإقبال من الآخرة نزل إليه ملائكة من السماء سود الوجوه»[1].

* * *

(١) سبق تخريجه، ص(٣٩).

المطلب الثالث

العذاب النفسي عند تقريع نفوسهم وهم على النعش

روى البخاري عن أبي سعيد الخدري ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «إِذَا وُضِعَتْ الْجِنَازَةُ وَاحْتَمَلَهَا الرِّجَالُ عَلَى أَعْنَاقِهِمْ فَإِنْ كَانَتْ صَالِحَةً قَالَتْ: قَدِّمُونِي، وَإِنْ كَانَتْ غَيْرَ صَالِحَةٍ قَالَتْ: يَا وَيْلَهَا أَيْنَ يَذْهَبُونَ بِهَا، يَسْمَعُ صَوْتَهَا كُلُّ شَيْءٍ إِلَّا الْإِنْسَانَ وَلَوْ سَمِعَهُ صَعِقَ»[١].

قال ابن حجر في الفتح: «قوله وإن كانت غير ذلك في رواية الكشميهني[٢]: «غير صالحة»، قوله قالت لأهلها قال الطيبي[٣]: أي: لأجل أهلها إظهارًا لوقوعه في الهلكة، وكل من وقع في الهلكة دعا بالويل، ومعنى النداء يا حزني، وأضاف الويل إلى ضمير الغائب حملًا على المعنى كراهية أن يضيف الويل إلى

(١) رواه البخاري، كتاب الجنائز، باب (حمل الرجل الجنازة دون النساء)، رقم (١٣١٤)، ص: (٢٥٨).

(٢) هو أبو الهيثم محمد بن مكي المروزي الكشميهني نسبة إلى كشميهن قرية بمرو، راوية البخاري عن الفربري، حدث بصحيح البخاري غير مرة، قال الشيخ شمس الدين: ولا أعلمه إلا من الثقات، توفي يوم عرفة سنة تسع وثمانين وثلاثمائة.

الأنساب: ١٠/ ٤٣٧، العبر، للذهبي، ٢/ ١٧٧؛ مرآة الجنان، ٢/ ٣٣٢؛ الوافي بالوفيات للصفدي: ٥/ ٣٩؛ شذرات الذهب: ٣/ ١٣٢.

(٣) هو الإمام الحسين بن عبدالله بن محمد الطيبي، كان حسن المعتقد كريمًا متواضعًا، شديد الرد على الفلاسفة والمبتدعة، كثير الحياء، ملازمًا للجماعة له مصنفات نافعة منها (شرح المشكاة)، وجمع كتابًا في (التفسير)، مات سنة ثلاث وأربعين وسبعمائة.

الدرر الكامنة، ابن حجر، ٢ / ٦٨؛ شذرات الذهب: ٦/ ١٣٧؛ البدر الطالع، الشوكاني، ص(٢٤١)؛ الأعلام: ٢/ ٢٥٦؛ معجم المؤلفين، ١/ ٦٣٩.

نفسه، أو كأنه لما أبصر نفسه غير صالحة نفر عنها وجعلها كأنها غيره.

ويؤيد الأول أن في رواية أبي هريرة المذكورة «قال يا ويلتاه أين تذهبون بي» فدل على أن ذلك من تصرف الرواة، قوله لصعق أي: لغشي عليه من شدة ما يسمعه، وربما أطلق ذلك على الموت، والضمير في يسمعه راجع إلى دعائه بالويل أي يصيح بصوت منكر لو سمعه الإنسان لغشي عليه.

قال ابن بزيزة[1]: هو مختص بالميت الذي هو غير صالح، وأما الصالح فمن شأنه اللطف والرفق في كلامه فلا يناسب الصعق من سماع كلامه[2]. انتهى كلامه.

* * *

---

(١) عبدالعزيز بن إبراهيم بن أحمد بن محمد اشتهر بابن بزيزة التيمي القرشي، أبو فارس، وقيل: أبو محمد، ولد في مدينة تونس سنة ست وستمائة، برع في الفقه والعربية فاق أقرانه وتميز بالتضلع في العلوم، حتى عد من أئمة المذهب المالكي المعتمد عليهم، ووصفه بعضهم ببلوغ مرتبة الاجتهاد. من مصنفاته (الإسعاد في تحقيق مقاصد الإرشاد) و(غاية الأمل في شرح الجمل للزجاجي) و(الأنوار في فضل القرآن والدعاء والاستغفار)، مات سنة اثنتين وستين وستمائة وهو ابن سبع وأربعين سنة.

شجرة النور الزكية، ص: ١٩٠؛ نيل الابتهاج، لأحمد التنبكتي، ص(٢٦٨)؛ معجم المؤلفين: ٢/ ١٥٥. تاج العروس، ١٥/ ١٧؛ الفكر السامي، محمد بن الحسن الثعالبي، ٢/ ٢٣٢.

(٢) فتح الباري، ابن حجر: ٣/ ٢٢١.

المبحث الثالث

العذاب النفسي في الحيلولة بينهم وبين ما يشتهون

يخبر الحق جل وعلا عن الأماني التي يتمناها الكافر عند رؤية العذاب وأنه سبحانه يحول بينه وبين ما تمناه، قال تعالى: ﴿ وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِم مِّن قَبْلُ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا فِي شَكٍّ مُّرِيبٍ ﴾[سبأ: ٥٤].

قال ابن كثير رحمه الله عند تفسيرها: وقوله تعالى: ﴿ وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ ﴾ قال الحسن البصري والضحاك وغيرهما: يعني الإيمان، وقال السدي[(١)]: وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ وهي التوبة، وهذا اختيار ابن جرير رحمه الله.

وقال مجاهد[(٢)]: ﴿ وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ ﴾ من هذه الدنيا من

(١) هو أبو محمد إسماعيل بن عبدالرحمن بن أبي كريمة الهاشمي، يعرف بالسدي الكبير، الكوفي الأعور، صاحب (التفسير) أصله حجازي، مولى زينب بنت قيس بن مخرمة من بني المطلب ابن عبد مناف، كان يقعد سُدَّة باب الجامع بالكوفة فسمي السدي، وقد مر إبراهيم النخعي به وهو يفسر، فقال: أما إنه يفسر تفسير القوم، مات سنة سبع وعشرين ومائة.

تهذيب الكمال: ١/ ٢٤٠؛ ميزان الاعتدال: ١/ ٣٩٥؛ تهذيب التهذيب: ١/ ١٥٨؛ تقريب التهذيب، ص: ٤٨؛ طبقات المفسرين، للداودي، ١/ ١٠٩.

(٢) هو مجاهد بن جبر، أبو الحجاج المكي، مولى عبدالله بن السائب القارئ، قال أبو نجيح عن مجاهد قال: قرأت القرآن على ابن عباس مرات، قال حصيف: كان مجاهد أعلمهم بالتفسير، وقال قتادة: أعلم من بقي بالتفسير مجاهد، وسئل أبو زرعة عن مجاهد فقال: مكي ثقة، وعرض القرآن على ابن عباس ثلاثين مرة، قال أبو نعيم: مات سنة ثنتين ومائة.

الجرح والتعديل: ٨/ ٣١٩؛ طبقات الفقهاء، للشيرازي، ص ٥٨؛ تهذيب الأسماء واللغات، ١/ ٥٥٦؛ تذكرة الحفاظ، للذهبي، ١/ ٧١؛ سير أعلام النبلاء: ٤/ ٤٤٩.

مال وزهرة وأهل، وروي نحوه عن ابن عمر وابن عباس رضي الله عنهم والربيع بن أنس[١]، وهو قول البخاري وجماعة، والصحيح أنه لا منافاة بين القولين، فإنه قد حيل بينهم وبين شهواتهم في الدنيا وبين ما طلبوه في الآخرة فمنعوا منه، وقوله تعالى: ﴿ كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِم مِّن قَبْلُ ﴾ أي: كما جرى للأمم الماضية المكذبة بالرسل لما جاءهم بأس الله تمنوا أن لو آمنوا فلم يقبل منهم[٢].

كما يخبر الحق ﷻ عن الأمم الماضية المكذبة بالرسل لما رأوا بأس الله تمنوا أن يقبل منهم إيمانهم لكنه لم يقبل؛ لأنه كان في وقت لا يقبل منهم الإيمان قال تعالى: ﴿ فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا قَالُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَحْدَهُ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِ مُشْرِكِينَ ﴿٨٤﴾ فَلَمْ يَكُ يَنفَعُهُمْ إِيمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا ۖ سُنَّتَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ فِي عِبَادِهِ ۖ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْكَافِرُونَ ﴾[غافر: ٨٤-٨٥].

وهذا فرعون عندما أدركه الغرق وعاين العذاب تمنى أن يقبل منه إيمانه لكنه لم يقبل منه؛ لأنه كان بعد فوات الأوان قال تعالى: ﴿ وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ بَغْيًا وَعَدْوًا ۖ حَتَّىٰ إِذَا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ قَالَ آمَنتُ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا الَّذِي آمَنَتْ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٩٠﴾ آلْآنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ ﴿٩١﴾ فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ آيَةً قَبْلُ

---

(١) هو الربيع بن أنس البكري ويقال: الحنفي، البصري ثم الخرساني، قال العجلي: بصري ثقة صدوق، وقال أبو حاتم: صدوق، وقال النسائي: ليس به بأس، وقد لقي ابن عمر وجابر ابن عبدالله، وكان هرب من الحجاج فأتى مرو فسكن قرية منها يقال لها بُرز، ثم تحول إلى قرية سذور، وكان فيها إلى أن مات، قال محمد بن سعد: مات في خلافة أبي جعفر المنصور، وذكر أنه توفي سنة تسع وثلاثين ومائة، وقيل: سنة أربعين ومائة.

تهذيب الكمال: ٢/ ٤٥٦؛ تهذيب التهذيب: ١/ ٥٨٩؛ تقريب التهذيب، ص: ١٤٦؛ الثقات، للعجلي، ص: ١٥٣؛ الوافي بالوفيات: ٤/ ٥٥.

(٢) تفسير ابن كثير، ٣/ ٤٧٦-٤٧٧.

وَكُنتَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ عَنْ ءَايَٰتِنَا لَغَٰفِلُونَ ﴾[يونس: ٩٠-٩٢].

روى الإمام أحمد عن ابن عباس ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «لَمَّا قَالَ فِرْعَوْنُ ﴿ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِىٓ ءَامَنَتْ بِهِۦ بَنُوٓا۟ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ قَالَ: قَالَ لِي جِبْرِيلُ: يَا مُحَمَّدُ، لَوْ رَأَيْتَنِي وَقَدْ أَخَذْتُ حَالًا مِنْ حَالِ[1] الْبَحْرِ، فَدَسَّيْتُهُ فِي فِيهِ، مَخَافَةَ أَنْ تَنَالَهُ الرَّحْمَةُ»[2].

* * *

---

(١) الحالُ: الطين الأسود، أو التراب اللين الذي يقال له الشَهْلة.
انظر: لسان العرب، ٢/٦٦٩، المخصص، ابن سيده، ٣ /٦٤؛ مختار الصحاح، ص(١٠٦).

(٢) رواه أحمد في مسنده، رقم (٢٨٢٠)، ٥/ ٣٠. قال الأرنؤوط: إسناده ضعيف، والأصح وقفه، ورواه الترمذي في سننه، كتاب تفسير القرآن، باب ومن سورة يونس، رقم (٣١٠٧)، ٥/ ٢٦٨، قال أبو عيسى: هذا حديث حسن، قال الألباني في صحيح وضعيف الترمذي، ص: ٦٩٨: صحيح لغيره، ورواه الحاكم في مستدركه، كتاب التوبة، رقم (٧٦٣٤)، ٤/ ٢٧٨، وقال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي في التلخيص. فقال: صحيح؛ ورواه الطبراني في المعجم الكبير، رقم (١٢٩٣)، ١٢/ ١٦٧؛ ورواه عبد بن حميد في مسنده، رقم (٦٦٤)، ص: ٢٢٢؛ ورواه الطيالسي في مسنده، رقم (١٨١٦)، ٣/ ١٢٣، قال محقق الكتاب محمد حسن إسماعيل: حديث صحيح وإسناده هنا ضعيف.

الفصل الثاني

العذاب النفسي في البرزخ

وفيه سبعة مباحث:

المبحث الأول: تعريف البرزخ.

المبحث الثاني: إثبات عذاب البرزخ.

المبحث الثالث: العذاب النفسي في إصفاد أبواب السماء أمام أرواحهم.

المبحث الرابع: العذاب النفسي في رؤية مقاعدهم من النار وتحسرهم على فوات مقاعدهم من الجنة.

المبحث الخامس: العذاب النفسي في تَمَثُّل أعمالهم في قبورهم.

المبحث السادس: العذاب النفسي في توبيخ الرسل لهم بعد الموت.

المبحث السابع: العذاب النفسي في توبيخ القبورلهم.

المبحث الأول

تعريف البرزخ

البرزخ في اللغة:

قال الزجاج[١]: البرزخ في اللغة: الحاجز[٢]، أي: الحاجز بين الشيئين.

البرزخ في الاصطلاح:

قال مجاهد: ما بين الموت إلى البعث[٣].

وقال أيضًا: حجاب بين الموت والرجوع إلى الدنيا[٤].

وقال قتادة: ما بين الدنيا والآخرة[٥].

وقال أيضًا: ما بين الموت إلى البعث[٦].

---

(١) أبو إسحاق إبراهيم بن محمد بن السري بن سهل الزجاج النحوي، كان من أهل العلم والأدب والدين المتين، أخذ الأدب عن المبرد، وثعلب، وكان يخرط الزجاج فنسب إليه ثم تركه واشتغل بالأدب، كان عزيزًا على المعتضد، له رزق في الفقهاء، والعلماء والندماء، من مصنفاته (معاني القرآن)، و(الاشتقاق) وكتاب (مختصر في النحو)، توفي يوم الجمعة سنة عشر وثلاثمائة، وقيل غير ذلك، ببغداد، وعمره قد تجاوز ثمانين سنة.

وفيات الأعيان: ١/ ٣٣؛ تاريخ بغداد، ٦/ ٨٧؛ المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، ١٣/ ٢٢٣؛ النجوم الزاهرة لابن تغري بردي، ٣/ ٢٠٨؛ طبقات النحويين، للزبيدي الأندلسي، ص: ١١١.

(٢) معاني القرآن، للزجاج، ٤/ ١٩.

(٣) معالم التنزيل، للبغوي، ٣/ ٣٦٨.

(٤) المرجع السابق، ٣/ ٣٦٨.

(٥) المرجع السابق، ٣/ ٣٦٨.

(٦) المرجع السابق، ٣/ ٣٦٨.

وقال الراغب الأصفهاني[١]: ما بين الموت إلى القيامة[٢].

وقال علي بن محمد بن علي، الشريف الجرجاني[٣]: هو الحائل بين الشيئين، ويعبر به عن عالم المِثال أعني الحاجز من الأجسام الكثيفة وعالم الأرواح المجردة أعني الدنيا والآخرة[٤].

ونلاحظ هنا أن تلك التعاريف متقاربة وإن اختلفت ألفاظها، فالبرزخ إذًا: هو الفترة الزمنية التي تكون بعد موت الإنسان إلى حين البعث من القبور.

وفي دائرة المعارف الإسلامية: البرزخ: هي كلمة فارسية وعربية معناها حائل أو حاجز أو فاصل، وفي الكلام عن العالم الآخر تستعمل كلمة برزخ لوصف حدود عالم الكائنات الإنسانية الذي يتألف من السماوات والأرض،

---

(١) هو أبو القاسم الحسين بن محمد بن المفضل الأصفهاني، المعروف بالراغب، أديب من الحكماء العلماء من أهل أصبهان، سكن بغداد، واشتهر حتى كان يقرن بالإمام الغزالي من مصنفاته (المفردات في غريب القرآن)، و(جامع التفاسير في حل متشابهات القرآن)، مات سنة اثنتين وخمسمائة.

الوافي بالوفيات: ١٣/ ٢٩؛ سير أعلام النبلاء: ١٨/ ١٢٠؛ كشف الظنون، ٣/ ٣٣١؛ الأعلام: ٢/ ٢٥٥؛ معجم المؤلفين: ١/ ٦٤٢.

(٢) مفردات ألفاظ القرآن، ص ١١٨.

(٣) هو علي بن محمد بن علي، المعروف بالسيد الشريف الجرجاني، فصيح العبارة، دقيق الإشارة، ولد في جرجان، واشتغل بالعربية في صباه، أخذ عن الأكابر وبالغوا في تعظيمه لاسيّما علماء العجم والروم، صنف في العلوم العقلية والنقلية فمن تصانيفه: (التعريفات)، و(شرح المفتاح)، و(تفسير الزهراوين). توفي بشيراز سنة ست عشرة وثمانمائة الفوائد البهية، ص ١٢٥؛ بغية الوعاة: ٢/ ١٩٦؛ الضوء اللامع للسخاوي: ٥/ ٣٢٨؛ البدر الطالع: ص(٤٨٩)؛ كشف الظنون، ١/ ٤٥٩.

(٤) التعريفات، ص: ٣٤.

والعوالم السفلى وتميزها عن الله وعن عالم الأرواح [١].

وقد وردت كلمة البرزخ في القرآن الكريم في ثلاثة مواضع:

قال تعالى: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ٱرْجِعُونِ ﴿٩٩﴾ لَعَلِّىٓ أَعْمَلُ صَـٰلِحًا فِيمَا تَرَكْتُ ۚ كَلَّآ ۚ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَا ۖ وَمِن وَرَآئِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴾[المؤمنون: ٩٩-١٠٠]، وقوله تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ هَـٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَـٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَحِجْرًا مَّحْجُورًا ﴾[الفرقان: ٥٣]، وقوله تعالى: ﴿ مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ ﴿١٩﴾ بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَّا يَبْغِيَانِ ﴾[الرحمن: ١٩-٢٠].

وأما السنة النبوية فلم أقف على لفظ البرزخ في حديث صحيح.

* * *

(١) دائرة المعارف الإسلامية، ٣/ ٥٣٤-٥٣٥.

المبحث الثاني

إثبات عذاب البرزخ

عقيدة أهل السنة والجماعة أن عذاب البرزخ حق دل عليه الكتاب والسنة وإجماع السلف، فمن الكتاب قوله تعالى: ﴿ ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓا۟ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ ﴾[غافر: ٤٦]، ذهب الجمهور أن هذا العرض هو في البرزخ[١].

وقال تعالى: ﴿ وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَدْنَىٰ دُونَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾ [السجدة: ٢١]، قال البراء بن عازب، ومجاهد، وأبو عبيدة[٢] العذاب الأدنى يعني به عذاب القبر، وقال تعالى: ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴾ [طه: ١٢٤].

قال أبو سعيد الخدري ﷺ: ﴿ مَعِيشَةً ضَنكًا ﴾ يضيق عليه قبره حتى تختلف فيه أضلاعه[٣]، وقال ابن مسعود ﷺ ﴿ مَعِيشَةً ضَنكًا ﴾ عذاب القبر[٤]، وكذلك روى أيضًا عن أبي سعيد الخدري ﷺ، وقال أبو هريرة ﷺ:

(١) فتح القدير: ٢ / ٥٨٥.

(٢) هو العلامة النحوي أبو عبيدة معمر بن المثنى التيمي البصري، مولى بني تميم بن مرة، قال المبرد: كان أبو عبيدة عالمًا بالشعر والغريب والأخبار والنسب، وقال الجاحظ: لم يكن في الأرض خارجي و لا جماعي أعلم بجميع العلوم منه، وقال يعقوب بن شيبة: سمعت علي ابن المديني وذكر أبا عبيدة فأحسن ذكره، وصحح روايته، وقال: كان لا يحكى عن العرب إلا الشيء الصحيح، وقال ابن حجر: صدوق أخباري، وقد رمي برأي الخوارج، مات سنة ثمان ومائتين، وقيل بعدها.

تهذيب الكمال: ٧/ ١٨٤؛ الثقات: ٩/ ١٩٦؛ الجرح والتعديل: ٨/ ٢٥٩؛ تهذيب التهذيب: ٤/ ١٢٦؛ تقريب التهذيب، ص: ٤٧٣.

(٣) تفسير الطبري: ١٦/ ٢٨٤.

(٤) المرجع السابق، ٩/ ٢٨٤.

يطبق على الكافر قبره حتى تختلف فيه أضلاعه وهي المعيشة الضنك[١].

وأما السنة فعن علي رضي الله عنه قال: لما كان يوم الأحزاب قال رسول الله ﷺ: «مَلَأَ اللهُ بُيُوتَهُمْ وَقُبُورَهُمْ نَارًا، شَغَلُونَا عَنْ الصَّلَاةِ الْوُسْطَى حَتَّى غَابَتِ الشَّمْسُ»[٢].

وسيأتي بعض منها في المباحث التالية إن شاء الله.

وأما إجماع السلف عليه فقال أبو حنيفة: وسؤال منكر ونكير حق كائن في القبر، وإعادة الروح إلى الجسد في قبره حق، وضغطة القبر وعذابه حق كائن للكفار كلهم، ولبعض عصاة المؤمنين[٣].

وذكر الإمام مالك في موطئه أدلة عذاب القبر ونعيمه[٤].

وقال الإمام الشافعي: إن مشيئة العباد هي إلى الله تعالى، ولا يشاءون إلا أن يشاء الله رب العالمين، وإن أعمال الناس خلق من الله فعل للعباد، وإن القدر خيره وشره من الله عز وجل، وإن عذاب القبر حق ومساءلة أهل القبور حق[٥].

وقال الإمام أحمد بن حنبل: وعذاب القبر حق، يسأل العبد عن دينه وعن ربه، وعن الجنة وعن النار، ومنكر ونكير، وهما فتانا القبر، فنسأل الله

---

(١) المرجع السابق، ٩/ ٢٨٤.

(٢) رواه البخاري، كتاب الجهاد، باب (الدعاء على المشركين بالهزيمة والزلزلة)، رقم (٢٩٣١)، ص: ٥٩٤، ورواه مسلم، كتاب المساجد، باب (التغليظ في تفويت صلاة العصر)، رقم (٦٢٧)، ١/ ٣٦٥.

(٣) شرح الفقه الأكبر، محمد السمرقندي، ص: ١٦٢-١٦٣.

(٤) الموطأ، الإمام مالك، ١/ ٣٩١.

(٥) الاعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد: ص: ٢٩٥.

الثبات[١].

وقال الإمام البربهاري[٢]: والإيمان بأن الميت يقعد في قبره، ويرسل الله فيه الروح حتى يسأله منكر ونكير عن الإيمان وشرائعه، ثم تسل روحه بلا ألم، ويعرف الميت الزائر إذا أتاه، وينعم في القبر المؤمن، ويعذب الفاجر كيف شاء الله[٣].

وقال الإمام أبو الحسن الأشعري: وأنكرت المعتزلة عذاب القبر وقد روي عن النبي ﷺ من وجوه كثيرة، وروي عن أصحابه ﭫ، وما روي عن أحد منهم أنه أنكره ونفاه وجحده فوجب أن يكون إجماعًا من أصحاب النبي ﷺ[٤].

وقال إمام الحرمين الجويني[٥]: جمل من أحكام الآخرة المتعلقة بالسمع،

---

(١) العقيدة، للإمام أحمد، ص: ٧٦؛ وطبقات الحنابلة، ١/ ٢٧.

(٢) هو أبو محمد الحسن بن علي بن خلف البربهاري، القدوة، شيخ الحنابلة بالعراق ومتقدميها في الإنكار على أهل البدع، وكان له صيت عند السلطان، وكان أحد الأئمة العارفين، والحفاظ للأصول، المتقنين، والثقات المؤمنين له مصنفات منها: (شرح كتاب السنة)، توفي سنة تسع وعشرين وثلاثمائة طبقات الحنابلة: ٢/ ١٨؛ الوافي بالوفيات: ١٢/ ٩٠؛ سير أعلام النبلاء: ١٥/ ٩٠؛ العبر، للذهبي، ٢/ ٣٣؛ شذرات الذهب: ٢/ ٣١٩.

(٣) شرح السنة، للبربهاري، ص: ٨٤.

(٤) الإبانة عن أصول الديانة، أبو الحسن الأشعري، ص: ١٨١.

(٥) هو أبو المعالي عبدالملك بن أبي محمد عبدالله بن أبي يعقوب يوسف الجويني، الفقيه الشافعي الملقب ضياء الدين، المعروف بإمام الحرمين، أعلم المتأخرين من أصحاب الإمام الشافعي على الإطلاق، المجمع على إمامته، تفنن في الأصول والفروع والأدب وغير ذلك، تولى الخطابة بنيسابور في المدرسة النظامية، وكان يجلس للوعظ والمناظرة، وحضر دروسه الأكابر من الأئمة، قال عنه الحافظ أبو محمد الجرجاني: هو إمام عصره ونسيج وحده، ونادرة دهره عديم المثل في حفظه وبيانه ولسانه، له مصنفات كثيرة منها.........................=

فمنها إثبات عذاب القبر، مساءلة منكر ونكير، والذي صار إليه أهل الحق إثبات ذلك، فإنه من مجوزات العقول، والله مقتدر على إحياء الميت، وأمر الملكين بسؤاله عن ربه ورسوله، وكل ما جوزه العقل، وشهدت له شواهد السمع لزم الحكم بقبوله، وقد تواترت الأخبار باستعاذة رسول الله ﷺ بربه من عذاب القبر، ونقل آحاد من الأخبار في ذلك تكلف، ثم لم ير ذلك مستفيضًا في السلف الصالحين قبل ظهور أهل البدع والأهواء[1].

وقال ابن أبي العز الحنفي[2]: وقد تواترت الأخبار عن رسول الله ﷺ في ثبوت عذاب القبر ونعيمه لمن كان لذلك أهلًا وسؤال الملكين، فيجب اعتقاد ثبوت ذلك، والإيمان به، ولا يُتكلم في كيفيته، إذ ليس للعقل وقوف على كيفيته؛ لكونه لا علم به في هذه الدار، والشرع لا يأتي بما تحيله العقول، ولكنه قد يأتي بما تحار فيه العقول[3].

= (نهاية المطلب في دراية المذهب)، و(الشامل)، و(الإرشاد)، مات سنة ثمان وسبعين وأربعمائة، طبقات الشافعية الكبرى، ٥/ ٤٧٥؛ طبقات الشافعية، ٢/ ٢٦٢؛ وفيات الأعيان: ٢/ ٨٠؛ المنتظم: ١٦/ ٢٤٤؛ العبر: ٢/ ٣٣٩.

(١) الإرشاد إلى قواطع الأدلة في أصول الاعتقاد، للجويني، ص: ٣٧٥.

(٢) هو صدر الدين علي بن علي بن محمد بن أبي العز الحنفي الصالحي، اشتغل قديمًا ومهر ودرس وأفتى وخطب بحسبان، وقاضي القضاة بدمشق، ثم بالديار المصرية، ثم بدمشق وهو الذي امتحن بسبب اعتراضه على قصيدة ابن أيبك الدمشقي، كانت ولادته سنة إحدى وثلاثين وسبعمائة، له مصنفات منها (التنبيه على مشكلات الهداية)، و(النور اللامع فيما يعمل به في الجامع)، أي جامع بني أمية، و(شرح العقيدة الطحاوية)، مات سنة اثنتين وتسعين وسبعمائة.

الدرر الكامنة: ٣/ ٨٧؛ شذرات الذهب: ٦/ ٣٢٦؛ الأعلام: ٤/ ٣١٣؛ هدية العارفين: ١/ ٦٤٢.

(٣) شرح الطحاوية، ص: ٣٩٩.

المبحث الثالث

العذاب النفسي في إصفاد أبواب السماء أمام أرواحهم

إن روح المؤمن من حين قبضها وهي في حفاوة واستقبال من الملائكة، وأما روح الكافر أو المنافق فهي في حسرة وندم وتوبيخ وزجر لها من حين قبض روحها فلا تفتح لها أبواب السماء ولا تحتفي بها الملائكة بل لا يُستبشر بروحه ولا تفتح له أبواب السماء، فقد روى الإمام أحمد عن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ عند خروج روحه ووضعها في تلك المسوح من النار «ثم يعرج بها إلى السماء فيستفتح لها فيقال: من هذا؟ فيقال: فلان، فيقال: لا مرحبًا بالنفس الخبيثة كانت في الجسد الخبيث ارجعي ذميمة فإنه لا يفتحُ لك أبواب السماء، فترسل من السماء ثم تصير إلى القبر»[1].

وجاء في حديث البراء بن عازب «فيجعلوها في تلك المسوح فيخرج منها كأنتن ريح جيفة وجدت على ظهر الأرض، فيصعدون بها فلا يمرون بها على ملأ من الملائكة إلا قالوا: ما هذه الروح الخبيثة؟ فيقولون: فلان ابن فلان بأقبح أسمائه التي كان يسمى بها في الدنيا حتى ينتهي به بها إلى السماء الدنيا فيستفتحون فلا يفتح له، ثم قرأ رسول الله ﷺ: ﴿ لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَٰبُ ٱلسَّمَآءِ وَلَا يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلْجَمَلُ فِى سَمِّ ٱلْخِيَاطِ ﴾[الأعراف: ٤٠].

قال: فيقول الله ﷻ: اكتبوا كتاب عبدي في سجين في الأرض السفلى وأعيدوه إلى الأرض فإني منها خلقتهم وفيها أعيدهم ومنها أخرجهم تارة أخرى، فتطرح روحه طرحًا، ثم قرأ رسول الله ﷺ: ﴿ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَتَخْطَفُهُ ٱلطَّيْرُ أَوْ تَهْوِى بِهِ ٱلرِّيحُ فِى مَكَانٍ سَحِيقٍ ﴾[الحج: ٣١]

---

(١) سبق تخريجه، ص ٣٩.

الحديث[١].

قال الخازن[٢] في تفسيره: ﴿ لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَٰبُ ٱلسَّمَآءِ ﴾ يعني لا تفتح لأرواحهم إذا خرجت من أجسادهم ولا يصعد لهم إلى الله ﷻ وقت حياتهم قول ولا عمل؛ لأن أرواحهم وأقوالهم وأعمالهم كلها خبيثة، وإنما يصعد إلى الله تعالى الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه[٣].

قال ابن القيم رحمه الله: وأعمال الفجور تهوي به وتجذبه إلى الهاوية وتجره إلى أسفل سافلين، بحسب قوة تعلقه بها يكون هبوطه معها ونزوله إلى حيث يستقر به.

قال تعالى: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ ﴾[فاطر: ١٠]، وقال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَٱسْتَكْبَرُوا۟ عَنْهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَٰبُ ٱلسَّمَآءِ ﴾ فلما لم تفتح أبواب السماء لأعمالهم بل أغلقت عنها لم تفتح لأرواحهم عند المفارقة بل أغلقت عنها[٤].

وقال ابن القيم أيضًا: وأما الكافر فلا تفتح لروحه أبواب السماء ولا تفتح

---

(١) سبق تخريجه، ص٣٩.

(٢) علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم البغدادي الصوفي المعروف بالخازن، خازن الكتب بالسميساطية، ولد سنة ثمان وسبعين وستمائة ببغداد، كان حسن السمت والبِشْر والتودد، له مصنفات منها: (لباب التأويل في معاني التنزيل) يعرف بتفسير الخازن، و(عدة الأفهام في شرح عمدة الأحكام) في فروع الشافعية، و(مقبول المنقول)، توفي سنة إحدى وأربعين وسبعمائة بحلب.

الدرر الكامنة: ٣/ ٩٧؛ شذرات الذهب: ٦/ ١٣١؛ كشف الظنون: ٣/ ١٤٢؛ الأعلام: ٥/ ٥؛ معجم المؤلفين: ٢/ ٤٩٢.

(٣) لباب التأويل، الخازن، ٢/ ٥٠٦.

(٤) طريق الهجرتين، ابن القيم، ص: ٢٢٧.

لجسده أبواب الجنة[١].

وقال ابن عاشور[٢]: والإشارة في قوله «وكذلك» إشارة إلى عدم تفتح أبواب السماء الذي تضمنه قوله: ﴿ لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَٰبُ ٱلسَّمَآءِ وَلَا يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ ﴾ أي: ومثل ذلك الانتفاء، أي الحرمان بخزي المجرمين؛ لأنهم بإجرامهم، الذي هو التكذيب والإعراض جعلوا أنفسهم غير مكترثين بوسائل الخير والنجاة، فلم يتوخّوها ولا تطلبوها، فلذلك جزاهم الله عن استكبارهم أن أعرض عنهم، وسد عليهم أبواب الخيرات[٣].

وقال السعدي عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿ لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَٰبُ ٱلسَّمَآءِ ﴾ يخبر تعالى عن عقاب من كذب بآياته فلم يؤمن بها مع أنها آيات بينات واستكبر عنها فلم ينقد لأحكامها بل كذب وتولى أنهم آيسون من كل خير فلا تفتح أبواب السماء لأرواحهم إذا ماتوا وصعدت تريد العروج إلى الله فتستأذن فلا يؤذن لها، كما لم تصعد في الدنيا إلى الإيمان بالله، ومعرفته، ومحبته، وكذلك لا تصعد بعد الموت فإن الجزاء من جنس العمل[٤].

* * *

---

(١) الروح، ابن القيم، ص: ٤٤٥.

(٢) هو محمد الطاهر بن عاشور رئيس المفتين المالكيين بتونس، وشيخ جامع الزيتونة وفروعه عين عام ١٩٣٢م شيخًا للإسلام كان مالكيًا، له مصنفات منها (مقاصد الشريعة الإسلامية) و(أصول النظام الاجتماعي في الإسلام) و(التحرير والتنوير) في التفسير، مات بتونس سنة ثلاث وتسعين وثلاثمائة وألف الأعلام: ٦/ ١٧٤، آثار الإمام البشير الإبراهيمي، أحمد الإبراهيمي: ص(٥٤٩)؛ إتحاف المطالع، عبد السلام بن سوده: ص(١٣٩٠).

(٣) التحرير والتنوير، ابن عاشور، ٨/ ٩٨.

(٤) تيسير الكريم الرحمن، ص: ٢٥١.

المبحث الرابع

العذاب النفسي في رؤية مقاعدهم من النار وتحسرهم على فوات مقاعدهم من الجنة

إن من أشد أنواع العذاب النفسي على الكافر والمنافق في الحياة البرزخية رؤية ما أعده الله له من النار حتى إنه يقول: ربي لا تقم الساعة؛ لهول ما يراه في الجحيم مما أعده الله له.

فقد جاء في الحديث الذي يرويه أبو هريرة عن النبي ﷺ أنه قال: وَيُجْلَسُ الرَّجُلُ السُّوءُ فِي قَبْرِهِ، فَزِعًا مَشْعُوفًا[1]، فَيُقَالُ لَهُ: فِيمَ كُنْتَ؟ فَيَقُولُ: لاَ أَدْرِي، فَيُقَالُ لَهُ: مَا هَذَا الرَّجُلُ؟ فَيَقُولُ: سَمِعْتُ النَّاسَ يَقُولُونَ قَوْلًا فَقُلْتُهُ، فَيُفْرَجُ لَهُ قِبَلَ الْجَنَّةِ، فَيَنْظُرُ إِلَى زَهْرَتِهَا وَمَا فِيهَا، فَيُقَالُ لَهُ: انْظُرْ إِلَى مَا صَرَفَ اللهُ عَنْكَ، ثُمَّ يُفْرَجُ لَهُ فُرْجَةٌ قِبَلَ النَّارِ، فَيَنْظُرُ إِلَيْهَا، يَحْطِمُ بَعْضُهَا بَعْضًا، فَيُقَالُ لَهُ: هَذَا مَقْعَدُكَ، عَلَى الشَّكِّ كُنْتَ، وَعَلَيْهِ مُتَّ، وَعَلَيْهِ تُبْعَثُ إِنْ شَاءَ اللهُ تَعَالَى[2].

وفي لفظ آخر قال أبو هريرة قال رسول الله ﷺ: وَإِنْ كَانَ كَافِرًا فَيُؤْتَي مِنْ قِبَلِ رَأْسِهِ، فَلاَ يُوجَدُ لَهُ شَيْءٌ، ثُمَّ يَأْتِي عَنْ يَمِينِهِ فَلاَ يُوجَدُ لَهُ شَيْءٌ، ثُمَّ يَأْتِي عَنْ شِمَالِهِ فَلاَ يُوجَدُ لَهُ شَيْءٌ، ثُمَّ يَأْتِي مِنْ قِبَلِ رِجْلَيْهِ فَلاَ يُوجَدُ لَهُ شَيْءٌ، فَيُقَالُ لَهُ: اجْلِسْ فَيَجْلِسُ فَزِعًا مَرْعُوبًا، فَيُقَالُ لَهُ: أَخْبِرْنَا عَمَّا نَسْأَلُكَ عَنْهُ؟ فَيَقُولُ:

---

(١) الشعف: شدة الفزع حتى يذهب بالقلب. انظر: النهاية في غريب الحديث، ابن الأثير: ٢/ ٤٣١.

(٢) رواه ابن ماجه في سننه، كتاب الزهد، باب (ذكر القبر والبلى)، رقم (٤٢٦٨)، ٢/ ٤٢٦، قال الألباني في صحيح وضعيف ابن ماجه، ص: ٧٠٧: صحيح، ورواه الطبري في تهذيب الآثار، ٢/ ٥٠٤.

وَعَمَّ تَسْأَلُونِي؟ فَيُقَالُ: أَرَأَيْت هَذَا الرَّجُلَ الَّذِي كَانَ فِيكُمْ مَاذَا تَقُولُ فِيهِ وَمَاذَا تَشْهَدُ بِهِ عَلَيْهِ؟ قَالَ: فَيَقُولُ: أَيُّ رَجُلٍ؟ قَالَ: فَيُقَالُ الَّذِي فِيكُمْ فَلاَ يَهْتَدِي لاسْمِهِ فَيُقَالُ: مُحَمَّدٌ، فَيَقُولُ: لاَ أَدْرِي سَمِعْتُ النَّاسَ يَقُولُونَ قَوْلًا فَقُلْت كَمَا قَالُوا: فَيُقَالُ عَلَى ذَلِكَ حَيِيتَ، وَعَلَى ذَلِكَ مُتَّ، وَعَلَى ذَلِكَ تُبْعَثُ إِنْ شَاءَ اللهُ، ثُمَّ يُفْتَحُ لَهُ بَابٌ إِلَى النَّارِ، فَيُقَالُ لَهُ: ذَلِكَ مَقْعَدُكَ وَمَا أَعَدَّ اللهُ لَكَ فِيهَا فَيَزْدَادُ حَسْرَةً وَثُبُورًا...»[1] الحديث.

وعن أبي هريرة ﷺ قال قال النبي ﷺ: «**لاَ يَدْخُلُ أَحَدٌ الْجَنَّةَ إِلاَّ أُرِيَ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ لَوْ أَسَاءَ لِيَزْدَادَ شُكْرًا، وَلاَ يَدْخُلُ النَّارَ أَحَدٌ إِلاَّ أُرِيَ مَقْعَدَهُ مِنَ الْجَنَّةِ لَوْ أَحْسَنَ لِيَكُونَ عَلَيْهِ حَسْرَةً**»[2].

وقال ابن حجر: قوله: «لا يدخل أحد الجنة إلا أري مقعده من النار» وقع عند ابن ماجه بسند صحيح من طريق آخر عن أبي هريرة أن ذلك يقع عند المسألة في القبر وفيه «فيفرج له فرجة قبل النار فينظر فيقال له: انظر إلى ما وقاك الله» وفي حديث أنس في أواخر الجنائز «فيقال انظر إلى مقعدك من النار»، زاد أبو داود في روايته «هذا بيتك كان في النار ولكن الله عصمك ورحمك»، وفي حديث أبي سعيد «كان هنا منزلك لو كفرت بربك».

قوله: «لو أساء ليزداد شكرًا» أي: لو كان عمل عملًا سيئًا وهو الكفر فصار من أهل النار، وقوله «ليزداد شكرًا» أي: فرحًا ورضًا فعبر عنه بلازمه؛ لأن الراضي بالشيء يشكر من فعل له ذلك.

---

(١) رواه الطبري في تهذيب الآثار، ٢/ ٥٠٧؛ ورواه المنذري في الترغيب والترهيب، ٣/ ١٢٨٦، قال الألباني في تحقيقه للترغيب والترهيب: حديث حسن.

(٢) رواه البخاري، كتاب الرقائق، باب صفة الجنة والنار، رقم (٦٥٦٩)، ص: ١٣٨٤.

قوله: «ولا يدخل النار أحد» قدم في رواية الكشميهني الفاعل على المفعول، وقوله «إلا أري» بضم الهمزة وكسر الراء، قوله «لو أحسن» أي: لو عمل عملًا حسنًا وهو الإسلام، قوله «ليكون عليه حسرة» أي: للزيادة في تعذيبه[1].

قال ابن مفلح[2]: فيه من الفقه أن المنعم عليه إذا بولغ في الإحسان إليه فإن من تمام الإحسان أن يشعر قدر أكثر الذي خلص فيه؛ ليكون عليه من جهتين: بأن وقاه الله ﷻ الشر، وغمسه في الخير، كما أن الكافر إذا اشتد به الانتقام أري مقام الفوز الذي فاته؛ لتضاعف حسرته من طرفين: ما هو فيه، وتوالي حسراته على ما فاته من الخير؛ ليكون غمه في كلا جانبيه[3].

وهذا الحديث اختلف العلماء في وقت وقوعه، فمنهم من قال: إن هذا يكون في القبر، وهو الأظهر والله أعلم، ويشهد لذلك حديث البراء بن عازب وحديث أبي هريرة السابق، ومنهم من قال: إن ذلك يكون يوم القيامة وهو الذي سماه الله يوم التغابن، وسيأتي الحديث عنه إن شاء الله، ومنهم من قال في الجنة والنار، ولا يمنع تعدد تلك الرؤية في الثلاثة مواطن زيادة في تنعم المؤمن

---

(١) فتح الباري: ١١/ ٤٥٠-٤٥١، بتصرف.

(٢) هو شمس الدين أبو عبدالله إبراهيم بن محمد بن مفلح المقدسي ثم الصالحي الراميني الحنبلي، إمام الحنابلة في عصره، ووحيد دهره، كان آية وغاية في نقل مذهب الإمام أحمد بن حنبل قال عنه أبو البقاء السبكي: ما رأت عيناي أحدًا أفقه منه، وكان ذا حظ من زهد وتعفف وصيانة وورع ودين متين وشكرت سيرته وكان أخبر الناس بمسائل واختيارات شيخ الإسلام ابن تيمية، حتى إن ابن القيم كان يراجعه في ذلك، من مصنفاته (الفروع) و(الآداب الشرعية)، و(الملائكة)، توفي سنة أربع وثمانين وثمانمائة.

الدارس في تاريخ المدارس، لعبدالقادر النعيمي الدمشقي، ٢/ ٨٥، شذرات الذهب: ٧/ ٣٣٨، الضوء اللامع، ١/ ١٥٢، معجم المؤلفين: ١/ ٦٦؛ إيضاح المكنون، ١/ ٦.

(٣) الآداب الشرعية، ابن مفلح، ص: ١٢٠.

وتحسر الكافر، والله أعلم.

وروى البخاري ومسلم عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ قال: «**إِنَّ أَحَدَكُمْ إِذَا مَاتَ عُرِضَ عَلَيْهِ مَقْعَدُهُ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ إِنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ فَمِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ وَإِنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ فَمِنْ أَهْلِ النَّارِ، فَيُقَالُ: هَذَا مَقْعَدُكَ حَتَّى يَبْعَثَكَ اللهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ**»[(١)].

قال القرطبي[(٢)] في «التذكرة»: قوله: «عرض عليه مقعده» ويروى: «عرض على مقعده» قال علماؤنا: وهذا ضرب من العذاب كبير، وعندنا المثال في الدنيا، وذلك كمن عرض عليه القتل أو غيره من آلات العذاب أو من يهدد به من غير أن يرى الآلة، ونعوذ بالله من عذابه وعقابه بكرمه ورحمته[(٣)].

* * *

---

(١) رواه البخاري، كتاب الجنائز، باب (الميت يعرض عليه مقعده بالغداة)، رقم (١٣٧٩)، ص: ٢٧١-٢٧٢، رواه مسلم، كتاب الجنة وصفة نعيمها، باب (عرض مقعد الميت من الجنة أو النار)، رقم (٢٨٦٦)، ٤/ ١٧٤٣.

(٢) هو الإمام المفسر أبو عبدالله محمد بن أحمد الأنصاري الأندلسي القرطبي المالكي المذهب، كان من العباد الصالحين والعلماء العارفين الورعين الزاهدين في الدنيا، له مصنفات منها: (جامع أحكام القرآن والمبين لما تضمنه من السنة وآي القرآن) و(التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة) و(شرح التقصي)، توفي سنة إحدى وسبعين وستمائة.

الديباج المذهب، ص: ٤٠٩، طبقات المفسرين، للداوودي، ٢/ ٦٥، طبقات المفسرين، للأدنه وي، ص: ٢٤٦، ديوان الإسلام، لابن الغزي، ٤/ ٢٨، الوافي بالوفيات، للصفدي ٢/ ٨٧.

(٣) التذكرة، القرطبي، ص: ١٢٥.

المبحث الخامس
العذاب النفسي في تمثل أعمالهم في قبورهم

خلق الله الإنسان وكلفه ببعض العبادات في هذه الدنيا ليفوز بأدائها في الدنيا والآخرة، وجعل النكوص والإعراض عنها سببًا في تعاسته وشقائه في الدنيا والآخرة، قال تعالى: ﴿ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ ﴾[الملك:٢]، وقوله تعالى: ﴿ مَّنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا ۗ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴾[فصلت:٤٦].

وهذه الأعمال التي يعملها الإنسان في الدنيا تُجسم وتمثل له في قبره فإن خيرًا فخير وإن شرًا فشر، فالمؤمن المطيع تُمثل له أعماله في صورة حسنة يُسر بها، وأما الكافر أو المنافق فتُمثل له أعماله في صورة قبيحة سيئة يتألم ويتحسر في قبره ويدعو الله ﷻ أن لا يقيم الساعة.

فقد جاء في حديث البراء بن عازب الطويل: «وَيَأْتيه رَجُلٌ قَبِيحُ الْوَجْه، قَبِيحُ الثِّيَاب، مُنْتِنُ الرِّيح، فَيَقُولُ: أَبْشِرْ بالَّذي يَسُوءُكَ، هَذَا يَوْمُكَ الذي كُنْتَ تُوعَدُ، فَيَقُولُ: مَنْ أَنْتَ؟ فَوَجْهُكَ الْوَجْهُ يَجِيءُ بِالشَّرِّ، فَيَقُولُ: أَنَا عَمَلُكَ الخَبِيثُ، فَيَقُولُ: رَبِّ لاَ تُقِمِ السَّاعَةَ»[1].

قال علي القاري[2] في «مرقاة المفاتيح»: ويأتيه رجل أي: له قبيح الوجه

---

(١) فصلت، (٤٦).

(٢) هو نور الدين علي بن السلطان محمد القاري الهروي، الفقيه الحنفي، نزيل مكة، له مصنفات منها (الأحاديث القدسية) و(أنوار القرآن وأسرار الفرقان في التفسير)، (وحدود الأحكام)، مات في مكة سنة أربع عشرة وألف.

البدر الطالع: ص(٤٤٩)، التاج المكلل، للقنوجي، ص: ٤٠٦، الأعلام: ٥/ ١٢، معجم المؤلفين: ٢/ ٤٤٦، هدية العارفين: ٦/ ٦٧٠.

قبيح الثياب منتن الريح فيقول: أبشر بالذي يسوءك هذا يومك أي: اليوم الذي كنت توعد أي: في الدنيا كما مر فيقول من أنت فوجهك الوجه أي: الكامل في القبح يجيء بالشر وفي رواية الذي يجيء بالشر فيقول: أنا عملك الخبيث أي: المركب من خبث عقائدك، وأعمالك وأخلاقك، فالمعاني تتجسد وتتصور في قوالب المباني فيقول: رب لا تقم الساعة[1].

فهذا الرجل الذي يأتي الكافر أو المنافق جمع القبح كله، فهو قبيح في منظره، قبيح في ملبسه، قبيح في رائحته، وذلك زيادة في عذابه، وآلامه النفسية، وتحسره في قبره والعياذ بالله.

* * *

(١) مرقاة المفاتيح، علي القاري، ٣/ ١١٨١.

المبحث السادس

العذاب النفسي في توبيخ الرسل لهم بعد الموت

جعل الله الرسل عليهم الصلاة والسلام مبلغين عنه شرعه، مبشرين ومنذرين، قال تعالى: ﴿ رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ ﴾[النساء: ١٦٥].

فهم حجة للسالكين، ونورٌ وضياءٌ للمهتدين، وشهداء على المكذبين الضالين، فكانوا عليهم صلوات الله وسلامه حريصين على هداية أممهم، وانتشالهم من براثين الوثنية والشرك، وإخراجهم من الظلمات إلى النور، فمن الناس من هداهم الله على أيديهم ومنهم من حقت عليه الضلالة فأصروا على عنادهم وكفرهم فأهلكهم الله، فقام رسل الله موبخين لهم بعد موتهم وهلاكهم وتذكيرهم بما وعدهم الله في الآخرة، قال تعالى حاكيًا عن نبي الله صالح عليه السلام بعد هلاك قومه: ﴿ فَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَٰقَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُحِبُّونَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴾[الأعراف: ٧٩].

قال ابن كثير: هذا تقريع من صالح عليه السلام لقومه لما أهلكهم الله بمخالفتهم إياه وتمردهم على الله، وإبائهم عن قبول الحق وإعراضهم عن الهدى إلى العمى، قال لهم صالح ذلك بعد هلاكهم تقريعًا وتوبيخًا وهم يسمعون ذلك[1].

وقال السعدي: فَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ صالح عليه السلام حين أحل الله بهم العذاب، وَقَالَ مخاطبًا لهم، توبيخًا وعتابًا، بعدما أهلكهم الله: وَقَالَ يَٰقَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَٰلَتِ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ أي: جميع ما أرسلني الله به إليكم، قد أبلغتكم به، وحرصت على هدايتكم، واجتهدت في سلوككم الصراط المستقيم، والدين

(١) تفسير ابن كثير، ٢/ ٢٠٣.

القويم، ﴿ وَلَٰكِن لَّا تُحِبُّونَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴾ بل رددتم قول النصحاء وأطعتم كل شيطان رجيم[١].

وهذا نبي الله شعيب ﷺ يخاطب قومه موبخًا لهم بعد هلاكهم ﴿ فَتَوَلَّىٰ عَنۡهُمۡ وَقَالَ يَٰقَوۡمِ لَقَدۡ أَبۡلَغۡتُكُمۡ رِسَٰلَٰتِ رَبِّي وَنَصَحۡتُ لَكُمۡۖ فَكَيۡفَ ءَاسَىٰ عَلَىٰ قَوۡمٖ كَٰفِرِينَ ﴾[الأعراف: ٩٣].

قال ابن كثير: أي فتولى عنهم شعيب ﷺ بعدما أصابهم ما أصابهم من العذاب والنقمة والنكال وقال مقرعًا لهم وموبخًا ﴿ يَٰقَوۡمِ لَقَدۡ أَبۡلَغۡتُكُمۡ رِسَٰلَٰتِ رَبِّي وَنَصَحۡتُ لَكُمۡ ﴾ أي: قد أديت إليكم ما أرسلت به فلا آسف عليكم وقد كفرتم بما جئتكم به فلهذا قال ﴿ فَكَيۡفَ ءَاسَىٰ عَلَىٰ قَوۡمٖ كَٰفِرِينَ ﴾[٢].

وقال السعدي: عند تفسيره لهذه الآية: وَقَالَ معاتبًا وموبخًا ومخاطبًا لهم بعد موتهم: يَٰقَوۡمِ لَقَدۡ أَبۡلَغۡتُكُمۡ رِسَٰلَٰتِ رَبِّي أي: أوصلتها إليكم وبينتها حتى بلغت منكم، أقصى ما يمكن أن تصل إليه، وخالطت أفئدتكم وَنَصَحۡتُ لَكُمۡ فلم تقبلوا نصحي ولا انقدتم لإرشادي، بل فسقتم وطغيتم فَكَيۡفَ ءَاسَىٰ عَلَىٰ قَوۡمٖ كَٰفِرِينَ أي: فكيف أحزن على قوم لا خير فيهم، أتاهم الخير فردوه، ولم يقبلوه، ولا يليق بهم إلا الشر، فهؤلاء غير حقيقين أن يحزن عليهم، بل يفرح بإهلاكهم ومحقهم، فعياذًا بك اللهم من الخزي والفضيحة، وأي شقاء وعقوبة أبلغ من أن يصلوا إلى حالة يتبرأ منهم أنصح الخلق لهم[٣].

وقال الألوسي[٤] في «روح المعاني» عند تفسيره لهذه الآية: يحتمل أن يكون

---

(١) تيسير الكريم الرحمن، ص: ٢٥٨.

(٢) تفسير ابن كثير: ٢/ ٢٠٥.

(٣) تيسير الكريم الرحمن، ص: ٢٦٠.

(٤) هو أبو الثناء شهاب الدين السيد محمود بن عبدالله الحسيني الألوسي، كان آية من آيات الله تعالى في جميع العلوم، وأعجوبة من عجائب الدهر، كان عالمًا باختلاف المذاهب، مطلعًا=

تأنيبًا وتوبيخًا لهم[١].

وهذا نبي الله ﷺ موبخًا ومقرعًا لصناديد قريش يوم بدر، فعن قتادة قال: ذكر لنا أنس بن مالك، عن أبي طلحة[٢] أن نبي الله ﷺ أمر يوم بدرٍ بأربعةٍ وعشرين رجلًا من صناديد قريش فقذفوا في طوى[٣] من أطواء بدرٍ خبيث مخبث، وكان إذا ظهر على قوم أقام بالعرصة[٤] ثلاث ليال، فلما كان ببدرٍ اليوم الثالث أمر براحلته فشد عليها رحلها ثم مشى وتبعه أصحابه وقالوا: ما نرى ينطلق إلا لبعض حاجته حتى قام على شفة الركي فجعل يناديهم بأسمائهم وأسماء آبائهم: «يا فلان ابن فلانٍ، ويا فلان ابن فلان، أيسركم أنكم

= على الملل والنحل والغرائب، سلفي الاعتقاد، شافعي المذهب، له مصنفات منها: (روح المعاني في تفسير القرآن والسبع المثاني)، و(نزهة الألباب في غرائب الاغتراب)، و(الفيض الوارد)، توفي سنة سبعين ومائتين وألف.

الأعلام: ٧/ ١٧٦، حلية البشر ٣/ ١٤٥٠، المسك الأذخر ص(٦٤)؛ إيضاح المكنون، ١/ ٤٧١؛ هدية العارفين، ٢/ ٣٧٠.

(١) روح المعاني، الألوسي، ٥/ ٩.

(٢) أبو طلحة زيد بن سهل بن الأسود بن حرام النجاري الخزرجي ربيب أنس بن مالك، عقبي، بدري، نقيب، ولاه النبي ﷺ قسمة شعره بين أصحابه، زوج أم سليم، كان إسلامه مهرها، قال النبي ﷺ: «صوت أبي طلحة في الجيش خير من فئة»، وكان يرمي بين يدي النبي ﷺ، وهو الذي حفر قبر النبي ﷺ ولحد له، وكان يسرد الصوم بعد وفاة النبي ﷺ حتى توفي غازيًا في البحر ودفن في الجزائر، وقيل: توفي بالمدينة سنة أربع وثلاثين، وقيل غير ذلك، وصلى عليه عثمان بن عفان.

معرفة الصحابة: ٢/ ٣٢٧، الإصابة: ٢/ ٥٠٢، الاستيعاب: ١/ ٣٣١، أسد الغابة: ٢/ ٢٤٦، صفة الصفوة، ابن الجوزي، ١/ ٢٤٧.

(٣) القليب والطوى بمعنى: وهي البئر المطوية بالحجارة.

شرح مسلم، للنووي: ١٧/ ٢٠٣.

(٤) سيأتي إن شاء الله معنى العرصة عند الحديث عن عرصات يوم القيامة.

أطعتم الله ورسوله؟ فإنا قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقًّا، فهل وجدتم ما وعد ربكم حقًّا؟ قال: فقال عمر: يا رسول الله، ما تكلم من أجساد لا أرواح لها، فقال رسول الله ﷺ: «والذي نفس محمد بيده ما أنتم بأسمع لما أقول منهم».

قال قتادة: أحياهم الله، حتى أسمعهم قوله توبيخًا وتصغيرًا ونقمة وحسرة وندمًا[1].

وقال أيضًا رحمه الله: أسمع شعيب قومه وأسمع صالح قومه كما أسمع نبيكم قومه يوم بدر يعني أنه خاطبهم بعد الهلاك[2].

قال علي القاري في «مرقاة المفاتيح»: قال قتادة: أحياهم الله تعالى حتى أسمعهم قوله توبيخًا وتصغيرًا أي: تحقيرًا ونقمة أي: انتقامًا وحسرة وندمًا أي: تحسيرًا وتنديمًا[3].

* * *

(١) رواه البخاري، كتاب المغازي، باب (قتل أبي جهل)، رقم (٣٧٥٧)، ص: ٨١٦-٨١٧.

(٢) زاد المسير، ابن الجوزي، ٣/ ٢٣٣.

(٣) مرقاة المفاتيح: ٦/ ٢٥٥٤.

المبحث السابع

العذاب النفسي في توبيخ القبور لهم

إن القبر الذي يسكن فيه الكافر أو المنافق يبغضه وهذه التربة التي خلق منها تغضب مع غضب ربها على الكافر والمنافق وتوبخه بتفريطه وسوء عمله.

عن غُضيف بن الحارث الكندي[١] قال: جلست أنا وأصحاب لي إلى عبدالله بن عمرو بن العاص فسمعته يقول: إن العبد إذا وضع في القبر كلمه فقال: يا ابن آدم ألم تعلم أني بيت الوحدة، وبيت الظلمة، وبيت الحق، يا ابن آدم ما غرك بي قد كنت تمشي ولي فدادًا، قال فقلت لغضيف[٢]: يا أبا أسماء ما فدادًا؟ قال: اختيالًا، فقال له صاحبي وكان أسن مني: فإذا كان مؤمنًا؟ قال: وسع له وجعل منزله أخضر وعرج بنفسه إلى الجنة[٣].

---

(١) هو غُضيف، وقيل: عفيف بن الحارث الكندي، وقيل: السكوني، وقيل: الأزدي، وهو ابن زنيم الثمالي، عداده في الحمصيين، كنيته: أبو أسماء، وقيل: غطيف بالطاء، مختلف في صحبته، قال عبدالرحمن بن أبي حاتم: له صحبة، واختلف في اسمه فقال بعضهم: الحارث ابن غطيف، وقال العجلي: شامي تابعي ثقة، قال صفوان بن عمرو: أن غضيف بن الحارث كان يتولى لهم صلاة الجمعة إذا غاب خالد بن يزيد بن معاوية، قال الهيثم بن عدي وخليفة ابن خياط: مات في زمان مروان بن الحكم، وقال غيرهما: بقي إلى زمان عبدالملك بن مروان، وهو الصحيح.

أسد الغابة: ٣/ ٤٤٥، الثقات: ٣/ ٣١١، الاستيعاب: ٢/ ١٣٨، معرفة الصحابة: ٤/ ٨٨؛ سير أعلام النبلاء:٣/ ٤٥٥.

(٢) القائل: عمرو بن عائد الأزدي.

(٣) رواه ابن أبي شيبة في المصنف، رقم (٣٠٥٠٣)، والإمام أحمد في كتاب الزهد: ٨/ ١٨٨، ورواه ابن عبدالبر في التمهيد: ١٨/ ١٤٢.

قال الحافظ العراقي في تخريج (الإحياء): وهذا في حكم المرفوع؛ إذ لا مجال فيه للرأي، ٦/ ٦٣٠؛ وصححه موقوفًا ابن رجب في أهوال القبور، ص: ٤٥، وقال محقق الكتاب رضوان جامع: صحيح موقوف.

حتى التراب الذي خلق منه والقبر الذي سيكون مسكنه ومضجعه فيه يبغض الكافر والمنافق، والعياذ بالله.

* * *

الباب الثاني

العذاب النفسي عند البعث وفي عرصات القيامة

ويشتمل على فصلين:

الفصل الأول: العذاب النفسي عند البعث والنشور.

الفصل الثاني: العذاب النفسي في عرصات يوم القيامة.

الفصل الأول
العذاب النفسي عند البعث والنشور

وفيه مبحثان:

المبحث الأول: تعريف البعث والنشور.

المبحث الثاني: العذاب النفسي عند الحشر.

المبحث الأول

تعريف البعث والنشور

سنتحدث في هذا المبحث إن شاء الله عن أربعة مطالب:

المطلب الأول: تعريف البعث:

البعث في اللغة:

قال ابن منظور[(١)] في لسان العرب: والبعث في كلام العرب على وجهين، أحدهما: الإرسال، كقوله تعالى: ﴿ ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِم مُّوسَىٰ ﴾[الأعراف:١٠٣] معناه: أرسلنا.

والبعث: إثارة باركٍ أو قاعدٍ، تقول: بعثت البعير فانبعث أي: أثرته فثار.

والبعث أيضًا: الإحياء من الله للموتى، ومنه قوله تعالى:﴿ ثُمَّ بَعَثْنَٰكُم مِّنْ بَعْدِ مَوْتِكُمْ ﴾ [البقرة:٥٦] أي: أحييناكم، وبعث الموتى: نشرهم ليوم البعث، وبعث الله الخلق يبعثهم بعثًا: نشرهم من ذلك، وفتح العين في البعث كله لغة، ومن أسمائه ﷻ: الباعث، هو الذي يبعث الخلق أي: يحييهم بعد الموت يوم

---

(١) محمد بن مكرم بن علي بن أحمد الأنصاري الإفريقي ثم المصري، جمال الدين أبو الفضل، كان ينتسب إلى رويفع بن ثابت الأنصاري، ولد سنة ثلاثين وستمائة، عمّر وكبر، وكان مغرمًا باختصار كتب الأدب المطولة، يقال إن مختصراته خمسمائة مجلد، وخدم في ديوان الإنشاء، وولي قضاء طرابلس، وكان صدرًا رئيسًا فاضلًا في الأدب مليح الإنشاء، عارفًا بالنحو واللغة والتاريخ، من مصنفاته: (لسان العرب)، و(اختصر تاريخ دمشق) و(اختصر الأغاني)، مات سنة إحدى عشر وسبعمائة.

مرآة الجنان: ٤/ ١٨٩؛ فوات الوفيات، محمد الكتبي، ٢/ ٤٣٦؛ الوافي بالوفيات: ٥/ ٦؛ العبر: ٤/ ٢٩؛ الدرر الكامنة: ٤/ ٢٦٢.

القيامة»[١].

وقال صاحب القاموس القويم للقرآن الكريم: «بعثه بعثًا: أرسله، وبعثه من نومه أيقظه، وبعث الله الموتى: أخرجهم من قبورهم أحياء، يوم البعث: يوم القيامة، قال تعالى: ﴿ فَهَٰذَا يَوْمُ ٱلْبَعْثِ وَلَٰكِنَّكُمْ كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾[الروم:٥٦] ﴿ وَٱلْمَوْتَىٰ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ ﴾[الأنعام:٣٦]أي: يحييهم يوم القيامة للحساب والجزاء»[٢].

وقال الراغب الأصفهاني: البعث إثارة الشيء وتوجيهه، يقال بعثته فانبعث[٣].

البعث في الاصطلاح:

هو المعاد الجسماني فإنه المتبادر عند الإطلاق؛ إذ هو الذي يجب اعتقاده ويكفر منكره[٤].

وقال ابن الأثير: بعث: في أسماء الله تعالى الباعث هو الذي يبعث الخلق، أي: يحييهم بعد الموت يوم القيامة[٥].

* * *

---

(١) لسان العرب، ١/ ٤٥٠.

(٢) القاموس القويم للقرآن الكريم، إبراهيم عبدالفتاح، ص: ٦٦.

(٣) مفردات ألفاظ القرآن، ص: ١٣٢.

(٤) لوامع الأنوار البهية، ٢/ ١٥٧.

(٥) النهاية في غريب الحديث والأثر، ١/ ١٣٧.

المطلب الثاني

تعريف النشور

النشور لغة: يقال نَشَرَ الميتُ يَنْشُر نُشُورًا: إذا عاش بعد الموت، وأنشره السر أي: أحياه، ومنه يوم النشور(١).

والنشور اصطلاحًا: قيام الأموات من قبورهم للجزاء والحساب.

والبعث والنشور كلمتان مترادفتان لمعنى واحد.

* * *

(١) انظر: لسان العرب، ٨/ ٥٥٢، معجم الصحاح، ص(١٠٤٠).

المطلب الثالث

إثبات البعث والنشور

تضافرت أدلة الكتاب والسنة على إثبات البعث والنشور وأنه حق لا مرية فيه، وقد نوع الله سبحانه وتعالى في كتابه طرق إثباته فتارة بالدلالة القاطعة على وقوعه مع تأكيد ذلك بقسمه سبحانه وتعالى: ﴿ زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَن لَّن يُبۡعَثُواْۚ قُلۡ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبۡعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلۡتُمۡۚ وَذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ ﴾ [التغابن:٧]، وتارة يدل وقوعه بالأدلة الحسية كقول إبراهيم عليه السلام: ﴿ رَبِّ أَرِنِي كَيۡفَ تُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰۖ ﴾ [البقرة:٢٦٠]، وتارة على وقوعه بالأدلة العقلية في نزول المطر وإحياء الأرض الميتة به قال تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ ٱلَّذِيٓ أَرۡسَلَ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابٗا فَسُقۡنَٰهُ إِلَىٰ بَلَدٖ مَّيِّتٖ فَأَحۡيَيۡنَا بِهِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَاۚ كَذَٰلِكَ ٱلنُّشُورُ ﴾ [فاطر:٩] وغير ذلك من الآيات الكثيرة الدالة على البعث والنشور.

وأما من السنة فعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «قَالَ اللهُ: كَذَّبَني ابْنُ آدَمَ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ ذَلِكَ، وَشَتَمَني وَلَمْ يَكُنْ لَهُ ذَلِكَ، فَأَمَّا تَكْذيبُهُ إيَّايَ، فَقَوْلُهُ: لَنْ يُعيدَني كَما بَدَأَني، وَلَيْسَ أَوَّلُ الْخَلْقِ بِأَهْوَنَ عَلَيَّ مِنْ إعادَته، وَأَمَّا شَتْمُهُ إيَّايَ فَقَوْلُهُ: اتَّخَذَ اللهُ وَلَدًا، وَأَنَا الأَحَدُ الصَّمَدُ لَمْ أَلِدْ وَلَمْ أُولَدْ وَلَمْ يَكُنْ لي كُفُوًا أَحَدٌ»[١].

وأما أقوال أهل العلم في ذلك فهي كثيرة مسطرة في كتبهم منها:

قال أبو عثمان الصابوني: يؤمن أهل الدين والسنة بالبعث بعد الموت يوم القيامة[٢].

---

(١) رواه البخاري، كتاب التفسير، باب (وقالوا اتخذ الله ولدًا)، رقم (٤٤٨٢)، ص(٩٢٤).

(٢) عقيدة السلف أصحاب الحديث، للصابوني، ص(٨٥).

وقال ابن أبي العز الحنفي في «شرح الطحاوية»: والإيمان بالمعاد مما دل عليه الكتاب والسنة والعقل والفطرة السليمة(١).

وقال السفاريني: دل على قيام الناس من الأجداث، الكتاب والسنة، وإجماع الأمة(٢).

* * *

(١) شرح الطحاوية، ص(٤٠٤).

(٢) البحور الزاخرة: ١/ ٦٠٧، لوامع الأنوار البهية: ٢/ ١٥٨-١٥٩.

المطلب الرابع

العذاب النفسي عند الخروج من القبر

وفيه ثلاثة فروع:

الفرع الأول: تعريف النفخ في الصور:

النفخ لغة: يدل على انتفاخ وعلو، منه انتفخ الشيءُ انتفاخًا، ويقال: انتفخ النهار: علا، والمنفوخ: الرجل السمين[١].

النفخ اصطلاحًا: هو إرسال الهواء من الفم بقوة[٢].

الصور لغة: بالضم: القَرْنُ يُنْفَخُ فيه[٣].

الصور اصطلاحًا: قرن من نور يجعل فيه الأرواح[٤].

إذًا فالنفخ في الصور هو: نفخ إسرافيل عليه السلام في القرن نفخة البعث والنشور[٥].

* * *

---

(١) معجم مقاييس اللغة، ص(١٠٠٢).

(٢) عون المعبود شرح سنن أبي داود، ١/ ٢٦٥.

(٣) انظر: معجم الصحاح، ص(٦٠٦)، تهذيب اللغة: ١٢/ ١٦٠، لسان العرب: ٥/ ٢٤٨، تاج العروس، ١٢/ ١٩٠.

(٤) التذكرة، للقرطبي، ص(١٤٥).

(٥) انظر: التذكرة، ص(١٤٩-١٥٠)، لوامع الأنوار، ٢/ ١٦١.

الفرع الثاني

إثبات النفخ في الصور

النفخ في الصور ثابت بالكتاب والسنة وإجماع الأمة.

أما الكتاب فقوله تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ۖ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ﴾[الزمر:٦٨]. وقال تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَإِذَا هُم مِّنَ ٱلْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ﴾ [يس:٥١].

وأما السنة فعن أبي هريرة ﷺ قال قال رسول الله ﷺ: «مَا بَيْنَ النَّفْخَتَيْنِ أَرْبَعُونَ»، قَالُوا: يَا أَبَا هُرَيْرَةَ أَرْبَعُونَ يَوْمًا؟ قَالَ: أَبَيْتُ. قَالُوا: أَرْبَعُونَ شَهْرًا؟ قَالَ: أَبَيْتُ[1]، قَالُوا: أَرْبَعُونَ سَنَةً؟ قَالَ: أَبَيْتُ، «ثُمَّ يُنْزِلُ اللهُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَيَنْبُتُونَ كَمَا يَنْبُتُ الْبَقْلُ»، قَالَ: «وَلَيْسَ مِنَ الإِنْسَانِ شَيْءٌ إِلاَّ يَبْلَى إِلاَّ عَظْمًا وَاحِدًا وَهُوَ عَجْبُ الذَّنَبِ[2] وَمِنْهُ يُرَكَّبُ الْخَلْقُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»[3].

---

(١) وقول أبي هريرة (أبيت) لأهل العلم فيها تأويلات: قيل: إنه له فيها علمًا بتعيينها، وقيل: إنه لم يسمعها إلا مجملة فلهذا قال لمن عينها له: أبيت، وقيل: يحتمل أنه علم ذلك لكن سكت ليخبرهم في وقت، أو اشتغل عن الإعلام حينئذ، وقيل: أبيت أن أسال النبي ﷺ عن ذلك.

انظر: فتح الباري، ٨/ ٤١٤، البحور الزاخرة، ١/ ٦٠٥.

(٢) عَجْب الذنب: هو بفتح العين، وإسكان الجيم أي: العظم اللطيف في أسفل الصلب، وهو: رأس العصعص، ويقال له: عجم بالميم، وهو: أول ما يخلق من الآدمي، وهو: الذي يبقى منه ليعاد تركيب الخلق عليه.

انظر: شرح النووي على صحيح مسلم، ١٨/ ٢٩٢.

(٣) رواه البخاري، كتاب التفسير، باب قوله (يوم ينفخ في الصورة فتأتون أفواجًا)، رقم (٢٩٣٥)، ص(١٠٦٦)، وورواه مسلم، كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب (ما بين النفختين)، رقم (٢٩٥٥)، ٤/ ١٧٩٦.

وعن أبي سعيد الخدري ﷺ أن النبي ﷺ كان يقول: «كَيْفَ أَنْعَمُ وَصَاحِبُ الصُّورِ قَدِ الْتَقَمَ الْقَرْنَ، وَحَنَى جَبْهَتَهُ، وَأَصْغَى بِسَمْعِهِ، يَنْتَظِرُ مَتَى يُؤْمَرُ»[١].

* * *

(١) رواه الترمذي، باب ما جاء في شأن الصور، كتاب صفة القيامة والرقائق والورع، رقم (٢٤٣١)، ٤/٣٥٦.

وقال أبو عيسى: هذا حديث حسن، وقال الألباني في صحيح وضعيف الترمذي: صحيح، ص(٥٤٨)، ورواه أحمد في مسنده، رقم (١١٦٩٦)، ١٨/٢٢٨، قال الأرنؤوط: صحيح لغيره، هذا إسناد ضعيف؛ لضعف العوفي، وهو عطية بن سعد، ولاضطرابه فيه، وباقي رجاله ثقات رجال الشيخين، ورواه النسائي في السنن الكبرى، كتاب التفسير، باب قوله (الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم)، رقم (١١٠٨٢)، ٦/٣١٦، من رواية أبي هريرة، ورواه ابن أبي شيبة في مصنفه، رقم (٢٩٥٧٨)، ٦/٧٧، من رواية ابن عباس.

الفرع الثالث

العذاب النفسي بعد نفخة الفزع وخروجهم من قبورهم

يستمر العذاب البرزخي على الجسد والروح على الكافرين والمنافقين إلى ما بين النفختين، فيمكثون أربعين يفتر عنهم فيها العذاب ثم ينفخ نفخة الفزع فيبعثون من قبورهم فينادون بالويل على أنفسهم ويقولون ﴿ يَٰوَيۡلَنَا مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرۡقَدِنَاۜ ﴾[يس: ٥٢]، فقد أيقنوا بالعذاب من قبل فلما انقطع عنهم ما بين النفختين فإذا بعثوا من نومهم بعد النفخة الأخيرة وعاينوا القيامة علموا بعودة العذاب عليهم فدعوا بالويل والعياذ بالله، ثم يأتيهم بعد قولهم ذلك رد الله أو رد الملائكة وأهل العلم والإيمان: ﴿ هَٰذَا مَا وَعَدَ ٱلرَّحۡمَٰنُ وَصَدَقَ ٱلۡمُرۡسَلُونَ ﴾ [يس:٥٢] هذا يوم البعث الذي أنكرتموه وذلك على وجه التقريع والتوبيخ لهم.

قال ابن عباس، وأبي بن كعب، ومجاهد، وقتادة، وأبو صالح عن قول الكفار والمنافقين إذا قاموا من قبورهم ﴿ قَالُواْ يَٰوَيۡلَنَا مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرۡقَدِنَاۜ ﴾: إنما يقولون هذا لأن الله تعالى يرفع عنهم العذاب بين النفختين فيرقدون، فإذا بعثوا بعد النفخة الأخيرة وعاينوا القيامة دعوا بالويل(١).

وقال أهل المعاني: إن الكفار إذا عاينوا جهنم وأنواع عذابها صار عذاب القبر في جنبها كالنوم فقالوا يَٰوَيۡلَنَا مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرۡقَدِنَاۜ ثم قالوا ﴿ هَٰذَا مَا وَعَدَ ٱلرَّحۡمَٰنُ وَصَدَقَ ٱلۡمُرۡسَلُونَ ﴾ أقروا حين لم ينفعهم الإقرار، وقيل: قالت الملائكة لهم: ﴿ هَٰذَا مَا وَعَدَ ٱلرَّحۡمَٰنُ وَصَدَقَ ٱلۡمُرۡسَلُونَ ﴾ قال مجاهد: يقول الكفار ﴿ مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرۡقَدِنَاۜ ﴾ فيقول المؤمنون ﴿ هَٰذَا مَا وَعَدَ ٱلرَّحۡمَٰنُ وَصَدَقَ

---

(١) معالم التنزيل: ٧/ ٢١؛ الكشاف للزمخشري: ٤/ ٢٣؛ الدر المنثور، السيوطي، ٧/ ٦٣- ٦٤.

ٱلْمُرْسَلُونَ ﴾(١).

خروجهم من الأجداث سراعًا كأنهم جراد منتشر:

قال تعالى: ﴿ فَتَوَلَّ عَنْهُمْ يَوْمَ يَدْعُ ٱلدَّاعِ إِلَىٰ شَيْءٍ نُّكُرٍ ۞ خُشَّعًا أَبْصَٰرُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ ٱلْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُّنتَشِرٌ ۞ مُّهْطِعِينَ إِلَى ٱلدَّاعِ يَقُولُ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا يَوْمٌ عَسِرٌ ﴾[القمر: ٦].

قال المفسرون: والمعنى أن أبصارهم خاضعة عند رؤية العذاب، والأجداث: القبور، وإنما شبههم بالجراد المنتشر؛ لأن الجراد لا جهة له يقصدها فهو أبدًا مختلف في بعض، فهم يخرجون فزعين ليس لأحد منهم جهة يقصدها، والداعي إسرافيل(٢).

* * *

(١) معالم التنزيل: ٧/ ٢١.

(٢) زاد المسير، ابن الجوزي، ٨/ ٩١.

المبحث الثاني

العذاب النفسي عند الحشر

حشر الناس يوم القيامة بعد خروجهم من قبورهم أمرٌ عظيم شديدُ الكرب وصفه النبي ﷺ بهول المطلع.

قال أبو عبيد القاسم بن سلام[١] في غريب الحديث: «في حديث عمر حين قال عند موته: لو أن لي ما في الأرض جميعًا لافتديت به من هول المطلع[٢]، قال الأصمعي[٣]: المطلع هو موضع الإطلاع من إشراف إلى انحدار، قال أبو عبيد:

---

(١) هو أبو عبيد القاسم بن سلام، البغدادي الفقيه القاضي صاحب التصانيف، ولد بهراة، وكان مولى الأزدي كان مؤدبًا، صاحب نحو وعربية، وطلب الحديث والفقه، وولي قضاء طرسوس، وصنف كتبًا، قال أحمد بن سلمة النيسابوري: سمعت إسحاق بن راهويه يقول: الحق يحبه الله، أبو عبيد أفقه مني وأعلم مني، قال عنه الدارقطني: ثقة إمام جبل، وقال عنه الحاكم: هو الإمام المقبول عند الكل، من مصنفاته (غريب المصنف)، و(غريب القرآن)، و(معاني القرآن)، مات بمكة سنة أربع وعشرين ومائتين، وقيل: سنة ست عشرة ومائتين.
تهذيب التهذيب: ٣/ ٤١٠؛ وفيات الأعيان: ٢/ ٢٦٥؛ غاية النهاية: ٢/ ١٨؛ تاريخ بغداد للخطيب البغدادي: ١٢/ ٤٠١؛ معجم الأدباء: ١٦/ ٢٥٤.

(٢) وهذا الأثر رواه الإمام أحمد في مسنده رقم (٣٢٢)، ١/ ٤٠٨. قال الأرنؤوط: إسناده صحيح، رجاله ثقات رجال الشيخين غير داود بن عبدالله الأودي فقد روى له أصحاب السنن، وهو ثقة.

(٣) هو الإمام العلامة الحافظ حجة الإسلام لسان العرب أبو سعيد عبدالملك بن قريب بن عبدالملك، الأصمعي البصري اللغوي الأخباري، ولد سنة بضع وعشرين ومائة، قال الربيع: سمعت الشافعي يقول: ما عبر أحد عن العرب بأحسن من عبارة الأصمعي، وقال ابن معين: كان الأصمعي من أعلم الناس في فنه، قال المبرد: كان الأصمعي بحرًا في اللغة لا نعرف مثله فيها، وكان أبو زيد أنحى منه، وتصانيف الأصمعي ونوادره كثيرة وأكثر تواليفه مختصرات وقد فقد أكثرها، مات سنة ست عشرة ومائتين.
سير أعلام النبلاء: ١٠/ ١٧٥؛ التاريخ الصغير، ٢/ ٣٠٨؛ الوافي بالوفيات: ١٩/ ١٢٦؛=

فشبه ما أشرف عليه من أمر الآخرة بذلك، وقد يكون المطلع المصعد من أسفل إلى المكان المشرف، وهذا من الأضداد»[١].

وقيل المراد به: هو موضع الإطلاع من إشراف إلى انحدار، فشبه ما أشرف عليه من أمر الآخرة بذلك[٢].

عن جابر بن عبدالله رضي الله عنهما، قال: قال رسول الله ﷺ: «**لَا تَمَنَّوْا الْمَوْتَ، فَإِنَّ هَوْلَ الْمَطْلَعِ شَدِيدٌ، وَإِنَّ مِنَ السَّعَادَةِ أَنْ يَطُولَ عُمْرُ الْعَبْدِ، وَيَرْزُقَهُ اللهُ الْإِنَابَةَ**»[٣].

وسيكون حديثنا عن هول ذلك اليوم على الكافرين والمنافقين في عشرة مطالب:

* * *

=تهذيب الكمال: ٤/ ٥٦٩؛ طبقات النحويين، ص: ١٦٧.

(١) غريب الحديث، لابن سلام، ٢/ ١٩.

(٢) غريب الحديث، ابن الجوزي، ٢ / ٣٧.

(٣) رواه أحمد في مسنده، رقم (١٤٥٦٤)، ٢٢/ ٤٢٦، قال الأرنؤوط: حسن لغيره، وهذا إسناد محتمل للتحسين ورواه عبد بن حميد في مسنده، رقم (١١٥٥)، ص: ٣٤٩، قال محققه: إسناده ضعيف، ورواه أحمد في الزهد، ص: ٢٩، ورواه البيهقي في شعب الإيمان، رقم (١٠٥٨٩)، ٧/ ٣٤١٩، ورواه أيضًا في (الآداب)، ص: ٣١٤، قال محققه مجدي الشوري: إسناده ضعيف، ورواه الهيثمي في مجمع الزوائد، ١٠/ ٢٠٣، وقال: رواه أحمد والبزار، وإسناده حسن.

المطلب الأول

تعريف الحشر

الحشر لغة: حشر الناس جمعهم، ومنه يوم الحشر، والمحشِرُ بكسر الشين موضع الحشر، والحاشر من أسماء النبي ﷺ[١].

الحشر اصطلاحًا: هو جمع الأجزاء بعد التفرق مع إحياء الأبدان بعد موتها[٢].

* * *

---

(١) انظر: معجم الصحاح، ص(٢٣٧)، تاج العروس، ١١/ ١١-١٢.

(٢) البحور الزاخرة، ٢/ ٦١٠.

المطلب الثاني

توبيخ الله لهم في ذلك اليوم

١- قال تعالى: ﴿ وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوٓا۟ أَيْنَ شُرَكَآؤُكُمُ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٢٢﴾ ثُمَّ لَمْ تَكُن فِتْنَتُهُمْ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ ﴿٢٣﴾ ٱنظُرْ كَيْفَ كَذَبُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ ۚ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴾[الأنعام:٢٢-٢٤].

ففي هذه الآيات تقريع وتوبيخ لهم على رؤوس الأشهاد وسؤالهم عن شركائهم الذين اتخذوهم آلهة من دون الله.

قال أبو السعود[1] في تفسيره: «وهذا السؤال المنبئ عن غيبة الشركاء مع عموم الحشر لها لقوله تعالى: ﴿ ٱحْشُرُوا۟ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ وَأَزْوَٰجَهُمْ وَمَا كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ﴿٢٢﴾ مِن دُونِ ٱللَّهِ ﴾[الصافات:٢٢] وغير ذلك من النصوص إنما يقع بعدما جرى بينها وبينهم من التبرؤ من الجانبين وتقطع ما بينهم من الأسباب والعلائق حسبما يحكيه قوله تعالى ﴿ فَزَيَّلْنَا بَيْنَهُمْ ﴾ الخ، ونحو ذلك من الآيات الكريمة، إما بعدم حضورها حينئذٍ في الحقيقة بإبعادها من ذلك الموقف، وإما بتنزيل عدم حضورها بعنوان الشركة والشفاعة منزلة عدم حضورها في الحقيقة؛ إذ ليس السؤال عنها من حيث ذواتها إنما هو من حيث إنها شركاء كما يعرب عنه الوصف بالموصوف،

---

(١) هو أبو السعود محمد بن محمد بن مصطفى العمادي الحنفي، الإمام العلامة، ولد سنة ثمان وتسعين وثمانمائة بقرية قريبة من قسطنطينية، وقرأ على والده، وتقلد قضاء برسة ثم قضاء قسطنطينية، ثم قضاء العسكر ثم لما توفي سعد الله بن عيسى بن أمير خان تولى مكانه الفتيا، وقد اشتغل بالتدريس والفتوى، له تصانيف منها تفسيره (إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم)، مات سنة ثلاث وستين وتسعمائة.

شذرات الذهب: ٦/ ٣٩٨، مناهل العرفان، للزرقاني: ٢/ ٥٦؛ كشف الظنون: ١/ ١٤٠؛ الأعلام: ٧/ ٥٩.

ولا ريب في أن عدم الوصف يوجب عدم الموصوف من حيث هو موصوف فهي من حيث هي شركاء غائبة لا محالة وإن كانت حاضرة من حيث ذواتها أصنامًا كانت أو غيرها.

وأما ما يقال من أنه يحال بينها وبينهم في وقت التوبيخ ليفقدوهم في الساعة التي علقوا بها الرجاء فيها فيروا مكان خزيهم وحسرتهم فربما يشعر بعدم شعورهم بحقيقة الحال وعدم انقطاع رجائهم عنها بعد وقد عرفت أنهم شاهدوها قبل ذلك وانصرمت عروة أطماعهم عنها بالكلية على أنها معلومة لهم حين الموت والابتلاء بالعذاب في البرزخ وإنما يحصل يوم الحشر الانكشاف الجلي واليقين القوي المترتب على المحاضرة والمحاورة»[1].

٢- وقال تعالى: ﴿ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُواْ عَلَىٰ رَبِّهِمْۚ قَالَ أَلَيْسَ هَٰذَا بِٱلْحَقِّۚ قَالُواْ بَلَىٰ وَرَبِّنَاۚ قَالَ فَذُوقُواْ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴾[الأنعام: ٣٠].

يقول ﷻ في هذه الآية مخبرًا عن حال الكافرين يوم القيامة.

ولو ترى يا محمد إذ و قفوا عند ربهم فقال موبخًا ومقرعًا لهم أليس هذا البعث أو العذاب حق فأقروا واعترفوا وقالوا بلسان الحسرة والندامة حين لا ينفعهم ذلك ﴿ بَلَىٰ وَرَبِّنَاۚ ﴾ فيجيبهم الجبار جل وعلا ﴿ فَذُوقُواْ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴾.

قال السعدي: في قوله: ﴿ وَلَوْ تَرَىٰٓ الكافرين إِذْ وُقِفُواْ عَلَىٰ رَبِّهِمْۚ ﴾ لرأيت أمرًا عظيمًا، وهولًا جسيمًا ﴿ قَالَ ﴾ لهم موبخًا ومقرعًا ﴿ أَلَيْسَ هَٰذَا ﴾ الذي ترونه من العذاب ﴿ بِٱلْحَقِّۚ قَالُواْ بَلَىٰ وَرَبِّنَا ﴾ فأقروا واعترفوا حيث لا ينفعهم ذلك[2].

---

(١) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، أبو السعود، ٣/ ١١٩-١٢٠.

(٢) تيسير الكريم الرحمن، ص: ٢١٦.

٣- وقال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَىٰ كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُم مَّا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ ۖ وَمَا نَرَىٰ مَعَكُمْ شُفَعَاءَكُمُ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَاءُ ۚ لَقَد تَّقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنكُم مَّا كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴾[الأنعام: ٩٤].

في هذه الآية خبر من الله ﷻ أنه يقول للكافرين يوم القيامة ﴿ وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَىٰ ﴾ وحدانا لا مال معكم ولا ولد ولا خدم ﴿ كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ ﴾ عراة حفاة غرلًا[١] ﴿ وَتَرَكْتُم مَّا خَوَّلْنَاكُمْ ﴾ وخلفتم ما أعطيناكم في الدنيا من مال وأولاد وأزواج وخدم ﴿ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ ﴾ في الدنيا بغير اختياركم، ويناديهم الرب جل جلاله على رؤوس الخلائق توبيخًا وتقريعًا ﴿ وَمَا نَرَىٰ مَعَكُمْ شُفَعَاءَكُمُ ﴾ الأصنام والآلهة التي عبدتموها من دوني والذين زعمتم أنهم يستحقون العبادة وجعلتموهم شركاء لله فاليوم تقطع شملكم وتشتت وذهب ما كنتم تزعمون في الدنيا من شفاعتهم لكم[٢].

٤- وقال تعالى: ﴿ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٧٤﴾ وَنَزَعْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا فَقُلْنَا هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ فَعَلِمُوا أَنَّ الْحَقَّ لِلَّهِ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴾[القصص: ٧٥].

وفي هذه الآية أيضًا عذابٌ نفسيٌّ على الكافرين حين يناديهم الجبار جل وعلا يوم القيامة موبخًا ومقرعًا لهم على رؤوس الأشهاد.

قال ابن كثير: وهذا أيضًا نداء ثان على سبيل التوبيخ والتقريع لمن عبد مع الله إلهًا آخر يناديهم الرب تعالى على رؤوس الأشهاد، فيقول: ﴿ أَيْنَ شُرَكَائِيَ

---

(١) قال النووي: غرلًا: غير مختونين، جمع أغرل وهو الذي لم يختن وبقيت معه غرلته وهي قلفته وهي الجلدة التي لم تقطع في الختان. شرح النووي على صحيح مسلم: ١٧/ ١٩٠-١٩١.

(٢) انظر: معالم التنزيل: ٣/ ١٦٩؛ تفسير ابن كثير: ٢/ ١٤٠-١٤١؛ تيسير الكريم الرحمن، ص: ٢٢٧.

﴿ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴾ أي: في دار الدنيا ﴿ وَنَزَعْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا ﴾ قال مجاهد: يعني رسولًا ﴿ فَقُلْنَا هَاتُوا۟ بُرْهَـٰنَكُمْ ﴾ أي: على صحة ما ادعيتموه من أن لله شركاء ﴿ فَعَلِمُوٓا۟ أَنَّ ٱلْحَقَّ لِلَّهِ ﴾ أي: لا إله غيره فلم ينطقوا ولا يحيروا جوابًا ﴿ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴾ أي: ذهبوا فلم ينفعوهم[1].

٥- وقال تعالى: ﴿ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ أَيْنَ شُرَكَآءِى قَالُوٓا۟ ءَاذَنَّـٰكَ مَا مِنَّا مِن شَهِيدٍ ۝٤٧ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَدْعُونَ مِن قَبْلُ ۖ وَظَنُّوا۟ مَا لَهُم مِّن مَّحِيصٍ ﴾[فصلت: ٤٧-٤٨].

وهذه الآية كسابقتها فيها أن الله ﷻ يناديهم يوم الأشهاد على رؤوس الخلائق موبخًا ومقرعًا لهم ومظهرًا كذبهم فيقول ﴿ أَيْنَ شُرَكَآءِى ﴾ الذين كنتم تشركون بهم في الدنيا ثم يعترفون ببطلان عباداتهم لها ويتبرؤون منها ثم أيقنوا بعد ذلك بالعذاب.

٦- وقوله تعالى: ﴿ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَفَلَمْ تَكُنْ ءَايَـٰتِى تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَٱسْتَكْبَرْتُمْ وَكُنتُمْ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ﴾[الجاثية: ٣١]وفي هذه الآية أيضًا توبيخ وتقريع وتهكم بهم من الجبار جل وعلا على عدم الإيمان، ألم تكن تأتيكم رسلي أفلم تكن آياتي تتلى عليكم فاستكبرتم وكنتم قومًا مجرمين.

قال الألوسي في قوله: ﴿ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَفَلَمْ تَكُنْ ءَايَـٰتِى تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ﴾ أي: فيقال لهم بطريق التقريع والتوبيخ: ألم تكن تأتيكم رسلي، إلى أن يقول: وفائدة هذا الأسلوب مع أن الأصل فيدخلهم في عذابه الدلالة على أن المؤمنين يدخلون الجنة والكافرون بعد الموقف معذبون بالتوبيخ[2].

---

(١) تفسير ابن كثير: ٤/ ٣٥٠.

(٢) روح المعاني، ١٣/ ١٥٤.

٧-وقوله تعالى: ﴿ فَإِن كَانَ لَكُمْ كَيْدٌ فَكِيدُونِ ﴾[المرسلات: ٣٩].

قال الفخر الرازي[1]: فخطاب الله لهم في هذه الحالة بقوله فَإِن كَانَ لَكُمْ كَيْدٌ فَكِيدُونِ نهاية في التخجيل والتقريع، وهذا من جنس العذاب الروحاني[2].

* * *

---

(١) هو الفخر الرازي المتكلم صاحب التفسير والتصانيف، يعرف بابن خطيب الري، محمد بن عمر بن الحسين بن علي القرشي التيمي البكري أبو المعالي، أحد الفقهاء الشافعية، وقد كان معظماً عند ملوك خوارزم وغيرهم، وبنيت له مدارس كثيرة في بلدان شتى، قال ابن حجر: وله تشكيكات على مسائل من دعائم الدين تورث حيرة نسأل الله أن يثبت الإيمان في قلوبنا، وقد رجع عن منهج الكلام في آخر حياته ولزم طريقة السلف، له تصانيف منها (التفسير الكبير)، و(المحصول) في أصول الفقه، و(المطالب العالية)، مات سنة ست وستمائة.

البداية والنهاية، ١٣/ ٦٦؛ لسان الميزان: ٤/ ٤٩٨؛ وفيات الأعيان: ٣/ ٨١؛ التدوين في أخبار قزوين، عبدالكريم القزويني، ١/ ٤٧٧؛ طبقات الشافعية الكبرى، ٨/ ٨١.

(٢) مفاتيح الغيب، ٣٠/ ٢٤٨.

المطلب الثالث

توبيخ بعضهم لبعض في ذلك اليوم

وبعد الحديث عن توبيخ وتقريع الله لهم يوم القيامة زيادة في عذابهم النفسي يأتي تقريع وتوبيخ بعضهم لبعض بسبب شركهم وطاعة بعضهم لبعض في معصية الله، فمن ذلك ما ذكره الله ﷻ في كتابه من توبيخ الجن والإنس بعضهم لبعض، قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ قَدِ ٱسْتَكْثَرْتُم مِّنَ ٱلْإِنسِ ۖ وَقَالَ أَوْلِيَآؤُهُم مِّنَ ٱلْإِنسِ رَبَّنَا ٱسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ وَبَلَغْنَآ أَجَلَنَا ٱلَّذِىٓ أَجَّلْتَ لَنَا ۚ قَالَ ٱلنَّارُ مَثْوَىٰكُمْ خَٰلِدِينَ فِيهَآ إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴾ [الأنعام: ١٢٨].

قال الزمخشري في «كشافه» عند تفسيره لقوله ﴿وَبَلَغْنَآ أَجَلَنَا ٱلَّذِىٓ أَجَّلْتَ لَنَا﴾: يعنون يوم البعث، وهذا الكلام اعتراف بما كان منهم من طاعة الشياطين واتباع الهوى والتكذيب بالبعث واستسلام لربهم وتحسر على حالهم[(١)].

* * *

(١) الكشاف: ٢/ ٦١.

المطلب الرابع
توبيخهم لأنفسهم في ذلك اليوم

إن حسرات الكافرين والمنافقين في ذلك اليوم لا تنقضي، وتندمهم على التفريط في جنب الله لا ينتهي، وما ذاك إلا لإعراضهم عن ذكر الله، وعدم إيمانهم وسخريتهم بالبعث والنشور، فتندموا حين لا تنفع الندامة، وتحسروا حين لا تنفع الحسرات، فقد حكى الله عنهم ذلك في عدة آيات منها:

١ - قوله تعالى: ﴿أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَٰحَسْرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِى جَنۢبِ ٱللَّهِ وَإِن كُنتُ لَمِنَ ٱلسَّٰخِرِينَ ۝ أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ ٱللَّهَ هَدَىٰنِى لَكُنتُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ [الزمر: ٥٦-٥٧].

قال الشوكاني في «فتح القدير»: قال البصريون: أي حذرًا أن تقول، وقال الكوفيون: لئلا تقول.

قال المبرد[1]: بادروا خوف أن تقول أو حذرًا من أن تقول نفس.

وقال الزجاج: خوف أن تصيروا إلى حال تقولون فيها يا حسرتا على ما

---

(١) هو إمام النحو، أبو العباس محمد بن يزيد بن عبدالأكبر، الأزدي البصري النحوي الأخباري، وكان إمامًا، علامة جميلًا وسيمًا فصيحًا مفوهًا صاحب نوادر وطرف، ولد في البصرة، كان إسماعيل القاضي يقول: ما رأى المبرد مثل نفسه، يقال: أن المازني أعجبه جوابه، فقال له: قم فأنت المبرد، أي المثبت للحق، ثم غلب عليه، له مصنفات منها (الكامل في اللغة والأدب)، و(المقتضب)، و(ما اتفق لفظه واختلف معناه من القرآن المجيد)، قال ابن كثير: كان ثقة ثبتًا فيما ينقله، وقال الخطيب البغدادي: كان عالمًا فاضلًا موثوقًا في الرواية، مات سنة ست وثمانين ومائتين.

سير أعلام النبلاء: ١٣/ ٥٧٦؛ تاريخ بغداد: ٤/ ١٥١؛ المنتظم: ١٢/ ٣٨٨؛ الفهرست، لابن النديم، ص١٢؛ إنباه الرواة: ٣/ ٢٤١.

فرطت في جنب الله، قيل: والمراد بالنفس هنا الكافرة، وقيل: المراد به التكثير، والحسرة والندامة، ومعنى ﴿عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِى جَنۢبِ ٱللَّهِ﴾ على ما فرطت في طاعة الله.

قال الحسن، وقال الضحاك: على ما فرطت في ذكر الله، ويعني به القرآن والعمل به، وقال أبو عبيدة: ﴿فِى جَنۢبِ ٱللَّهِ﴾ أي: ثواب الله.

وقال الفراء[1]: الجنب: القرب والجوار، أي قرب الله وجواره ومنه قوله: ﴿وَٱلصَّاحِبِ بِٱلْجَنۢبِ﴾ والمعنى على هذا القول على ما فرطت في طلب جنب الله، أي: في طلب جواره وقربه وهو الجنة، وبه قال ابن الأعرابي[2].

وقال الزجاج: أي فرطت في الطريق الذي هو طريق الله من توحيده

---

(١) هو أبو زكريا يحيى بن زياد بن عبدالله بن منصور الكوفي، نزيل بغداد المشهور بالفراء، شيخ النحاة واللغويين والقراء، كان يقال له: أمير المؤمنين في النحو، وكان ثقة إمامًا، قال أبو العباس ثعلب: لولا الفراء لما كانت عربية؛ لأنه خلصها وضبطها، صنف للمأمون كتاب (الحدود في النحو) و(كتاب المعاني) وعمل كتابًا على جميع القرآن، وكتاب (ما يلحن فيه العامة)، توفي سنة سبع ومائتين.

وفيات الأعيان: ٣/ ٢٩٠؛ البداية والنهاية: ١٠/ ٢٨٣؛ غاية النهاية في طبقات القراء، ٢/ ٣٢٤؛ شذرات الذهب: ٢/ ١٩؛ بغية الوعاة: ٢/ ٣٣٣.

(٢) هو إمام اللغة أبو عبدالله محمد بن زياد بن الأعرابي الهاشمي مولاهم النسابة، قال ثعلب: لزمت ابن الأعرابي تسع عشرة سنة وكان يحضر مجلسه زهاء مائة إنسان، وما رأيت بيده كتابًا قط، انتهى إليه علم اللغة والحفظ، قال الأزهري: ابن الأعرابي صالح، زاهد، ورع، صدوق، حفظ ما لم يحفظه غيره، صحب الكسائي في النحو. وكان صاحب سنة واتباع، من مصنفاته: (تاريخ قبائل العرب)، و(الألفاظ)، و(تفسير الأمثال)، مات بسامراء سنة إحدى وثلاثين ومائتين.

تهذيب الأسماء واللغات: ١/ ٨٠٤؛ سير أعلام النبلاء: ١٠/ ٦٨٧؛ مرآة الجنان: ٢/ ٨٠؛ شذرات الذهب: ٢/ ٧٠؛ معجم الأدباء: ١٨/ ١٨٩.

والإقرار بنبوة رسول الله ﷺ، وعلى هذا فالجنب بمعنى الجانب أي: قصرت في الجانب الذي يؤدي إلى رضا الله[1].

٢- وقوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِي ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلًا ۝٢٧ يَٰوَيْلَتَىٰ لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا ۝٢٨ لَّقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ ٱلذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَآءَنِي ۗ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِلْإِنسَٰنِ خَذُولًا﴾[الفرقان: ٢٧-٢٩].

في سبب نزولها ثلاثة أقوال:

أحدها: أن أبي بن خلف كان يحضر عند رسول الله ﷺ ويجالسه من غير أن يؤمن به فزجره عقبة بن أبي معيط عن ذلك، فنزلت هذه الآية.

الثاني: أن عقبة دعا قومًا فيهم رسول الله ﷺ لطعام فأكلوا وأبى رسول الله ﷺ أن يأكل، وقال: «**لا آكل حتى تشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله**»، فشهد بذلك عقبة، فبلغ ذلك أبي بن خلف وكان خليلًا له، فقال: صبوت يا عقبة، فقال: لا والله، لكنه أبى أن يأكل حتى قلت ذلك، وليس من نفسي، فنزلت هذه الآية، قاله مجاهد.

الثالث: أن عقبة كان خليلًا لأمية بن خلف، فأسلم عقبة، فقال أمية: وجهي من وجهك حرام إن تابعت محمدًا فكفر وارتد؛ ليرضى أمية، فنزلت هذه الآية[2].

وقال الطبري في تفسيره: يقول تعالى ذكره ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ﴾ نفسه المشرك بربه ﴿عَلَىٰ يَدَيْهِ﴾ ندمًا وأسفًا على ما فرط في جنب الله وأوبق نفسه بالكفر به في طاعة خليله الذي صده عن سبيل ربه ﴿يَقُولُ يَٰلَيْتَنِي ٱتَّخَذْتُ﴾

(١) فتح القدير: ٢/ ٥٦٦، بتصرف.

(٢) زاد المسير: ٦/ ٨٥-٨٦.

في الدنيا ﴿مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلًا﴾، يعني طريقًا إلى النجاة من عذاب الله[١].

وقال ابن كثير: يخبر تعالى عن ندم الظالم الذي فارق طريق الرسول ﷺ، وما جاء به من عند الله من الحق المبين الذي لا مرية فيه، وسلك طريقًا أخرى غير سبيل الرسول، فإذا كان يوم القيامة ندم حيث لا ينفعه الندم، وعض على يديه حسرة وأسفًا، وسواء كان سبب نزولها في عقبة بن أبي معيط أو غيره من الأشقياء، فإنها عامة في كل ظالم، كما قال تعالى: ﴿يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي ٱلنَّارِ﴾ [الأحزاب:٦٦] الآيتين، فكل ظالم يندم يوم القيامة غاية الندم، ويعض على يديه قائلًا: ﴿يَٰلَيْتَنِي ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلًا ﴿٢٧﴾ يَٰوَيْلَتَىٰ لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا﴾ [الفرقان: ٢٨]يعني من صرفه عن الهدى وعدل به إلى طريق الضلال من دعاة الضلالة، وسواء في ذلك أمية بن خلف أو أخوه أبي بن خلف أو غيرهما، ﴿لَّقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ ٱلذِّكْرِ﴾ وهو القرآن ﴿بَعْدَ إِذْ جَآءَنِي﴾ أي بعد بلوغه إلي[٢].

* * *

(١) تفسير الطبري: ١٩/ ١٢.

(٢) تفسير ابن كثير: ٣/ ٢٨٠-٢٨١.

المطلب الخامس

العذاب النفسي في حبوط أعمالهم وعدم قبولها

إن الكفر والشرك سبب لحبوط العمل وعدم قبوله في الآخرة فقد أخبر ﷻ عن ذلك فقال: ﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾[الزمر: ٦٥].

وقوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾[الأنعام: ٨٨].

فالكفر والشرك محبط للعمل، وقد يكون للكافر من أعمال الخير من بر أو صلة ما يرجو ثوابها في الآخرة فيجعلها الله هباءً منثورًا فلا ينتفع بها فيزداد حسرة وندمًا وألمًا نفسيًا في ذلك اليوم، وقد سألت أم المؤمنين عَائِشَةُ قَالَتْ: قُلْتُ يَا رَسُولَ اللهِ ابْنُ جُدْعَانَ كَانَ فِى الْجَاهِلِيَّةِ يَصِلُ الرَّحِمَ وَيُطْعِمُ الْمِسْكِينَ فَهَلْ ذَاكَ نَافِعُهُ؟ قَالَ: «لاَ يَنْفَعُهُ إِنَّهُ لَمْ يَقُلْ يَوْمًا رَبِّ اغْفِرْ لِى خَطِيئَتِى يَوْمَ الدِّينِ»(١).

ومن الآيات الدالة على حبوط عمل الكافر والمنافق في الآخرة:

١- قوله تعالى: ﴿وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَٰئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾[البقرة: ٢١٧].

يخبر ﷻ في هذه الآية أن من ارتد ورجع عن دينه ولم يتب من ردته فمات كافرًا فإن عمله يحبط فلا يثاب ولا يؤجر عليه في الآخرة.

قال ابن جرير: يعني بقوله ﴿حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ﴾ بطلت وذهبت،

---

(١) رواه مسلم، كتاب الإيمان، باب: (الدليل أن من مات على الكفر لا ينفعه عمل)، رقم (٢١٤)، ١/١٦٧.

وبطولها: ذهاب ثوابها وبطول الأجر عليها والجزاء في دار الدنيا والآخرة[١].

٢- وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقۡتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيۡرِ حَقّٖ وَيَقۡتُلُونَ ٱلَّذِينَ يَأۡمُرُونَ بِٱلۡقِسۡطِ مِنَ ٱلنَّاسِ فَبَشِّرۡهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ٢١ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ حَبِطَتۡ أَعۡمَٰلُهُمۡ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ﴾[آل عمران: ٢١-٢٢].

تتحدث هذه الآيات عن اليهود وحبوط أعمالهم في الدنيا والآخرة، وذلك بسبب كفرهم بآيات الله وقتل أنبيائهم.

٣- وقال تعالى: ﴿وَمَن يَكۡفُرۡ بِٱلۡإِيمَٰنِ فَقَدۡ حَبِطَ عَمَلُهُۥ وَهُوَ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ﴾[المائدة: ٥].

٤- وقال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَلِقَآءِ ٱلۡأٓخِرَةِ حَبِطَتۡ أَعۡمَٰلُهُمۡۚ هَلۡ يُجۡزَوۡنَ إِلَّا مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾[الأعراف: ١٤٧].

يقول ابن جرير الطبري: يقول تعالى ذكره هؤلاء المستكبرون في الأرض بغير الحق وكل مكذب حجج الله ورسله وآياته وجاحد أنه يوم القيامة مبعوث بعد مماته ومنكر لقاء الله في آخرته ذهبت أعمالهم فبطلت وحصلت لهم أوزارها فثبتت؛ لأنهم عملوا لغير الله واتبعوا أنفسهم في غير ما يرضي الله فصارت أعمالهم عليهم وبالًا[٢].

٥- وقال تعالى: ﴿كَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ كَانُوٓاْ أَشَدَّ مِنكُمۡ قُوَّةٗ وَأَكۡثَرَ أَمۡوَٰلٗا وَأَوۡلَٰدٗا فَٱسۡتَمۡتَعُواْ بِخَلَٰقِهِمۡ فَٱسۡتَمۡتَعۡتُم بِخَلَٰقِكُمۡ كَمَا ٱسۡتَمۡتَعَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُم بِخَلَٰقِهِمۡ وَخُضۡتُمۡ كَٱلَّذِي خَاضُوٓاْۚ أُوْلَٰٓئِكَ

---

(١) تفسير الطبري: ٢/ ٤٧١.

(٢) تفسير الطبري: ٩/ ٧٩.

حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْآخِرَةِ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴾ [التوبة: ٦٩].

٦- وقال تعالى: ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَٰلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ۝ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي ٱلْآخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُواْ فِيهَا وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴾[هود: ١٦].

٧- وقال تعالى: ﴿ وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُواْ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا ﴾ [الفرقان: ٢٣].

قال الشوكاني في «فتح القدير»: هذا وعيد آخر وذلك أنهم كانوا يعملون أعمالًا لها صورة الخير من صلة الرحم وإغاثة الملهوف وإطعام الطعام وأمثالها ولم يمنع من الإثابة عليها إلا الكفر الذي هم عليه فمثلت حالهم وأعمالهم بحال قوم خالفوا سلطانهم واستعصوا عليه فقدم إلى ما معهم من المتاع فأفسده ولم يترك منها شيئًا... إلى أن يقول: والمعنى أن الله سبحانه أحبط أعمالهم حتى صارت بمنزلة الهباء المنثور لم يكتف سبحانه بتشبيه عملهم بالهباء حتى وصفه بأنه متفرق متبدد[1].

وعن أنس بن مالك ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ اللهَ لاَ يَظْلِمُ مُؤْمِنًا حَسَنَةً يُعْطَى بِهَا فِى الدُّنْيَا وَيُجْزَى بِهَا فِى الآخِرَةِ وَأَمَّا الْكَافِرُ فَيُطْعَمُ بِحَسَنَاتِ مَا عَمِلَ بِهَا للهِ فِى الدُّنْيَا حَتَّى إِذَا أَفْضَى إِلَى الآخِرَةِ لَمْ تَكُنْ لَهُ حَسَنَةٌ يُجْزَى بِهَا»[2].

* * *

(١) فتح القدير: ٤/ ٩٤ بتصرف.

(٢) رواه مسلم، كتاب صفات المنافقين وأحكامهم، باب (جزاء المؤمن بحسناته في الدنيا والآخرة وتعجيل حسنات الكافر في الدنيا)، رقم (٢٨٠٨)، ٤/ ١٧١٥.

المطلب السادس

العذاب النفسي عند تغير صفاتهم الجسمانية

أولًا: العذاب النفسي عند تغير صفاتهم الجسمانية في وجوههم:

أ- اسوداد وجوههم:

يخبرنا الجبار جل وعلا في أكثر من آية عن تغيرات تعتري وجوه الكافرين يوم القيامة، ومن ذلك اسودادها وما يعلوها من القتر والذلة والغبرة زيادة في عذابها النفسي، بخلاف وجوه أهل الإيمان وما يعلوها من البياض والإشراق والسرور.

قال تعالى: ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿١٠٦﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱبْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِى رَحْمَةِ ٱللَّهِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾[آل عمران: ١٠٦-١٠٧].

قال أهل المعاني: بياض الوجوه إشراقها واستبشارها وسرورها بعملها وبثواب الله، واسودادها حزنها وكآبتها وكسوفها بعملها وبعذاب الله[(١)].

وسيكون حديثنا هنا عن وجوه الكافرين وما يعلوها من الحسرة والندم في ذلك اليوم العظيم، نسأل الله السلامة والعافية.

١- قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ كَسَبُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ جَزَآءُ سَيِّئَةٍۭ بِمِثْلِهَا وَتَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ مَّا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ كَأَنَّمَآ أُغْشِيَتْ وُجُوهُهُمْ قِطَعًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مُظْلِمًا أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾[يونس: ٢٧].

في هذه الآية إخبار من الله ﷻ عن صفة وجوه الكفار يوم القيامة ووصفها

---

(١) معالم التنزيل: ٢/ ٨٧.

لنا وكأنها ألبست جزءًا من الليل المظلم.

قال السعدي: ترهقهم أي: تغشاهم ذلة في قلوبهم وخوف من عذاب الله، لا يدفعه عنهم دافع ولا يعصمهم منه عاصم وتسري تلك الذلة إلى ظاهرهم، فتكون سوادًا في وجوههم[١].

٢- وقال تعالى: ﴿وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ ۚ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ﴾[الزمر: ٦٠].

وهنا أيضًا إخبار من الله جل وعلا عن حال المكذبين المعاندين من الكفرة والمنافقين وما يخزيهم الله في وجوههم من الاسوداد فيعرفهم بذلك أهل الموقف، لما أحاط بهم من العذاب وشاهدوه من غضب الله ونقمته، فكما سودوا وجه الحق بالكذب سود الله وجوههم جزاء من جنس عملهم[٢].

ب- كلاحة وجوههم:

قال تعالى: ﴿وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ ﴿٢٤﴾ تَظُنُّ أَن يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ﴾[القيامة: ٢٤-٢٥].

قال في معجم «الصحاح»: بسر الرجل وجهه بسورًا، أي: كلح[٣].

قال الشوكاني في «فتح القدير»: قال السدي: باسرة أي: متغيرة، وقيل: مصفرة، والمراد بالوجوه هنا وجوه الكفار[٤].

وقال الرازي في «التفسير الكبير»: الباسر: الشديد العبوس، والباسل: أشد منه، ولكنه غلب في الشجاع إذا اشتد كلوحه، والمعنى: أنها عابسة كالحة

(١) تيسير الكريم الرحمن، ص: ٣١٩.

(٢) انظر: فتح القدير: ٤/ ٦١٩؛ تيسير الكريم الرحمن، ص: ٦٧٤.

(٣) معجم الصحاح، ص(٩١).

(٤) فتح القدير: ٢/ ٩١٦-٩١٧.

قد أظلمت ألوانها وعدمت آثار السرور والنعمة منها؛ لما أدركها من الشقاء واليأس من رحمة الله، ولما سودها الله حين ميز الله أهل الجنة والنار[١].

جـ- خشوع وجوههم:

قال تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌ﴾[الغاشية: ٢] أي: وجوه الكفار، وإنما خص الوجه؛ لأن الحزن والسرور إذا استحكما في المرء أثرا في وجهه يومئذٍ خاشعة ذلة لما اعترى أصحابها من الخزي والهوان[٢].

د- اغبرار وجوههم:

قال تعالى: ﴿وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ ۝٤٠ تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ ۝٤١ أُولَٰئِكَ هُمُ الْكَفَرَةُ الْفَجَرَةُ﴾ [عبس: ٤٠-٤٢] ووجوه يومئذٍ عليها غبرة أي: غبار وكدرة، ترهقها أي: تعلوها وتغشاها، قترة أي: سواد وظلمة، ولا ترى أوحش من اجتماع الغبرة والسواد في الوجه.

وسوى الفيروزآبادي[٣] والجوهري بين الغبرة والقترة فقيل المراد بالقترة: الغبار حقيقة، والغبرة: ما يغشاهم من العبوس من الهم، وقيل: هما على

(١) التفسير الكبير، الفخر الرازي، ٣٠/ ٢٠٣.

(٢) انظر: تفسير النسفي، ٤/ ٣٥١.

(٣) هو الشيخ العلامة مجد الدين محمد بن يعقوب بن محمد الشيرازي، أبو الطاهر الفيروزآبادي اللغوي الشافعي، نظر في اللغة فكانت جل قصده في التحصيل، فمهر فيها إلى أن أبهر وفاق أقرانه، وكان يقول: ما كنت أنام قط حتى أحفظ مائتي سطر، وكان لا يدخل بلدًا إلا وأكرمه متوليها وبالغ في إكرامه، له مصنفات كثيرة منها (القاموس المحيط) في اللغة، و(شوارق الأسرار في شرح مشارق الأنوار)، و(عبير الموشين فيما يقال بالسين والشين)، مات سنة سبع عشرة وثمانمائة.

إنباء الغمر، ابن حجر، ٧/ ١٥٩؛ الضوء اللامع: ١٠/ ٧٩؛ بغية الوعاة: ١/ ٢٧٣؛ معجم المؤلفين: ٣/ ٧٧٦؛ معجم المطبوعات العربية، يوسف سركيس، ٢/ ١٤٦٩.

حقيقتها، والمعنى أن عليها غبارًا وكدرة فوق غبار وكدورة.

وقال **زيد بن أسلم**[١]: الغبرة: ما انحطت إلى الأرض، والقترة: ما ارتفع إلى السماء، والمراد وصول الغبار إلى وجوههم من فوق ومن تحت[٢].

وقد روى ابن أبي حاتم[٣] في تفسيره من طريق جعفر بن محمد[٤] عن

---

(١) زيد بن أسلم القرشي العدوي أبو أسامة، ويقال أبو عبدالله المدني الفقيه مولى عمر بن الخطاب، قال ابن عجلان: ما هبت أحدًا قط هيبتي زيد بن أسلم، وقال الواقدي عن مالك: كانت لزيد بن أسلم حلقة في مسجد رسول الله، قال أحمد بن حنبل وأبو زرعة وأبو حاتم ومحمد بن سعد والنسائي وابن خراش: ثقة، وقال يعقوب بن شيبة: ثقة من أهل الفقه والعلم، وكان عالمًا بتفسير القرآن له كتاب فيه تفسير القرآن، قال غير واحد: مات سنة ست وثلاثين ومائة.

تهذيب الكمال: ٣/ ٦٤؛ تهذيب التهذيب: ١/ ٦٥٨؛ تقريب التهذيب، ص: ١٦٢؛ الثقات: ٤/ ٢٤٦؛ الكاشف، ١/ ٢٦٣.

(٢) روح المعاني، الألوسي، ١٥/ ٢٥٢.

(٣) هو: أبو محمد عبدالرحمن بن أبي حاتم محمد بن إدريس الرازي، الحافظ الثبت ابن الحافظ الثبت، وكان ممن جمع علو الرواية ومعرفة الفن، قال الخليلي: أخذ علم أبيه وأبي زرعة، وكان بحرًا في العلوم ومعرفة الرجال ثقة حافظًا زاهدًا، وكان قد كساه الله بهاء ونورًا يسر به من نظر إليه، له كتب نافعة منها (الجرح والتعديل)، و(التفسير الكبير)، و(كتاب العلل)، مات سنة سبع وعشرين وثلاثمائة.

ميزان الاعتدال: ٤/ ٣١٥؛ البداية والنهاية: ١١/ ٢٠٢؛ تذكرة الحفاظ: ٣/ ٣٤؛ العبر: ٢/ ٢٧؛ الوافي بالوفيات: ١٨/ ١٣٥.

(٤) هو الإمام الصادق أبو عبدالله جعفر بن محمد بن علي زين العابدين بن الحسين بن علي بن أبي طالب، شيخ بني هاشم، وأحد الأعلام، ولد سنة ثمانين، ورأى بعض الصحابة، قال يحيى بن معين: ثقة مأمون، وقال أبو حاتم: لا يُسأل عن مثله، وقال ابن عدي: حدث عنه الأئمة، وهو من ثقات الناس، مات سنة ثمان وأربعين ومائة، وله من العمر ثمان وستين سنة.

سير أعلام النبلاء: ٦/ ٢٥٥؛ تهذيب الكمال: ١/ ٤٦٩؛ الجرح والتعديل: ٢/ ٤٨٧؛ تهذيب التهذيب: ١/ ٣١٠؛ شذرات الذهب: ١/ ٢٢٠.

أبيه[١] عن جده[٢] قال: قال رسول الله ﷺ: «يلجم الكافر العرق، ثم تقع الغبرة على وجوههم فهو قوله ﴿وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ﴾»[٣].

هـ- حشرهم على وجوههم:

وفي هذا اليوم تتابع إهانة الكافر والمنافق، فالعباد يحشرون على أقدامهم كما خلقهم الله ﷻ، أما الكافر والمنافق فيحشر كل منهم على وجهه ويمشي على وجهه منكسًا جسمه زيادة في عذابه النفسي وإذلالًا وتحقيرًا له وفضحه أمام الخلائق، قال تعالى: ﴿وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَاهُمْ سَعِيرًا﴾[الإسراء: ٩٧].

وأخرج البخاري ومسلم في صحيحهما عن قتادة حدثنا أنس بن مالك ﷺ: أَنَّ رَجُلًا قَالَ: يَا نَبِيَّ اللهِ يُحْشَرُ الْكَافِرُ عَلَى وَجْهِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟ قَالَ: «أَلَيْسَ

---

(١) هو محمد الباقر أبو جعفر الصادق محمد بن زين العابدين علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، الملقب الباقر، كان عالمًا سيدًا، كبيرًا، وإنما قيل له الباقر؛ لأنه تبقر في العلم أي: توسع، وكان عمره يوم قتل جده الحسين ثلاث سنين، قال العجلي: مدني تابعي ثقة، وذكره النسائي في فقهاء التابعين من أهل المدينة، توفي سنة ثلاث عشر ومائة، وقيل غير ذلك.

وفيات الأعيان: ٢/ ٣١٧؛ الثقات، للعجلي، ص: ٤١٠؛ الثقات: ٥/ ٣٤٨؛ الطبقات الكبرى: ٥/ ١٥٦؛ تهذيب التهذيب: ٣/ ٦٥٠.

(٢) هو زين العابدين علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب الهاشمي أبو الحسين، وقيل: أبو الحسن المدني، كان من تابعي أهل المدينة، أمه أم ولد، وكان ثقة مأمونًا، وقال الزهري: ما رأيت أحدًا أفقه منه ولكنه كان قليل الحديث، وقال مالك: لم يكن من أهل بيت رسول الله مثل علي بن الحسين، وقال سعيد بن المسيب: ما رأيت أورع منه؛ وقال العجلي: مدني تابعي ثقة، مات سنة مائة، وقيل: سنة تسع وتسعين وهو ابن ثمان وخمسين سنة.

طبقات ابن سعد: ٥/ ١٠٨؛ تهذيب الكمال: ٥/ ٢٣٧؛ الثقات، للعجلي، ص (٣٤٤)؛سير أعلام النبلاء: ٤/ ٣٨٦؛ تذكرة الحفاظ: ١/ ٥٩.

(٣) تفسير ابن أبي حاتم: ١٠/ ٣٤٠.

الَّذِي أَمْشَاهُ عَلَى الرِّجْلَيْنِ فِي الدُّنْيَا قَادِرًا عَلَى أَنْ يُمْشِيَهُ عَلَى وَجْهِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟» قَالَ قَتَادَةُ: بَلَى وَعِزَّةِ رَبِّنَا[١].

قال حكماء الإسلام: الكفار أرواحهم شديدة التعلق بالدنيا ولذاتها، وليس لها تعلق بعالم الأبرار وحضرة الإله، فلما كانت وجوه قلوبهم وأرواحهم متوجهة إلى الدنيا لا جرم كان حشرهم على وجوههم[٢].

وقال الغزالي[٣]: في طبع الآدمي إنكار كل ما لم يأنس به ولو لم يشاهد الإنسان الحية وهي تمشي على بطنها كالبرق الخاطف لأنكر تصور المشي على غير رجل والمشي بالرجل أيضًا مستبعد عند من لم يشاهد ذلك، فإياك أن تنكر شيئًا من عجائب يوم القيامة لمخالفته قياس ما في الدنيا فإنك لو لم تكن قد شاهدت عجائب الدنيا ثم عرضت عليك قبل المشاهدة لكنت أشد إنكارًا لها[٤].

* * *

(١) رواه البخاري، كتاب التفسير، باب قوله (الذين يحشرون على وجوههم إلى جهنم) رقم (٤٧٦٠)؛ ص: ١٠١٠-١٠١١.

ورواه مسلم، كتاب صفة المنافقين وأحكامهم، باب (يحشر الكافر على وجهه) رقم (٢٨٠٦)، ٤/ ٢٨٠٦.

(٢) التفسير الكبير، للرازي، ٢١/ ٥١.

(٣) هو حجة الإسلام زين الدين أبو حامد محمد بن محمد بن أحمد الطوسي الشافعي الغزالي، الشيخ الإمام البحر أعجوبة الزمان صاحب التصانيف، والذكاء المفرط، لازم إمام الحرمين، فبرع في الفقه، والكلام، والجدل، حتى صار عين المناظرين، ولي التدريس في نظامية بغداد، له مصنفات منها (الإحياء) و(القسطاس)، و(التهافت) في ذم الفلاسفة، مات سنة خمس وخمسمائة.

المنتظم: ١٧/ ١٢٤؛ طبقات الشافعية الكبرى ٦/ ١٩١؛ وفيات الأعيان: ٢/ ٣٣٥؛ طبقات الشافعية، ١/ ٣٠٠؛ النجوم الزاهرة: ٥/ ٢٠٣.

(٤) إحياء علوم الدين، الغزالي، ٤/ ٢٠٠١.

ثانيًا: العذاب النفسي عند تغير صفاتهم الجسمانية في أبصارهم:

إن الأبصار في ذلك اليوم العظيم يعتريها ما يعتريها من الخوف والهلع وخاصة أبصار الكافرين والمنافقين فإنه يعتريها من الخوف والهلع والتغير والعذاب والتألم النفسي ما يظهره الله عليها في عدة أوصاف منها:

أ- شخوص وخشوع أبصارهم:

١-قال تعالى: ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَ ۚ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ ٱلْأَبْصَٰرُ ﴿٤٢﴾ مُهْطِعِينَ مُقْنِعِى رُءُوسِهِمْ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ ۖ وَأَفْـِٔدَتُهُمْ هَوَآءٌ ﴾[إبراهيم: ٤٢-٤٣].

إن الكفار في ذلك اليوم لا يستطيعون أن يغلقوا أبصارهم بل هم فاتحوها فلا يغمضونها، رافعي رؤوسهم مُدِيمُون النظر لا يطرفون لحظة لكثرة ماهم فيه من الهول والفكرة والمخافة لما يحل بهم من العذاب الأليم[1].

٢-وقال تعالى: ﴿ أَبْصَٰرُهَا خَٰشِعَةٌ ﴾[النازعات: ٩].

أبصارها خاشعة: أي أبصار من مات على غير الإسلام والخاشعة: الذليلة، والمراد أنها تظهر عليهم الذلة والخضوع والكآبة والحزن والخوف والرعب عند معاينة أهوال يوم القيامة[2].

ب- إزرقاق أبصارهم:

قال تعالى: ﴿ يَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ ۚ وَنَحْشُرُ ٱلْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا ﴾[طه: ١٠٢].

والزرقة: هي الخضرة في سواد العين فيحشرون زرق العيون سود

---

(١) انظر: تفسير الطبري: (١٣/ ٢٩٦)، تفسير ابن كثير (٢/ ٤٦٦).

(٢) انظر: تفسير الطبري: (٣٠/ ٤٤)، فتح القدير: (٢/ ٩٤٥).

الوجوه[١].

والعرب تتشاءم بزرقة العين[٢].

وقيل: في الزرق قولان:

أحدهما: أن الزرقة أبغض شيء من ألوان العيون إلى العرب؛ لأن الروم أعداؤهم وهم زرق العيون ولذلك قالوا في صفة العدوّ: أسود الكبد، أصهب السبال[٣] أزرق العين.

والثاني: أن المراد العمى؛ لأن حدقة من يذهب نور بصره تزرقّ لما يملأ صدورهم من الرعب والهول[٤].

جـ- عمي الأبصار:

قال تعالى: ﴿وَمَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ ۖ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُمْ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِهِۦ ۖ وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا ۖ مَّأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَـٰهُمْ سَعِيرًا﴾[الإسراء: ٩٧].

وقال تعالى: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِىٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَـٰتُنَا فَنَسِيتَهَا ۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ﴾[طه: ١٢٤-١٢٦].

وهناك إثبات أن الجزاء من جنس العمل وأن العذاب النفسي الذي يلقاه

---

(١) معالم التنزيل: (٥/ ٢٩٤).

(٢) فتح القدير: (٢/ ٩٧).

(٣) أصهب السبال: المراد بها الشُقرَة في شعر الرأس.

انظر: تهذيب اللغة، ١٢/ ٣٠٣، معجم الصحاح، ص(٦٠٤).

(٤) انظر: الكشاف: (٣/ ٨٨)، روح المعاني: (٨/ ٥٦٩).

الكافر والمنافق في الدنيا من الحياة التعيسة النكدة والضيق في الرزق والصدر فإنه في يوم القيامة يحشر ولا حجة له وقد عمى عليه كل شيء إلا جهنم.

قال ابن تيمية: أخبر تعالى أن الضالين في الدنيا يحشرون يوم القيامة عُميًا فإن الجزاء أبدًا من جنس العمل[١].

وهنا إشكال ذكره الشنقيطي ثم أجاب عنه.

قال: في آية (طه) هذه وآية (الإسراء) المذكورتين إشكال معروف وهو أن يقال: إنهما قد دلتا على أن الكافر يحشر يوم القيامة أعمى، وزادت آية (الإسراء) أنه يحشر أبكم أصم أيضًا، مع أنه دلت آيات من كتاب الله على أن الكفار يوم القيامة يبصرون ويسمعون ويتكلمون.

كقوله تعالى: ﴿أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ يَوْمَ يَأْتُونَنَا﴾ [مريم: ٣٨]، وقوله تعالى: ﴿وَرَءَا ٱلْمُجْرِمُونَ ٱلنَّارَ فَظَنُّوٓاْ أَنَّهُم مُّوَاقِعُوهَا﴾ [الكهف: ٥٣]، وقوله تعالى: ﴿رَبَّنَآ أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَٱرْجِعْنَا نَعْمَلْ صَٰلِحًا﴾ [السجدة: ١٢] إلى غير ذلك من الآيات.

وقد ذكرنا في كتابنا «رفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب» الجواب عن هذا الإشكال من ثلاثة أوجه:

الوجه الأول: واستظهره أبو حيان[٢] أن المراد بما ذكر من العمى والصمم

(١) مجموع الفتاوى، ١٨/ ١٧٥.

(٢) هو العلامة شيخ النحاة أثير الدين محمد بن يوسف بن علي، أبو حيان الأندلسي الجياني الغرناطي المقريء النحوي، برع في العربية وله اليد الطولى في الفقه والآثار والقراءات، وهو مفخرة أهل مصر في زمانه، له مصنفات في القراءات والنحو والتفسير منها (البحر المحيط)، (إتحاف الأريب بما في القرآن من الغريب) و(التقريب)، مات سنة خمس وأربعين وسبعمائة.
غاية النهاية: (٢/ ٢٤٩)، نفح الطيب: (٣/ ١٤١)، فوات الوفيات: (٢/ ٤٦٢)،........=

والبكم حقيقته.

ويكون مبدأ الأمر ثم يرد الله تعالى إليهم أبصارهم ونطقهم وسمعهم فيرون النار ويسمعون زفيرها، وينطقون بما حكى الله تعالى عنهم في غير موضع.

الوجه الثاني: أنهم لا يرون شيئًا يسرهم، ولا يسمعون كذلك، ولا ينطقون بحجة، كما أنهم كانوا في الدنيا لا يستبصرون ولا ينطقون بالحق ولا يسمعونه، وأخرج ذلك ابن جرير وابن أبي حاتم عن ابن عباس، وروي أيضًا عن الحسن كما ذكره الألوسي وغيره، وعلى هذا القول فقد نزل ما يقولونه ويسمعونه ويبصرونه منزلة العدم؛ لعدم الانتفاع به.

ومن المعلوم أن العرب تطلق لاشيء على ما لا نفع فيه، ألا ترى أن الله يقول في المنافقين ﴿ صُمٌّۢ بُكۡمٌ عُمۡيٌ ﴾ مع أنه يقول فيهم ﴿ فَإِذَا ذَهَبَ ٱلۡخَوۡفُ سَلَقُوكُم بِأَلۡسِنَةٍ حِدَادٍ ﴾[الأحزاب: ١٩]، ويقول فيهم ﴿وَإِن يَقُولُواْ تَسۡمَعۡ لِقَوۡلِهِمۡۖ ﴾[المنافقون: ٤] أي: لفصاحتهم وحلاوة ألسنتهم، ويقول فيهم ﴿وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمۡعِهِمۡ وَأَبۡصَٰرِهِمۡۚ ﴾[البقرة: ٢٠] وما ذلك إلا لأن الكلام ونحوه الذي لا فائدة فيه كـ(لا شيء)، فيصدق على صاحبه أنه أعمى وأصم وأبكم.

الوجه الثالث: أن الله إذا قال لهم ﴿ٱخۡسَـُٔواْ فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ ﴾[المؤمنون: ١٠٨] وقع بهم ذلك العمى والصم والبكم من شدة الكرب واليأس من الفرج.

قال تعالى: ﴿وَوَقَعَ ٱلۡقَوۡلُ عَلَيۡهِم بِمَا ظَلَمُواْ فَهُمۡ لَا يَنطِقُونَ ﴾[النمل: ٨٥] وعلى هذا القول تكون الأحوال الخمسة مقدرة: أعني قوله في (طه) ﴿وَنَحۡشُرُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ أَعۡمَىٰ ﴾[طه: ١٢٤] وقوله فيها ﴿لِمَ حَشَرۡتَنِيٓ أَعۡمَىٰ﴾[طه: ١٢٥].

وقوله في الإسراء: ﴿ وَنَحۡشُرُهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمۡ عُمۡيًا وَبُكۡمًا

= الدرر الكامنة: (٤/ ٣٠٢)، شذرات الذهب (٦/ ١٤٥).

وَصُمًّا﴾[الإسراء: ٩٧] وأظهر الأقوال عندي الأول: والله تعالى أعلم[١].

ثالثًا: العذاب النفسي عند تغير صفاتهم الجسمانية في قلوبهم:

إنه يوم الفزع الأكبر الذي تتقلب فيه القلوب والأبصار، إنه اليوم الذي تتباين فيه القلوب فقلوب آمنة مطمئنة تنتظر الكرامة والثواب من الله وقلوب وجلة خائفة مضطربة تنتظر الخزي والعذاب الأليم من خالقها، قلوب تحملها أجساد فاجرة كافرة طالما ذكرت ووعظت ولكنها أدبرت واستكبرت فقد حكى الله لنا حالها في ذلك اليوم في عدة أوصاف منها:

أ- قلوبهم واجفة:

قال تعالى: ﴿قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ﴾[النازعات: ٨].

واجفة: مضطربة قلقة لما عاينت من أهوال القيامة، قال جمهور المفسرين: أي خائفة وجلة.

وقال السدي: زائلة عن أماكنها نظيرة ﴿إِذِ الْقُلُوبُ لَدَى الْحَنَاجِرِ﴾.

وقال المؤرج[٢]: قلقة مستوفزة.

وقال المبرد: مضطربة، يقال: وجف القلب يجف وجيفًا إذا خفق كما يقال وجب يجب وجيبًا، والإيجاف: السير السريع، فأصل الوجيف: اضطراب

(١) أضواء البيان: (٤/ ٥٤٩-٥٥٠)، بتصرف، دفع إيهام الاضطراب، ص(١٤٣).

(٢) هو مؤرج بن عمرو بن الحارث بن ثور بن ذهل بن ثعلبة السدوسي البصري، وكان يعرف بأبي فيد الأخباري، وكانت له شهرة ومعرفة واسعة في علم النسب، وأيضًا له شهرة واسعة في علم اللغة العربية، وله إلمام بعلم الحديث، من مصنفاته: (غريب القرآن) و(كتاب الأمثال) و (جماهير القبائل) مات سنة خمس وتسعين ومائة.

تاريخ بغداد: (١٣/ ٢٥٧)، وفيات الأعيان: (٣/ ١٥٣)، بغية الوعاة: (٢/ ٣٠٥)، إنباه الرواة (٣/ ٣٢٧)، طبقات النحويين، ص: (٧٥).

القلب[١].

ب- قلوبهم لدى الحناجر:

قال تعالى: ﴿وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ الْآزِفَةِ إِذِ الْقُلُوبُ لَدَى الْحَنَاجِرِ كَاظِمِينَ مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ﴾ [غافر: ١٨].

في هذه الآية يخاطب الله نبيه محمدًا ﷺ قائلًا له: يا محمد أنذر الكفار بيوم القيامة الذي قد اقترب وقوعه، ثم أخبرهم عن حالهم في ذلك اليوم، إذ قلوبهم تزول عن أماكنها من الخوف حتى تصير إلى الحناجر فهي لا تعود إلى أماكنها وهي لا تخرج من أفواههم فيموتوا ويستريحوا مكروبين ممتلئين خوفًا وحزنًا في قلوبهم حتى يضيق به[٢]، فيزدادوا ألمًا وعذابًا نفسيًّا والعياذ بالله.

جـ- قلوبهم هواء:

قال تعالى عن قلوب الكافرين: ﴿مُهْطِعِينَ مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ وَأَفْئِدَتُهُمْ هَوَاءٌ﴾[إبراهيم: ٤٣].

قال الشوكاني: الهواء في اللغة: المجوف الخالي الذي لم تشغله الأجرام، والمعنى أن قلوبهم خالية عن العقل والفهم لما شاهدوا من الفزع والحيرة والدهش وجعلها نفس الهوى مبالغة، ومنه قيل للأحمق والجبان قلبه هواء أي: لا رأي فيه ولا قوة.

وقيل معنى الآية: أنها خرجت قلوبهم عن مواضعها فصارت في الحناجر.

وقيل: المعنى إن أفئدة الكفار في الدنيا خالية من الخير[٣].

---

(١) فتح القدير: (٢/ ٩٤٥).

(٢) انظر: معالم التنزيل: (٧/ ١٤٤).

(٣) فتح القدير: (٢/ ٩٥٨-٩٥٩).

المطلب السابع

العذاب النفسي عند رؤيتهم أن الدنيا قليلة وتحسرهم على فوات الإيمان فيها

تتجلى في يوم القيامة حقيقة الدنيا وزخرفها وأنها حقيرةٌ قصيرةٌ لا تساوي عند الله جناح بعوضة، فالكافر عندما يعاين ويشاهد أهوال القيامة وما ينتظره من العذاب، يدرك أن مكثه في الأرض كان قصيرًا، فيتمنى أن لو أطاع الله وآمن به.

وقد ذكر الله عنهم ذلك التألم والعذاب النفسي، وتحسرهم عند رؤيتهم الدنيا مقارنة بالآخرة، وتندمهم على فوات الإيمان فيها في عدة آيات منها:

١-قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ كَأَن لَّمْ يَلْبَثُوٓا۟ إِلَّا سَاعَةً مِّنَ ٱلنَّهَارِ يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ ۚ قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِلِقَآءِ ٱللَّهِ وَمَا كَانُوا۟ مُهْتَدِينَ﴾[يونس: ٤٥].

بين الله ﷻ في هذه الآية الكريمة أن الكفار إذا حشروا استقلوا مدة مكثهم في دار الدنيا، حتى كأنها قدر ساعة عندهم؛ لهول ما يرون[١]، واستقلوا المدة الطويلة إما لأنهم ضيعوا أعمارهم في الدنيا، فجعلوا وجودها كالعدم، أو استقصروها للدهش والحيرة، أو لطول وقوفهم في المحشر، أو لشدة ما هم فيه من العذاب، نسوا لذات الدنيا وكأنها لم تكن[٢].

وقال ابن عباس ﷺ: رأوا أن طول أعمارهم في مقابلة الخلود كساعة[٣].

وقال النووي الجاوي[٤] في مراح لبيد عن هذه الآية: أي وأنذر المشركين

---

(١) انظر: تفسير النسفي: (٢/ ١٦٥)، أضواء البيان: (٢/ ٤٨٥).

(٢) انظر: فتح القدير: (١/ ٧٩٨).

(٣) البحر المحيط، (٥/ ١٦٢).

(٤) هو محمد بن عمر نووي الجاوي البنتي إقليمًا، التناري بلدًا، مفسر متصوف من فقهاء=

المنكرين للبعث يوم يحشرهم في الموقف مشبهين من لم يلبث في الدنيا ولم يتقلب في نعيمها إلا مقدار ساعة من النهار، فإن عاقبة الكافر خالصة مقرونة بالإهانة، ولذات الدنيا مع خساستها لم تكن خالصة بل كانت مخلوطة بالهمومات الكثيرة وكانت تلك اللذات مغلوبة بالمؤلمات والآفات وكانت لم تحصل إلا في الأوقات، أما آلام الآخرة فهي سرمدية لا تنقطع البتة، ونسبة عمر جميع الدنيا إلى الآخرة الأبدية أقل من الجزء الذي لا يتجزأ بالنسبة إلى ألف ألف عالم مثل العالم الموجود، فمتى قوبلت الخيرات الحاصلة بسبب الحياة العاجلة بالآفات الحاصلة للكافر وجدت أقل من اللذة بالنسبة إلى جميع العالم[1].

٢-وقال تعالى: ﴿ يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِۦ وَتَظُنُّونَ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا ﴾[الإسراء: ١١٨].

قال قتادة: المعنى أن الدنيا تحاقرت في أعينهم وقلت حين رأوا يوم القيامة[2].

٣-وقال تعالى: ﴿ يَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ ۚ وَنَحْشُرُ ٱلْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا ﴿١٠٢﴾ يَتَخَٰفَتُونَ بَيْنَهُمْ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا عَشْرًا ﴿١٠٣﴾ نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ إِذْ يَقُولُ أَمْثَلُهُمْ طَرِيقَةً إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا يَوْمًا ﴾[طه: ١٠٢-١٠٤].

في هذه الآية العظيمة يخبر الله ﷻ عن الكافرين وأنهم يستقصرون مدة

=الشافعية، هاجر إلى مكة وتوفي بها، عرفه تيمور: بعالم الحجاز، له مصنفات منها (مراح لبيد لكشف معنى القرآن المجيد) و(مراقي العبودية) و(قامع الطغيان على منظومة شعب الإيمان)، توفي سنة ست عشر وثلاثمائة وألف.

الأعلام: (٦/ ٣١٨)، تاريخ الشعراء الحضرميين: (٣/ ١٧١).

(١) مراح لبيد، النووي الجاوي (١/ ٤٨٨).

(٢) انظر: تفسير الكشاف: (٢/ ٦٢٨)، تفسير القرطبي: (١/ ٢٧٦)، معالم التنزيل: (٥/ ٩٩).

لبثهم في القبور أو في الدنيا لما يعاينون من الشدائد التي تذكرهم أيام النعمة والسرور فيتأسفون عليها ويصفونها بالقصر؛ لأن أيام السرور قصار، أو لأنها ذهبت عنهم والذاهب وإن طالت مدته قصير بالانتهاء أو لاستطالتهم الآخرة لأنها أبدًا يستقصر إليها عمر الدنيا، ويقال لبث أهلها فيها بالقياس إلى لبثهم في الآخرة[١].

قال السعدي: والمقصود من هذا الندم العظيم، كيف ضيعوا الأوقات القصيرة، وقطعوها ساهين لاهين، معرضين عما ينفعهم، مقبلين على ما يضرهم، فها قد حضر الجزاء وحق الوعيد، فلم يبق إلا الندم والدعاء بالويل والثبور[٢].

* * *

(١) انظر: معالم التنزيل: (٢٢/ ١٠٠)، البحر المحيط: (٦/ ٢٥٩)، تفسير النسفي: (٣/ ٦٥).

(٢) تيسير الكريم الرحمن، ص(٤٦٢).

المطلب الثامن

العذاب النفسي في حملهم أوزارهم وأوزار الذين أضلوهم في الحياة الدنيا

كفى بالإنسان جرمًا وإثمًا وحسرة وندمًا أن يأتي يوم القيامة وقد حمل تبعات أوزاره وسيئات أعماله، أما وأن يأتي وقد حمل تبعات وأوزار غيره فذلك بحق هو الخسران المبين.

فمن خزي الله للكافرين يوم القيامة أن يجعلهم يحملون أوزارهم وأوزار الذين أضلوهم في الحياة الدنيا، فيزدادوا ألمًا وعذابًا نفسيًّا والعياذ بالله، فقد ذكر الله ﷻ ذلك في كتابه فقال وهو: أصدق القائلين: ﴿ لِيَحْمِلُوٓاْ أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۙ وَمِنْ أَوْزَارِ ٱلَّذِينَ يُضِلُّونَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ ۗ أَلَا سَآءَ مَا يَزِرُونَ ﴾ [النحل: ٢٥].

وقال تعالى: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّبِعُواْ سَبِيلَنَا وَلْنَحْمِلْ خَطَـٰيَـٰكُمْ وَمَا هُم بِحَـٰمِلِينَ مِنْ خَطَـٰيَـٰهُم مِّن شَىْءٍ ۖ إِنَّهُمْ لَكَـٰذِبُونَ ۝١٢ وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالًا مَّعَ أَثْقَالِهِمْ ۖ وَلَيُسْـَٔلُنَّ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ عَمَّا كَانُواْ يَفْتَرُونَ ﴾ [العنكبوت: ١٢-١٣].

قال الإمام القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: فمن كان إمامًا في الضلالة ودعا إليها واتبع عليها فإنه يحمل وزر من أضله من غير أن ينقص من وزر المضل شيء[١].

ويؤيد ذلك ما أخرجه مسلم في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**مَنْ دَعَا إِلَى هُدًى كَانَ لَهُ مِنْ الْأَجْرِ مِثْلُ أُجُورِ مَنْ تَبِعَهُ لَا يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْئًا، وَمَنْ دَعَا إِلَى ضَلَالَةٍ كَانَ عَلَيْهِ مِنْ الْإِثْمِ مِثْلُ آثَامِ مَنْ تَبِعَهُ لَا**

(١) تفسير القرطبي: (٧/ ١٥٨).

يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ آثَامِهِمْ شَيْئًا»[١].

قال الشنقيطي: فإن قيل: ما وجه تحملهم بعض أوزار غيرهم المنصوص عليه بقوله ﴿وَمِنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ وقوله: ﴿وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالًا مَّعَ أَثْقَالِهِمْ﴾ مع أن الله يقول ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾[فاطر: ١٨]، ويقول جل وعلا ﴿وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا﴾[الأنعام: ١٦٤]، ويقول: ﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾[البقرة: ١٤١] إلى غير ذلك من الآيات.

فالجواب: والله تعالى أعلم: أن رؤساء الضلال وقادته تحملوا وزرين:

أحدهما: وزر ضلالهم في أنفسهم.

والثاني: وزر إضلالهم غيرهم؛ لأن من سن سنة سيئة فعليه وزرها ووزر من عمل بها، لا ينقص ذلك من أوزارهم شيئًا، وإنما أخذ بعمل غيره؛ لأنه هو الذي سنه وتسبب فيه، فعوقب عليه من هذه الجهة؛ لأنه من فعله فصار غير مناف لقوله ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾[٢].

*　*　*

---

(١) رواه مسلم، كتاب العلم، باب (من سن سنة حسنة أو سيئة ومن دعا إلى هدى)، رقم (٢٦٧٤)، (٤/ ١٦٣٦).

(٢) أضواء البيان: (٣/ ٢٥٥).

المطلب التاسع

العذاب النفسي في تمثل أعمالهم لهم يوم القيامة

سبق لنا الحديث عن تمثل عمله القبيح في قبره وعذابه النفسي بذلك.

والآن نتحدث عن عذابه النفسي وذلك بتمثل عمله القبيح له يوم القيامة.

فقد روى عن زيد بن أسلم قال: إنه بلغه أنه يتمثل للكافر عمله في أقبح ما يكون صورة وأنتن رائحة، ويجلس إلى جنبه كلما أفزعه شيء زاده، وكلما تخوف شيئًا زاده خوفًا منه، فيقول: بئس الصاحب أنت ومن أنت؟ فيقول: أما تعرفني؟ فيقول: لا، فيقول: أنا عملك، كان قبيحًا فلذلك تراني قبيحًا، وكان منتنًا فلذلك تراني منتنًا، فطأطئ رأسك أركبك فطالما ركبتني في الدنيا، فذلك قوله تعالى: ﴿ لِيَحْمِلُوٓا۟ أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ﴾[النحل: ٢٥].

قال القرطبي بعد ذكره لقول زيد بن أسلم: مثل هذا لا يقال من جهة الرأي، ومعناه يستند من حديث قيس بن عاصم المنقري[1] أن النبي ﷺ قال: «إنه لا بد لك يا قيس من قرين يدفن معك وهو حي وتدفن معه وأنت ميت، فإن كان كريمًا أكرمك وإن كان لئيمًا أسلمك، ثم لا يحشر إلا معك ولا تبعث إلا معه ولا تسأل إلا عنه، فلا تجعله إلا صالحًا فإن كان صالحًا فلا تأنس إلا به، وإن

---

(١) هو قيس بن عاصم بن سنان بن خالد المنقري التميمي، يكنى أبا علي، وقيل: يكنى أبا طلحة، قدم في وفد بني تميم على رسول الله ﷺ وذلك سنة تسع، فلما رآه رسول الله ﷺ قال: (هذا سيد أهل الوبر)، أسلم سنة تسع، وكان ﷺ عاقلًا، حليمًا مشهورًا بالحلم، نزل البصرة وتوفي بها، وله من الولد اثنان وثلاثون ذكرًا.

الاستيعاب: (٢/ ١٦٢)، أسد الغابة: (٣/ ٥٠٢)، الإصابة: (٥/ ٣٦٧)، تهذيب الكمال: (٦/ ١٤٠)، تهذيب التهذيب (٣/ ٤٥٠).

كان فاحشًا فلا تستوحش إلا منه وهو فعلك»[1].

وقال أسباط[2] **عن السدي أنه قال**: ليس من رجل ظالم يموت يدخل قبره، إلا جاءه رجل قبيح الوجه، أسود اللون، منتن الريح، وعليه ثياب دنسة، حتى يدخل معه قبره، فإذا رآه قال: ما أقبح وجهك؟ قال: كذلك كان عملك قبيحًا، قال: ما أنتن ريحك؟ قال: كذلك كان عملك منتنًا، قال: ما أدنس ثيابك؟ قال: فيقول: إن عملك كان دنسًا، قال له من أنت؟ قال: أنا عملك، قال: فيكون معه في قبره، فإذا بعث يوم القيامة قال له: إني كنت أحملك في الدنيا باللذات والشهوات، وأنت اليوم تحملني، قال: فيركب على ظهره فيسوقه حتى يدخله النار فذلك قوله: ﴿وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَىٰ ظُهُورِهِمْ ۚ أَلَا سَاءَ مَا يَزِرُونَ﴾[الأنعام: ٣١][3].

* * *

(١) التذكرة، ص(٢٩٧-٢٩٨)، الدر المنثور (٥/ ١٢٦)، روح المعاني: (٧/ ٣٦٥)، وذكره القنوجي في (أبجد العلوم) عن الشيخ بهاء الدين العاملي، ص(١٧٨-١٧٩).

(٢) أسباط بن نصر الهمداني أبو يوسف، ويقال: أبو نصر الكوفي، قال حرب بن إسماعيل: قلت لأحمد: كيف حديثه؟ قال: ما أدري، وكأنه ضعفه، وقال يحيى بن معين: ليس بشيء، ومرة قال: ثقة، وقال أبو حاتم: سمعت أبا نعيم يضعف أسباط وقال: أحاديثه عامته سقط مقلوب الأسانيد، وقال البخاري: صدوق وروى له في (الأدب المفرد)، وقال النسائي: ليس بالقوي، وقال ابن هارون: ليس به بأس، توفي في حدود السبعين والمائة.

تهذيب الكمال: (١/ ١٧١)، الثقات: (٦/ ٨٥)، تهذيب التهذيب (١/ ١٠٩)، ميزان الاعتدال: (١/ ٣٢٥)، تقريب التهذيب ص(٣٨).

(٣) مصنف ابن أبي شيبة، كتاب فضائل القرآن، باب (من قال يشفع القرآن لصاحبه يوم القيامة) (٦/ ١٣٠).

المطلب العاشر

العذاب النفسي في أمانيهم في ذلك اليوم وعدم تحققها

أ- أمانيهم في الافتداء بالأبناء والإخوان والأزواج والأقارب ومن في الأرض جميعًا:

جعل الله صلة الرحم من أوثق عرى الإيمان ورتب عليها الأجر العظيم، وتوعد من قطعها بأن يقطعه والعذاب الأليم في الدنيا والآخرة، وجعل هذه الصلة تسودها المودة والرحمة، فترى المحبة والوداد يسود بين الزوجين، والأب وابنه، والقريب وقريبه، ولكن في يوم القيامة تنقطع الصلات بينهم، فيصبح كل إنسان مشغولًا بنفسه بل ويفر منه كما قال تعالى: ﴿يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ﴿٣٤﴾ وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ ﴿٣٥﴾ وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ ﴿٣٦﴾ لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ﴾[عبس: ٣٤-٣٧].

وقال تعالى: ﴿ وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ ﴾ ولا تناقض بين هذا وقوله تعالى: ﴿ يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ﴾؛ لأن القيامة مواطن، ففي مواطن يشتد عليهم الخوف لا يتساءلون وفي مواطن يفيقون فيتساءلون[1].

وقوله تعالى: ﴿لَنْ تَنْفَعَكُمْ أَرْحَامُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ ۚ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَفْصِلُ بَيْنَكُمْ ۚ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾[الممتحنة: ٣].

وقوله: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ وَاخْشَوْا يَوْمًا لَا يَجْزِي وَالِدٌ عَنْ وَلَدِهِ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَنْ وَالِدِهِ شَيْئًا ۚ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ ۖ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُمْ بِاللَّهِ الْغَرُورُ ﴾[لقمان: ٣٣].

وقوله: ﴿ فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ ﴾ [المؤمنون: ١٠١]، وغير ذلك من الآيات.

---

(١) تفسير النسفي، (٣/ ١٢٨).

وفي هذا اليوم العظيم يتمنى الكافر أن لو استطاع أن يفتدي بأقرب قريب له وأن ينجو من عذاب الله ولكن هيهات، تمنى حين لا ينفعه الأماني، ورجا حين لا ينفعه الرجاء، فيزداد ألمًا وعذابًا نفسيًا في يوم لا يقبل منه ذلك الفداء ولو افتدى به.

١-قال الحق ﷻ: ﴿وَلَوْ أَنَّ لِكُلِّ نَفْسٍ ظَلَمَتْ مَا فِي ٱلْأَرْضِ لَٱفْتَدَتْ بِهِۦ ۗ وَأَسَرُّواْ ٱلنَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُاْ ٱلْعَذَابَ ۖ وَقُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْقِسْطِ ۚ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ [يونس: ٥٤].

قال ابن جرير: يقول تعالى ذكره: ﴿وَلَوْ أَنَّ لِكُلِّ نَفْسٍ﴾ كفرت بالله، وظُلْمُها في هذا الموضع: عبادتها غير من يستحق عبادة وتركها طاعة من يجب عليها طاعته، ﴿مَا فِي ٱلْأَرْضِ﴾ من قليل أو كثير ﴿لَٱفْتَدَتْ بِهِۦ ۗ﴾ يقول: لافتدت بذلك كله من عذاب الله إذا عاينته(١).

٢-وقال تعالى: ﴿لِلَّذِينَ ٱسْتَجَابُواْ لِرَبِّهِمُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ وَٱلَّذِينَ لَمْ يَسْتَجِيبُواْ لَهُۥ لَوْ أَنَّ لَهُم مَّا فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُۥ مَعَهُۥ لَٱفْتَدَوْاْ بِهِۦٓ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ سُوٓءُ ٱلْحِسَابِ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ﴾[الرعد: ١٨].

٣-وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَمَاتُواْ وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَن يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِم مِّلْءُ ٱلْأَرْضِ ذَهَبًا وَلَوِ ٱفْتَدَىٰ بِهِۦٓ﴾[آل عمران: ٩١].

٤-قال تعالى: ﴿يُبَصَّرُونَهُمْ ۚ يَوَدُّ ٱلْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِى مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍۭ بِبَنِيهِ ﴿١١﴾ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَأَخِيهِ ﴿١٢﴾ وَفَصِيلَتِهِ ٱلَّتِى تُـْٔوِيهِ ﴿١٣﴾ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ يُنجِيهِ ﴿١٤﴾ كَلَّآ ۖ إِنَّهَا لَظَىٰ﴾ [المعارج: ١١-١٥].

قال ابن كثير: يخبر الله ﷻ عن حال الكافر يوم القيامة وأنه لا يقبل منه

(١) تفسير الطبري: (١١/ ١٥٤).

فداء ولو جاء بأهل الأرض وبأعز ما يجده من المال ولو بملء الأرض ذهبًا، أو من ولده الذي كان في الدنيا حشاشة كبده يود يوم القيامة إذا رأى الأهوال أن يفتدي من عذاب الله به ولا يقبل منه.

قال مجاهد والسدي: ﴿وَفَصِيلَتِهِ ٱلَّتِى تُـْٔوِيهِ﴾ قبيلته وعشيرته، وقال عكرمة: فخذه الذي هو منهم.

وقال أشهب[1] عن مالك: فصيلته: أمه[2].

وقال الطبري: يودُّ الكافر يومئذ ويتمنى أنه يفتدي من عذاب الله إياه ذلك اليوم ببنيه وصاحبته وهي زوجته وأخيه وفصيلته وهم عشيرته التي تؤويه يعني التي تضمه إلى رحله، وتنزل فيه امرأته لقربة ما بينها وبينه وبمن في الأرض جميعًا من الخلق، ثم ينجيه ذلك من عذاب الله إياه ذلك اليوم.

وبدأ جل ثناؤه بذكر البنين ثم الصاحبة ثم الأخ إعلامًا منه عباده أن الكافر من عظيم ما ينزل به يومئذ من البلاء يفتدي نفسه لو وجد إلى ذلك سبيلًا بأحب الناس إليه كان في الدنيا وأقربهم إليه نسبًا[3].

---

(١) هو أشهب بن عبدالعزيز بن أبي داود بن إبراهيم، أبو عمر العامري نسبة إلى عامر ابن لؤي، كان أحد الفقهاء المشهورين على مذهب الإمام مالك، مفتي مصر، يقال اسمه مسكين وأشهب لقب له، قال الشافعي: ما أخرجت مصر أفقه من أشهب لولا طيش فيه، قال ابن عبدالبر: كان فقيه أحسن الرأي والنظر فضله ابن عبدالحكم على ابن القاسم في الرأي، وقال سحنون: رحم الله أشهب ما كان يزيد في سماعه حرفًا واحدًا، توفي في شعبان سنة أربع ومائتين.

وفيات الأعيان: (١/ ١٢٧)، سير أعلام النبلاء: (٩/ ٥٠٠)، العبر: (١/ ٢٧٠)، الديباج المذهب، ص(١٦٢)، الكاشف: (١/ ٨٤).

(٢) تفسير ابن كثير: (٤/ ٣٥٨).

(٣) تفسير الطبري: (٢٩/ ٩١).

وفي قوله: ﴿كَلَّآ إِنَّهَا لَظَىٰ﴾: ردع للمجرم عن تلك الودادة، وتنبيه على أنه لا ينفعه الافتداء ولا ينجيه من العذاب(١).

ب- أمانيهم في العودة للدنيا والعمل الصالح فيها:

الرجوع إلى الدنيا أمنية من أماني الكافرين يوم القيامة تمنوها عند سكرات الموت ولم يجابوا إليها فعادوا طلب ذلك يوم القيامة لعلهم يجابون إلى ذلك، ولكن ولات حين مناص، فيا حسرتهم ويا ندمهم ويا هول عذابهم النفسي عندما يوبخون على طلبهم هذا، ولا يجابون إليه.

١-قال الله تعالى: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُۥ ۚ يَوْمَ يَأْتِى تَأْوِيلُهُۥ يَقُولُ ٱلَّذِينَ نَسُوهُ مِن قَبْلُ قَدْ جَآءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلْحَقِّ فَهَل لَّنَا مِن شُفَعَآءَ فَيَشْفَعُوا۟ لَنَآ أَوْ نُرَدُّ فَنَعْمَلَ غَيْرَ ٱلَّذِى كُنَّا نَعْمَلُ ۚ قَدْ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ﴾ [الأعراف: ٥٣].

والمعنى أن هؤلاء الذين تركوا الإيمان بالقرآن في الدنيا يقولون يوم القيامة ﴿لَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلْحَقِّ﴾وكذبناهم أي: إنهم أقروا يوم القيامة بأن ما جاءت به الرسل من ثبوت البعث والنشر والحشر والقيامة، والثواب والعقاب كل ذلك كان حقًا ﴿فَهَل لَّنَا مِن شُفَعَآءَ فَيَشْفَعُوا۟ لَنَآ﴾ من العذاب اليوم ﴿أَوْ نُرَدُّ﴾ إلى الدنيا ﴿فَنَعْمَلَ غَيْرَ ٱلَّذِى كُنَّا نَعْمَلُ﴾ أي: لما رأوا أنفسهم في العذاب قالوا: لا طريق لنا إلى الخلاص مما نحن فيه من العذاب الشديد إلا أحد هذين الأمرين وهو أن يشفع لنا شفيع، فلأجل تلك الشفاعة يزول هذا العذاب أو أن يردنا الله تعالى إلى الدنيا حتى نوحد الله تعالى بدلًا عن الكفر ونطيعه بدلًا عن المعصية(٢).

---

(١) انظر: الكشاف: (٤/ ٦١٣)، تفسير أبي السعود: (٩/ ٣١).

(٢) مراح لبيد: (١/ ٣٧٤).

٢-وقال تعالى: ﴿ وَأَنذِرِ ٱلنَّاسَ يَوْمَ يَأْتِيهِمُ ٱلْعَذَابُ فَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ رَبَّنَآ أَخِّرْنَآ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ نُّجِبْ دَعْوَتَكَ وَنَتَّبِعِ ٱلرُّسُلَ ۗ أَوَلَمْ تَكُونُوٓا۟ أَقْسَمْتُم مِّن قَبْلُ مَا لَكُم مِّن زَوَالٍ ﴾[إبراهيم: ٤٤].

قال الشوكاني: ﴿فَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ﴾ منهم وهم الكفار ﴿رَبَّنَآ أَخِّرْنَآ ﴾ أمهلنا ﴿إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ ﴾ إلى أمد من الزمان معلوم غير بعيد ﴿نُّجِبْ دَعْوَتَكَ ﴾ أي: دعوتك لعبادك على ألسن أنبيائك إلى توحيدك ﴿وَنَتَّبِعِ ٱلرُّسُلَ ﴾ المرسلين منك إلينا فنعمل بها بلغوه إلينا من شرائعك ونتدارك ما فرط منا من الإهمال، وإنما جمع الرسل؛ لأن دعوتهم إلى التوحيد متفقة، فاتباع واحد منهم اتباع لجميعهم، وهذا سؤال للرجوع إلى الدنيا لما ظهر لهم الحق في الآخرة ﴿وَلَوْ رُدُّوا۟ لَعَادُوا۟ لِمَا نُهُوا۟ عَنْهُ﴾[الأنعام: ٢٨].

ثم حكى سبحانه ما يجاب به عنهم عندما يقولون هذه المقالة فقال: ﴿أَوَلَمْ تَكُونُوٓا۟ أَقْسَمْتُم مِّن قَبْلُ مَا لَكُم مِّن زَوَالٍ ﴾[الشورى: ٤٤] أي: فيقال لهم هذا القول توبيخًا وتقريعًا أي: أو لم تكونوا أقسمتم من قبل هذا اليوم مالكم من زوال من دار الدنيا[١].

٣-وقال تعالى: ﴿وَتَرَى ٱلظَّٰلِمِينَ لَمَّا رَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ يَقُولُونَ هَلْ إِلَىٰ مَرَدٍّ مِّن سَبِيلٍ ﴾.

ولو ترى يا محمد صلوات الله وسلامه عليه الظالمين أي الكافرين حين رأوا العذاب يوم القيامة يقولون هل إلى رجوع إلى الدنيا من حيلة[٢].

---

(١) فتح القدير: (١/ ٩٥٩).

(٢) تفسير الثعلبي: (٨/ ٣٢٤).

جـ- أمانيهم في الهلاك والتسوية بالجماد.

١- تمنى الهلاك:

إن الموت الذي يفر منه الكافر في الدنيا، ولا يتمناه أبدًا، ويود أن لو يعمر ألف سنة وأن لا يموت فيتمناه يوم القيامة فيتمنى الهلاك والموت لهول ما يشاهد، قال تعالى حاكيًا عنه ﴿يَٰلَيْتَهَا كَانَتِ ٱلْقَاضِيَةَ ﴾[الحاقة: ٢٧]، قال قتادة: تمنى الموت ولم يكن في الدنيا عنده شيء أكره من الموت، وشر من الموت ما يطلب له الموت، قال الشاعر:

وشر من الموت الذي إن لقيته

تمنيت منه الموت والموت أعظم[١]

وصدق المتنبي[٢] حين قال:

كفى بك داءً أن تَرى المَوْتَ شافيًا

وحَسْبُ المَنَايَا أن يكُنّ أمانيا[٣]

---

(١) انظر: مفاتيح الغيب (٣٠/ ١٠٠)، تفسير السراج المنير، للشربيني (٨/ ٨٥).

(٢) هو أبو الطيب أحمد بن الحسين بن الحسن بن عبدالله، الجعفي الكوفي الشاعر الأديب المجيد، صاحب الديوان المعروف قال الشعر في صغره، وقد فاق أهل عصره، قال الذهبي: وليس في العالم أحد أشعر منه أبدًا، وأما مثله فقليل، صار إلى عضد الدولة بفارس فمدحه وعاد إلى بغداد فقتل بالطريق بالقرب من النعمانية في شهر رمضان سنة أربع وخمسين وثلاثمائة.

مرآة الجنان: (٢/ ٢٦٤)، البداية والنهاية: (١١/ ٢٧٣)، العبر: (٢/ ٩٤)، شذرات الذهب (٣/ ١٣)، الوافي بالوفيات (٦/ ٢٠٨).

(٣) ديوان المتنبي، ص(٢٦٠).

٢ - تمنى التسوية بالجماد:

أ - أمانيهم في أن لو كانوا ترابًا:

يحشر الله الأولين والآخرين يوم القيامة من الأنس والجن والدواب والبهائم والطير وكل شيء.

ثم من تمام عدل الله في ذلك اليوم أن يقتص للشاة الجلحاء من الشاة القرناء فعن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «**لَتُؤَدُّنَّ الْحُقُوقَ إِلَى أَهْلِهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى يُقَادَ لِلشَّاةِ الْجَلْحَاءِ مِنْ الشَّاةِ الْقَرْنَاءِ**»[١].

ثم بعد هذه المحاكمة العادلة يقال لها كوني ترابًا، فيتمنى الكافر لو كان ترابًا لا حساب ولا عقاب عليه.

فعن أبي هريرة ﷺ قال: يحشر الله الخلق كلهم يوم القيامة: البهائم والطير والدواب وكل شيء، فيبلغ من عدل الله أن يأخذ للجماء من القرناء، ثم يقول: كوني ترابًا، فذلك قوله تعالى حكاية عن الكفار ﴿وَيَقُولُ ٱلْكَافِرُ يَٰلَيْتَنِى كُنتُ تُرَٰبًۢا﴾ [النبأ: ٤٠][٢].

---

(١) رواه مسلم، كتاب البر والصلة والأدب، باب (تحريم الظلم)، رقم (٢٥٨٢)، (٤/ ١٥٨٥).

(٢) رواه الحاكم في مستدركه رقم (٣٢٣١)، (٢/ ٣٤٥-٣٤٦). وقال عنه: صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي في التلخيص فقال: على شرط مسلم.

ورواه إسحاق بن راهويه مطولًا في مسنده ص(٦٨) وقال محقق الكتاب محمد مختار المفتي: إسناده ضعيف، ورواه الطبراني في (الأحاديث الطوال) ص(٩٨).

ورواه ابن أبي الدنيا في (الأهوال) ص(١٩٤) عن القاسم بن أبي بزة قال محقق الكتاب مجدي السيد: إسناد صحيح.

ورواه البيهقي في (البعث والنشور) ص(٣٣١)، ورواه أبو الشيخ في (العظمة) ص(١٤٠-١٤١)، ورواه المروزي في (تعظيم قدر الصلاة) ص(١٥٢).

ب- أمانيهم في أن لو تسوى بهم الأرض:

من أماني الكافرين يوم القيامة ومن العذاب النفسي الذي يحل عليهم في ذلك اليوم أنهم يتمنون أن يدفنوا فتسوى بهم الأرض كما يفعل بالموتى ولا يكتمون الله حديثًا، وما ذاك إلا لشدة الأمر عليهم قال تعالى: ﴿ يَوْمَئِذٍ يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَعَصَوُا۟ ٱلرَّسُولَ لَوْ تُسَوَّىٰ بِهِمُ ٱلْأَرْضُ وَلَا يَكْتُمُونَ ٱللَّهَ حَدِيثًا ﴾ [النساء: ٤٢].

قال ابن كثير رحمه الله عن هذه الآية: أي لو انشقت وبلعتهم مما يرون من أهوال الموقف وما يحل بهم من الخزي والفضيحة والتوبيخ[١]، نسأل الله السلامة والعافية.

* * *

(١) تفسير ابن كثير: (١/ ٤٣٩).

الفصل الثاني

العذاب النفسي في عرصات القيامة

وفيه سبعة مباحث:

المبحث الأول: عرصات ومواقف يوم القيامة.

المبحث الثاني: العذاب النفسي عند احتجاب الله عنهم في ذلك اليوم.

المبحث الثالث: العذاب النفسي عند تعجيزهم ببعض الطلبات.

المبحث الرابع: العذاب النفسي عند وصفهم ببعض الصفات القبيحة.

المبحث الخامس: العذاب النفسي عند شهود الأشهاد عليهم.

المبحث السادس: العذاب النفسي عند منعهم من بعض الأعمال.

المبحث السابع: العذاب النفسي عند جدالهم.

المبحث الأول

عرصات ومواقف يوم القيامة

نتحدث عن عرصات يوم القيامة وما فيها من المواقف التي يقف فيها الكافر والمنافق وتعرضهم للعذاب النفسي، وقبل الشروع في مواقف تلك العرصات نتحدث عن تعريف عرصات يوم القيامة.

العرصات لغة: جمع عرصة وهي كل موضع واسع لا بناء فيه[(١)].

وقال **الأصمعي**: كل جوبة منفتقة ليس فيها بناء فهي عرصة[(٢)].

وقيل **العرصة**: كل بقعة بين الدور واسعة ليس فيها بناء[(٣)].

فعرصات يوم القيامة إذًا:

هي مواقف يوم القيامة مثل الحوض والصراط، والميزان، والحساب وغيرها.

* * *

---

(١) النهاية في غريب الحديث، (٣/ ١٨٨-١٨٩).

(٢) تهذيب اللغة: (٢/ ١٥). النهاية في غريب الحديث، (٣/ ١٨٨-١٨٩).

(٣) لسان العرب: (٦/ ١٧٧)، الصحاح، ص(٦٨٩)، القاموس المحيط، ص(٦٦٩)، تاج العروس: (١٨/ ١٥)

المطلب الأول

العذاب النفسي عند الحــوض

الفرع الأول: تعريف الحوض:

الحوض لغة: حوض الماء واستحوض الماء: اتخذ لنفسه حوضًا، والمُحْوَض: يجعل للنخلة تشرب منه[١].

حوض: حاض الماء وغيره حَوْضًا وحَوَضة: حاطَه وجمَعه، وحُضْتُ.

أَحُوضُ: اتخذت حوضًا، واستحوض الماء: اجتمع، والحَوْض: مجتمع الماء معروف، والجمع أحواض وحياضٍ[٢].

الحوض اصطلاحًا:

هو حوض الرسول ﷺ: الذي يسقي منه أمته يوم القيامة[٣].

* * *

(١) مقاييس اللغة ص(٢٧١)، الصحاح ص(٢٧٤).

(٢) لسان العرب: (٢/ ٦٦١)، تاج العروس: (١٨/ ١٦٢)، مختار الصحاح ص(١٠٦).

(٣) لسان العرب: (٢/ ٦٦١)، تاج العروس: (١٨/ ١٦٢).

الفرع الثاني: مكان الحوض:

اختلف أهل العلم في مكان الحوض هل هو في عرصات القيامة أم هو بعد الصراط[١] والذي يظهر لي والعلم عند الله أنه في عرصات القيامة لقوله ﷺ لأصحابه: «إِنِّي فَرَطُكُمْ عَلَى الْحَوْضِ»[٢] أي: سابقكم إليه، ولأن الناس في حاجة إليه قبل المرور على الصراط.

قال ابن كثير: إن قال قائل: فهل يكون الحوض قبل الجواز على الصراط أو بعده؟ قلت: إن ظاهر ما تقدم من الأحاديث يقتضي كونه قبل الصراط؛ لأنه يذاد عنه أقوام يقال عنهم إنهم لم يزالوا يرتدون على أعقابهم منذ فارقتهم، فإن كان هؤلاء كفارًا فالكافر لا يجاوز الصراط، بل يكب على وجهه في النار قبل أن يجاوزها، وإن كانوا عصاة فهم من المسلمين فيبعد حجبهم عن الحوض لا سيما وعليهم سيما الوضوء وقد قال ﷺ: «تَرِدُونَ عَلَيَّ غُرًّا مُحَجَّلِينَ مِنْ آثَارِ الْوُضُوءِ»[٣] ثم من جاوز لا يكون إلا ناجيًا مسلمًا، فمثل هذا لا يحجب عن الحوض، فالأشبه والله أعلم أن الحوض قبل الصراط[٤].

* * *

---

(١) انظر: التذكرة، ١/ ٢٥٢-٢٥٣، لوامع الأنوار البهية، ٢/ ١٩٥، والبحور الزاخرة، ٢/ ٧٤٧.

(٢) رواه مسلم، كتاب الفضائل، باب (إثبات حوض نبينا ﷺ وصفاته)، رقم (٢٢٩٦)، ٤/ ١٤٣٢.

(٣) رواه مسلم، كتاب الطهارة، باب (استحباب إطالة الغرة والتحجيل في الوضوء)، رقم (٢٤٧)، ١/ ١٨٣.

(٤) النهاية في الفتن والملاحم، ابن كثير، ١/ ٣٢٥.

الفرع الثالث: إثبات الحوض:

تضافرت الأدلة من السنة على إثبات الحوض عن النبي ﷺ وعن وجوده وصفاته بل وجوده الآن، فقد روى عقبة بن عامر(١) ﷺ أن النبي ﷺ خطب ذات يوم في أصحابه وقال: «وَاللهِ لَأَنْظُرُ إِلَى حَوْضِي الْآنَ»(٢).

وعن أبي هريرة ﷺ قال: «مَا بَيْنَ بَيْتِي وَمِنْبَرِي رَوْضَةٌ مِنْ رِيَاضِ الْجَنَّةِ وَمِنْبَرِي عَلَى حَوْضِي»(٣).

وعن ثوبان(٤) ﷺ قال: سئل النبي ﷺ عن شرابه؟ فقال: «أَشَدُّ بَيَاضًا مِنَ

---

(١) هو عقبة بن عامر بن عبس بن عمر الجهني، يكنى أبا حماد، وقيل: أبا لبيد، الصحابي المشهور روى عن النبي ﷺ كثيرًا، قال أبو سعيد بن يونس: كان قارئًا عالمًا بالفرائض والفقه، فصيح اللسان، شاعرًا كاتبًا، وهو أحد من جمع القرآن، شهد عقبة بن عامر الفتوح، وكان هو البريد إلى عمر بفتح دمشق، وشهد صفين مع معاوية وأمره بعد ذلك على مصر، وسكنها وتوفي بها سنة ثمان وخمسين.

الاستيعاب: (٢/ ٣٣)، أسد الغابة: (٤/ ٤٨٩)، معرفة الصحابة: (٤/ ١٠)، الإصابة: (٥/ ٢١٢)، تهذيب الأسماء واللغات: (١/ ٤٣٩).

(٢) رواه مسلم، كتاب الفضائل، باب (إثبات حوض نبينا وصفاته) رقم (٢٢٩٦)، (٤/ ١٤٣٢).

(٣) رواه البخاري، كتاب فضائل المدينة، رقم (١٨٨٨)، ص(٣٧٣).

ورواه مسلم، كتاب الحج، باب (ما بين القبر والمنبر روضة من رياض الجنة) رقم (١٣٩١)، (٢/ ٨٢٠).

(٤) هو ثوبان بن بجدد مولى رسول الله ﷺ، صحابي مشهور، يقال إنه من العرب حكمي من حكم بن سعد حمير، وقيل من السراه، اشتراه رسول الله ﷺ فخدمه إلى أن مات ثم تحول إلى الرملة ثم حمص، وشهد فتح مصر، مات بحمص سنة أربع وخمسين.

الاستيعاب: (١/ ١٣٥)، معرفة الصحابة: (١/ ٤١٩)، طبقات ابن سعد: (٧/ ١٩١)، أسد الغابة: (١/ ٢٨٤)، الإصابة: (١/ ٥٢٧).

اللَّبَنِ وَأَحْلَى مِنَ الْعَسَلِ، يَغُتُّ[١] فِيهِ مِيزَابَانِ يَمُدَّانِهِ مِنَ الْجَنَّةِ أَحَدُهُمَا مِنْ ذَهَبٍ وَالْآخَرُ مِنْ وَرِقٍ»[٢].

وعن أبي ذر رضي الله عنه قال: قُلْتُ يَا رَسُولَ اللهِ مَا آنِيَةُ الْحَوْضِ؟ قَالَ: «وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَآنِيَتُهُ أَكْثَرُ مِنْ عَدَدِ نُجُومِ السَّمَاءِ وَكَوَاكِبِهَا أَلَا فِي اللَّيْلَةِ الْمُظْلِمَةِ الْمُصْحِيَةِ آنِيَةُ الْجَنَّةِ مَنْ شَرِبَ مِنْهَا لَمْ يَظْمَأْ آخِرَ مَا عَلَيْهِ، يَشْخَبُ فِيهِ مِيزَابَانِ مِنَ الْجَنَّةِ مَنْ شَرِبَ مِنْهُ لَمْ يَظْمَأْ، عَرْضُهُ مِثْلُ طُولِهِ مَا بَيْنَ عَمَّانَ إِلَى أَيْلَةَ، مَاؤُهُ أَشَدُّ بَيَاضًا مِنَ اللَّبَنِ وَأَحْلَى مِنَ الْعَسَلِ»[٣].

والحوض ثابت للنبي ﷺ ولكل نبي حوض فعن سمرة بن جندب[٤] رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ لِكُلِّ نَبِيٍّ حَوْضًا وَإِنَّهُمْ يَتَبَاهَوْنَ أَيُّهُمْ أَكْثَرُ وَارِدَةً وَإِنِّي أَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَكْثَرَهُمْ وَارِدَةً»[٥]، هذه بعض الأدلة الواردة في وجوب

(١) يغت: قيل معناه: يدفقان فيه الماء دفقًا متتابعًا شديدًا، وقيل: يصبان فيه دائمًا صبًّا شديدًا. انظر: شرح النووي على صحيح مسلم، ١٥/ ٦٣.

(٢) رواه مسلم، كتاب الفضائل، باب (إثبات حوض نبينا وصفاته) رقم (٢٣٠١)، (٤/ ١٤٣٥).

(٣) رواه مسلم، كتاب الفضائل، باب (إثبات حوض نبينا وصفاته)، رقم:(٢٣٠٠)، (٤/ ١٤٣٤).

(٤) هو سمرة بن جندب بن هلال بن جريج بن مرة بن جز بن الغزاري، يكنى أبا سليمان كان من حلفاء الأنصار، عن عبدالله بن بريدة عن سمرة كنت غلامًا على عهد رسول الله ﷺ فكنت أحفظ عنه، ونزل سمرة البصرة وكان زياد يستخلفه إذا سار إلى الكوفة، وكان شديدًا على الخوارج فكانوا يطعنون عليه، وكان الحسن وابن سيرين يثنيان عليه، قيل: مات سنة ثمان وخمسين، وقيل: سنة تسع وخمسين،وقيل غير ذلك.

الاستيعاب: (١/ ٣٩٢)، معرفة الصحابة: (٢/ ٥٢٢)، الطبقات الكبرى: (٦/ ٣٨٠)، أسد الغابة: (٢/ ٣٧٦)، الإصابة: (٣/ ١٥٠).

(٥) رواه الترمذي في سننه، كتاب صفة القيامة، باب (ما جاء في صفة الحوض) رقم (٣٤٤٣)، (٤/ ٥٤٢) وقال أبو عيسى: هذا حديث حسن غريب، وقد روى الأشعث ابن عبدالملك=

الإيمان بالحوض وأنه حق وعن أبي جمرة[١] قال: دخل أبو برزة[٢] على عبيد الله ابن زياد[٣] فقال: إِنَّ مُحَمَّدِيَّكُمْ هَذَا لَدَحْدَاحٌ، فَسَمِعَهَا الشَّيْخُ، فَقَالَ: مَا ظَنَنْتُ

=هذا الحديث عن الحسن عن النبي ﷺ مرسلًا ولم يذكر فيه عن سمرة وهو أصح، وصححه الألباني في (صحيح الجامع) رقم (٢١٥٦) (١/ ٤٣١)، وسلسلة الأحاديث الصحيحة، رقم (١٥٨٩)، (٤/ ١١٧)، وقال ابن حجر في (الفتح) (١/ ٤٧٥) معلقًا على كلام الترمذي: والمرسل أخرجه ابن أبي الدنيا بسند صحيح، ثم ذكر الحديث، ورواه الطبراني في المعجم الكبير، رقم (٦٨٨١) (٧/ ٢١٢)، قال العيني في (عمدة القاري) (٢٣/ ١٣٦): أخرجه الطبراني عن سمرة موصولًا مرفوعًا وفي إسناده لين، ورواه ابن أبي عاصم في السنة، رقم (٧٣٤) ص(٣٢٨)، قال محقق الكتاب الألباني: حديث صحيح وإسناده ضعيف لكن له شواهد يرتقى بها إلى درجة الصحة، وقد خرجتها مع الحديث في (الصحيحة) رقم (١٥٨٩).

(١) هو نصر بن عمران بن عصام، وقيل: ابن عاصم بن واسع، أبو جمرة الضبعي البصري، قال أحمد ابن حنبل ويحيى بن معين وأبو زرعة: ثقة، وذكره ابن حبان في الثقات، قال الحاكم: كان ورد خراسان مع سعيد بن عثمان بن عفان ثم وردها مع يزيد بن المهلب ثانيًا، وله ذكر في الفتوح ثم إنه بعد خروجهم من نيسابور أقام بسرخس مريضًا، وتوفي بها سنة ثمان وعشرين مائة.

تهذيب الكمال: (٧/ ٣٢٧)، الثقات: (٥/ ٤٧٦)، تهذيب التهذيب: (٤/ ٢٢٠)، تقريب التهذيب ص(٤٩٢)، الكاشف: (٣/ ١٧٨).

(٢) هو فضلة بن عبيد، وقيل: ابن عبدالله، وقيل: ابن عائذ، أبو برزة الأسلمي من بني سلامان ابن أسلم، وهو مشهور بكنيته أسلم قديمًا، وشهد فتح مكة، وهو الذي قتل عبدالعزى بن خطل تحت ستار الكعبة يوم الفتح، لما أمر النبي ﷺ بقتله، وغزا مع رسول الله ﷺ غزوات، منها خيبر، وشهد مع علي قتل الخوارج بالنهروان، وغزا خراسان بعد ذلك، قال خليفة بن خياط: مات بخراسان سنة أربع وستين بعدما أخرجه ابن زياد من البصرة.

الاستيعاب: (٢/ ٢٩٢)، معرفة الصحابة: (٤/ ٣٣٧)، أسد الغابة: (٤/ ٢٣١)، الإصابة: (٦/ ٣٤١)، معجم الصحابة: (١٤/ ٥١٤٢).

(٣) هو عبيد الله بن زياد بن أبيه، وقصته في قتل سبط النبي ﷺ الحسين معلومة عامله الله بعدله، ولاه معاوية الكوفة والبصرة بعد موت أبيه، قتله إبراهيم بن الأشتر النخعي.....=

أَنِّي أَعِيشُ حَتَّى أُعَيَّرَ بِصُحْبَةِ مُحَمَّدٍ ﷺ، قَالَ: فَاسْتَلْقَى ابْنُ زِيَادٍ وَكَانَ إِذَا اسْتَحَى مِنَ الشَّيْءِ اسْتَلْقَى، فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ: إِنَّ الأَمِيرَ دَعَاكَ يَسْأَلُكَ عَنِ الْحَوْضِ، هَلْ سَمِعْتَ النَّبِيَّ ﷺ يَذْكُرُهُ؟ قَالَ: نَعَمْ، قَدْ سَمِعْتُهُ فَمَنْ كَذَّبَ بِهِ فَلاَ سَقَاهُ اللهُ مِنْهُ[١].

فأهل السنة اتفقت كلمتهم قاطبة على إثبات حوض نبينا محمد ﷺ، وإليك بعضًا من نقولاتهم:

قال الإمام أحمد في ذكر عقيدته: الإيمان بالحوض[٢].

وقال الإمام أبو الحسن الأشعري: وأنكرت المعتزلة الحوض، وقد روي عن النبي ﷺ من وجوه كثيرة، وروي عن أصحابه بلا خلاف[٣].

وقال أبو بكر الإسماعيلي[٤]: ....

=في وقعة الخارز سنة سبع وستين وكان في جيش المختار الثقفي، البداية والنهاية (٨/ ٢٦٦-٢٦٨)، تاريخ دمشق، ابن عساكر، (٣٧/ ٤٣٣)، تعجيل المنفعة ص(٢٧٠) المنتظم: (٦/ ٦٣)، تاريخ الطبري: (٣/ ٤٧٩-٤٨١).

(١) رواه أحمد في مسنده، رقم (١٩٧٦٣)، (٣٣/ ٩)، قال الأرناؤوط: إسناد صحيح، وهذا إسناد حسن في المتابعات والشواهد، ورواه أبو داود في سننه، باب (في الحوض)، رقم (٤٧٤٩)، (٣/ ٢٤٣)، ورواه عبدالرزاق في مصنفه، رقم (٢٠٨٥٢)، (١١/ ٤٠٤)، ورواه البزار في مسنده، (رقم (٢٤٣٥)، (٦/ ٤١٠)، ورواه البيهقي في البعث والنشور ص: (١٠٧)، وفي الاعتقاد ص: (٢٧٨)، ورواه ابن أبي عاصم في السنة، رقم (٧٠٣)، ص(٣١٠)، قال محققه الألباني: إسناده ضعيف.

(٢) العقيدة برواية الخلال، ص: (٦٣).

(٣) الإبانة عن أصول الديانة، أبو الحسن الأشعري، ص: (١٧٩).

(٤) هو الحافظ أبو بكر أحمد بن إبراهيم بن إسماعيل الإسماعيلي، الجرجاني الفقيه الشافعي، كان واحد عصره وشيخ دهره، وشيخ المحدثين والفقهاء، وأجلهم في الرياسة والمروءة والسخاء، ولا خلاف بين عقلاء الفريقين من أهل العلم فيه، صنف=

إن الحوض حق[١].

وقال أبو عثمان الصابوني[٢] في عقيدة السلف أصحاب الحديث: ويؤمنون بالحوض والكوثر[٣].

* * *

= (المستخرج على الصحيح) و(المعجم)، توفي سنة إحدى وسبعين وثلاثمائة.

طبقات الشافعية: ٣/ ٧، البداية والنهاية: ١١/ ٣١٨، تذكرة الحفاظ: ٣/ ١٠٦، العبر: ٢/ ١٣٧، تاريخ جرجان، ص(٣٧).

(١) اعتقاد أهل السنة، للإسماعيلي، ص: (٤٧).

(٢) هو أبو عثمان إسماعيل بن عبدالرحمن بن أحمد النيسابوري، الواعظ المفسر المصنف، أحد الأعلام، ولد سنة ثلاث وسبعين وثلاثمائة، وأول ما جلس للوعظ وهو ابن عشر سنين، وكان شيخ خراسان في زمانه، وقال أبو عبدالله المالكي: أبو عثمان ممن شهدت له أعيان الرجال بالكمال في الحفظ والتفسير، وقال الحافظ عبدالغفار: هو الإمام شيخ الإسلام الخطيب المفسر الواعظ أوحد وقته في طريقته، وكان أكثر أهل العصر من المشايخ سماعًا وحفظًا ونشرًا لمسموعاته وتصانيفه ووعظ الناس، مات سنة تسع وأربعين وأربعمائة.

العبر: ٢/ ٣٩٣، البداية والنهاية: ١٢/ ٨٣، الوافي بالوفيات: ٩/ ٨٦، النجوم الزاهرة: ٥/ ٦٢، معجم الأدباء: ٧/ ١٦.

(٣) عقيدة أصحاب الحديث، للصابوني، ص: (٧٩).

الفرع الرابع: العذاب النفسي عند الحوض:

يخرج الناس من قبورهم عطاشًا في حاجة إلى الشراب في عرصات يوم القيامة فيردون إلى أحواض الأنبياء يريدون أن يشربوا، فأما أهل الإيمان فيشربون شربة لا يظمئون بعدها أبدًا، وأما أهل الكفر والنفاق فيذادون ويمنعون من الشرب، فانظر إلى حالهم وقد منعوا من الشراب والظمأ يشتد بهم، وانظر إلى تألمهم وتحسرهم وعذابهم النفسي عندما يشرب أهل الإيمان من أحواض الأنبياء فيرتوون في ذلك اليوم العظيم وهم يقفون بعيدين مطرودين منكسرين متحسرين لعدم تمكنهم من الشراب والعياذ بالله.

قال الحارث المحاسبي[٤]: حتى إذا وافى الموقف أهل السماوات السبع والأرضين السبع كُسيت الشمس حر عشر سنين، وأدنيت من رؤوس الخلائق قاب قوس أو قوسين، ولا ظل لأحدٍ إلا ظليل عرش رب العالمين، فمن بين مستظلٍ بظل العرش، وبين مضحوّ بحرِّ الشمس، قد صهرته بحرها واشتد كرُبُه وَقلقه من وهجها، ثم ازدحمت الأمم وتدافعت، فدفع بعضهم بعضًا وتضايقت فاختلفت الأقدام وانقطعت الأعناق من العطش[٥].

---

(٤) هو أبو عبدالله الحارث بن أسد المحاسبي البغدادي، أحد الأئمة المشهورين، قال الحافظ أبو بكر الخطيب: كان عالمًا فهامًا، له مصنفات في أصول الديانات وكتب في الزهد، وقال في موضع آخر: أحد من اجتمع له الزهد والمعرفة بعلم الظاهر والباطن، وقد سمى المحاسبي؛ لكثرة محاسبته نفسه، قيل هجره أحمد فاختفى مدة، له مصنفات منها كتاب (التوهم) و (الرعاية)، مات سنة ثلاث وأربعين ومائتين.

طبقات الأولياء، ابن الملقن، ص: (١٤٤)، لب الألباب في تحرير الأنساب، السيوطي (٢/ ٢٤٠)، ميزان الاعتدال: (٢/ ١٦٤)، سير أعلام النبلاء: (١٢/ ١١٠)، مرآة الجنان: (٢/ ١٠٦).

(٥) التوهم، للحارث المحاسبي ص(١٧).

وقال الحسن البصري: ما ظنك بأقوام قاموا لله ﷻ على أقدامهم مقدار خمسين ألف سنة لم يأكلوا فيها أكلةً ولم يشربوا فيها شربة، حتى انقطعت أعناقهم من العطش واحترقت أجوافهم من الجوع انصرف بهم إلى النار[١].

ومن الأحاديث الدالة على حرمان الكافرين والمنافقين ومنعهم من الشرب من حوض النبي ﷺ وأحواض الأنبياء عليهم الصلاة والسلام:

١-عن أنس ﷺ عن النبي ﷺ قال: «لَيَرِدَنَّ عَلَيَّ نَاسٌ مِنْ أَصْحَابِي الْحَوْضَ حَتَّى عَرَفْتُهُمُ اخْتُلِجُوا دُونِي، فَأَقُولُ: أَصْحَابِي! فَيَقُولُ: لاَ تَدْرِي مَا أَحْدَثُوا بَعْدَكَ»[٢].

٢-وعن عبدالله بن مسعود ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:«أَنَا فَرَطُكُمْ عَلَى الْحَوْضِ، لَيُرْفَعَنَّ إِلَيَّ رِجَالٌ مِنْكُمْ حَتَّى إِذَا أَهْوَيْتُ لأُنَاوِلَهُمُ اخْتُلِجُوا دُونِي، فَأَقُولُ: أَيْ رَبِّ أَصْحَابِي! يَقُولُ: لاَ تَدْرِي مَا أَحْدَثُوا بَعْدَكَ»[٣].

٣-وعن أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «إِنِّي عَلَى الْحَوْضِ حَتَّى أَنْظُرَ مَنْ يَرِدُ عَلَيَّ مِنْكُمْ، وَسَيُؤْخَذُ أُنَاسٌ دُونِي، فَأَقُولُ: يَا رَبِّ مِنِّي وَمِنْ أُمَّتِي! فَيُقَالُ: أَمَا شَعَرْتَ مَا عَمِلُوا بَعْدَكَ؟ وَاللهِ مَا بَرِحُوا بَعْدَكَ يَرْجِعُونَ عَلَى أَعْقَابِهِمْ»[٤].

---

(١) المرجع السابق، ص(٢٠).

(٢) رواه البخاري، كتاب الرقائق، باب (في الحوض) رقم (٦٥٨٢) ص(١٣٨٦).

(٣) رواه البخاري كتاب الفتن، باب ما جاء في قول الله تعالى: ﴿ وَاتَّقُواْ فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمْ خَاصَّةً ﴾ رقم (٧٠٤٩)، ص(١٤٨١).

(٤) رواه مسلم، كتاب الفضائل، باب (أثبات حوض نبينا وصفاته)، رقم (٢٢٩٣)، (٤/ ١٤٣١).

قَالَ فَكَانَ ابْنُ أَبِى مُلَيْكَةَ[(١)] يَقُولُ: اللهُمَّ إِنَّا نَعُوذُ بِكَ أَنْ نَرْجِعَ عَلَى أَعْقَابِنَا أَوْ أَنْ نُفْتَنَ عَنْ دِينِنَا.

٤-وعن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «يَرِدُ عَلَيَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ رَهْطٌ مِنْ أَصْحَابِي فَيُحَلَّؤُونَ[(٢)] عَنِ الْحَوْضِ، فَأَقُولُ: يَا رَبِّ أَصْحَابِي! فَيَقُولُ: إِنَّكَ لاَ عِلْمَ لَكَ بِمَا أَحْدَثُوا بَعْدَكَ إِنَّهُمُ ارْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِهِمُ الْقَهْقَرَى»[(٣)].

٥-وروي عن عبدالله بن عباس رضي الله عنهما قال: سئل رسول الله ﷺ عن الوقوف بين يدي الله تعالى هل فيه ماء؟ قال: «والذي نَفْسي بيَدِه، إن فيه لماءً، إن أولياء الله ليردون حِياضَ الأنبياء، ويَبْعَثُ الله تعالى سبعينَ ألف مَلَكٍ في أيديهم عِصيّ من نار، يَذُودون الكفار عن حياض الأنبياء»[(٤)].

قال الباجي[(٥)]: يحتمل أن المنافقين والمرتدين وكل من توضأ يحشر بالغرة

---

(١) هو شيخ الحرم الإمام أبو بكر وأبو محمد عبدالله بن عبيد الله بن أبي مليكة زهير بن عبدالله ابن جدعان، القرشي التيمي المكي الأحول، قاضي مكة زمن ابن الزبير ومؤذن الحرم، وكان إمامًا فقيهًا حجةً فصيحًا مفوهًا متفقهًا على ثقته، روى عنه أيوب، قال: بعثني ابن الزبير على قضاء الطائف فكنت أسال ابن عباس، توفي سنة سبع عشرة ومائة.

الجرح والتعديل: (٥/ ٩٩)، الثقات: (٥/ ٢)، تهذيب الكمال: (٤/ ١٩٩)، تذكرة الحفاظ: (١/ ٧٨)، تهذيب التهذيب: (٢/ ٣٧٩).

(٢) فيحلؤون: أي يمنعون ويطردون. انظر: عمدة القاري، للعيني، ٢٣/ ١٤١.

(٣) رواه البخاري، كتاب الرقائق، باب (في الحوض)، رقم (٦٥٨٥)، ص(١٣٨٧).

(٤) كنز العمال، للهندي، رقم (٣٩٠٠٣)، (١٤/ ١٦٣)، وذكره القرطبي في التذكرة ص(٢٥٣)، وذكره النفراوي في (الفواكه الدواني شرح رسالة القيرواني) (١/ ٩١)، ورواه السيوطي في (جامع المسانيد والمراسيل) رقم (٩٤٤٠) (٣/ ٤٠٧)، وذكره ابن كثير في (النهاية في الفتن والملاحم) (١/ ٣٢٤) وقال بعد إيراده: وهذا حديث غريب من هذا الوجه وليس هو في شيء من الكتب الستة.

(٥) هو أبو الوليد سليمان بن خلف بن سعد، التجيبي الأندلسي الباجي، الفقيه المتكلم=

والتحجيل ولأجلها دعاهم، ولو لم يكن السيما إلا للمؤمنين لما دعاهم، ولما ظن أنهم منهم، قال: ويحتمل أن يكون ذلك لمن رأى النبي ﷺ فبدل بعده وارتد، فدعاهم النبي ﷺ لعلمه بهم أيام حياته وإظهارهم الإسلام وإن لم يكن لهم يومئذ غرة ولا تحجيل، لكن لكونهم عنده أيام حياته وصحبته باسم الإسلام، وظاهره[1].

قال القاضي عياض[2]: والأول أظهر فقد ورد أن المنافقين يعطون نورًا ويطفأ عند حاجتهم إلى الورود نكالًا من الله ومكرًا بهم[3].

=المحدث المفسر الأديب الشاعر، ولد سنة ثلاث وأربعمائة، رحل في طلب العلم ثم رجع إلى الأندلس فحاز الرياسة فيها، وسمع منه خلق كثير، وقد أخذ عنه أبو عمر ابن عبدالبر، وولي القضاء بمواضع من الأندلس، وله مصنفات منها (الاستيفاء شرح الموطأ) و(كتاب مسائل الخلاف) و(كتاب فرق الفقهاء)، توفي سنة ثلاث وأربعمائة.

الصلة في تاريخ أئمة الأندلس، لابن بشكوال: (١/ ١٧٥)، نفح الطيب (٢/ ٢٣٠)، فوات الوفيات: (١/ ٤٤٩)، المستفاد من ذيل تاريخ بغداد، لابن النجار (٢١/ ٩٢)، معجم الأدباء (١١/ ٢٤٦).

(١) شرح الزرقاني على موطأ مالك (١/ ٨٢-٨٣)، وتنوير الحوالك على موطأ مالك، السيوطي ص(٥١).

(٢) هو العلامة أبو الفضل القاضي عياض بن موسى بن عياض بن عمر اليحصبي الأندلسي الحافظ، ولد سنة ست وسبعين وأربعمائة، تفقه وصنف التصانيف وبعد صيته، وكان إمام أهل الحديث في وقته، وأعلم الناس بعلومه وبالنحو واللغة وكلام العرب وأيامهم وأنسابهم، وولي القضاء في سبتة ثم غرناطة، من مصنفاته (الشفاء) و (المشارق في الغريب) و(ترتيب المدارك وتقريب المسالك)، توفي في مراكش سنة أربع وأربعين وخمسمائة.

الصلة: (٢/ ٣٥٩)، الديباج المذهب، ص(٢٧٠)، الإحاطة في أخبار غرناطة، ابن الخطيب (٤/ ١٨٧)، الرسالة المستطرفة، ص(١٠٦)، التاج المكلل، للقنوجي، ص(٨٦).

(٣) شرح الزرقاني على موطأ مالك (١/ ٨٢-٨٣)، وتنوير الحوالك على موطأ مالك، السيوطي ص(٥١).

قال القرطبي: قال علماؤنا رحمة الله عليهم أجمعين: فكل من ارتد عن دين الله أو أحدث فيه ما لا يرضاه الله ولم يأذن به الله، فهو من المطرودين عن الحوض المبعدين عنه.

وأشدهم طردًا من خالف جماعة المسلمين وفارق سبيلهم كالخوارج على اختلاف فرقها، والروافض على تباين ضلالها والمعتزلة على أصناف أهوائها، فهؤلاء كلهم مبدلون.

وكذلك الظلمة المسرفون في الجور والظلم وتطميس الحق وقتل أهله وإذلالهم، والمعلنون بالكبائر المستخفون بالمعاصي، وجماعة أهل الزيغ والأهواء والبدع.

ثم البعد قد يكون في حال ويقربون بعد المغفرة إن كان التبديل في الأعمال ولم يكن في العقائد، وعلى هذا التقدير يكون نور الوضوء يعرفون به، ثم يقال لهم سحقًا.

وإن كانوا من المنافقين الذين كانوا على عهد رسول الله ﷺ يظهرون الإيمان ويسرون الكفر فيأخذهم بالظاهر، ثم يكشف لهم الغطاء فيقول لهم: سحقًا سحقًا، ولا يخلد في النار إلا كافر جاحد مبطل ليس في قلبه مثقال حبة من خردل من إيمان[١].

* * *

(١) التذكرة، ص(٢٥٦-٢٥٧).

المطلب الثاني

العذاب النفسي عند تطاير الصحف

وفيه ثلاثة فروع:

الفرع الأول: معنى تطاير الصحف:

أولًا: معنى تطاير لغة:

قال صاحب «القاموس المحيط»: تطاير: تفرق[١].

وفي «مختار الصحاح»: وتطاير الشيء تفرق، وأيضًا: طال[٢].

وقال صاحب «تاج العروس»: تطاير الشيء طال، ومنه الحديث: «خذ ما تطاير من شعرك»، وفي رواية «من شعر رأسك» أي: طال وتفرق، وتطاير السحاب في السماء إذا عمها وتفرق في نواحيها وانتشر[٣].

وقال الجوهري في «الصحاح»: وتطاير الشيء: تفرق، وتطاير الشيء: طال، واستطار الفجر وغيره: انتشر[٤].

وفي «العين»: التطاير: التفرق والذهاب[٥].

ثانيًا: معنى الصحف لغة:

قال ابن منظور في «لسان العرب»: صحف: الصحيفة التي يكتب فيها،

---

(١) القاموس المحيط، ص(٤٦١).

(٢) مختار الصحاح، ص(٢٣٦).

(٣) تاج العروس: (١٢/ ٢٣٧).

(٤) الصحاح، ص(٦٥٤).

(٥) العين، ص(٤٦١).

والجمع صَحائفُ وصُحُفٌ، وصُحْفٌ[١].

وفي «العين»: صحف: الصُّحُف جمع الصحيفة، ويخفف ويثقل، مثل سفينة وسفن نادرتان، وقياسه صَحائف وسفائن[٢].

وفي «مختار الصحاح»: الصحيفة: الكتاب والجمع صحُف وصحائف[٣].

ثالثًا: معنى تطاير الصحف في الاصطلاح:

قال شارح «المصابيح»: تطاير الصحف: تفرقها إلى كل جانب[٤].

والمعنى: تفرق الكتب التي كتبتها الملائكة وأحصوها فيها فعله الإنسان من سائر أعماله في الدنيا القولية والفعلية يوم القيامة فآخذًا لها باليمين وآخذًا لها بالشمال.

* * *

(١) لسان العرب: (٥/ ٢٨٢).

(٢) العين، ص(٥٠٩).

(٣) مختار الصحاح، ص(٢١١).

(٤) مرقاة المفاتيح: (٨/ ٣٥٣٠).

الفرع الثاني: إثبات تطاير الصحف ونشرها:

دلت آيات الكتاب والسنة على تطاير الصحف ونشرها يوم القيامة.

فمن أدلة الكتاب على ثبوته قوله تعالى: ﴿وَإِذَا ٱلصُّحُفُ نُشِرَتْ﴾[التكوير: ١٠].

وقال تعالى: ﴿ وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ ۖ وَنُخْرِجُ لَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ كِتَٰبًا يَلْقَىٰهُ مَنشُورًا ﴾ [الإسراء: ١٣].

وقوله تعالى:﴿فَأُو۟لَٰٓئِكَ يَقْرَءُونَ كِتَٰبَهُمْ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴾ [الإسراء: ٧١].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يُعْرَضُ النَّاسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ثَلاثَ عَرَضَاتٍ، فَأَمَّا عَرْضَتَانِ فَجِدَالٌ وَمَعَاذِيرُ، وَأَمَّا الْعَرْضَةُ الثَّالِثَةُ فَعِنْدَ ذَلِكَ تَطِيرُ الصُّحُفُ فِي الأَيْدِي فَآخِذٌ بِيَمِينِهِ وَآخِذٌ بِشِمَالِهِ»[١].

قال ابن تيمية: وتنشر الدواوين وهي صحائف الأعمال فآخذ كتابه بيمينه وآخذ كتابه بشماله أو من وراء ظهر[٢].

---

(١) رواه الترمذي في سننه، كتاب صفة القيامة، باب (ما جاء في العرض)، ورقم (٢٤٢٥) (٤/ ٥٣٣)، وضعفه الألباني في صحيح وضعيف الترمذي، رقم (٢٤٢٥)، ص(٥٤٦)، وقال: ضعيف؛ لأن الحسن لم يسمع من أبي هريرة.

ورواه ابن ماجه في سننه، كتاب الزهد، باب (ذكر البعث) رقم (٣٢٧٧)، (٢/ ١٤٣٠)، وضعفه الألباني في (صحيح وضعيف بن ماجه) رقم (٤٢٧٧)، ص(٧٠٨)، وضعفه أيضًا في (مشكاة المصابيح) رقم (٥٥٥٧)و (٥٥٥٨) (٣/ ١٥٤٢)، وفي (ضعيف الجامع)، رقم (٦٤٣٢)، ص(٩٣٣)، وفي تخريجه لشرح العقيدة الطحاوية ص(٤١٤)، ورواه أحمد في مسنده، رقم (١٩٧١٥)، (٣٢/ ٤٨٦) قال الأرناؤوط: إسناد ضعيف.

(٢) شرح العقيدة الواسطية، لابن تيمية، محمد خليل هراس، ص(١٠١).

وقال السفاريني: والحاصل أن نشر الصحف وأخذها باليمين والشمال مما يجب الإيمان به وعقد القلب بأنه حق لثبوته بالكتاب والسنة والإجماع[1].

* * *

(١) لوامع الأنوار البهية (٢/ ١٨١).

الفرع الثالث: العذاب النفسي عند تطاير الصحف:

تطاير الصحف أحد مواقف عرصات القيامة لا يعرف فيها أحد أحدًا فكل مشغول بنفسه أيأخذ كتابه بيمينه أم يأخذ كتابه بشماله.

فعن عائشة رضي الله عنها قالت: ذكرت النار فبكيت فقال رسول الله ﷺ: «**مَا يُبْكِيكِ**»؟ **قَالَتْ: ذَكَرْتُ النَّارَ فَبَكَيْتُ فَهَلْ تَذْكُرُونَ أَهْلِيكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟ قَالَ رَسُولُ الله** ﷺ: «**أَمَّا فِى ثَلاَثَةِ مَوَاطِنَ فَلاَ يَذْكُرُ أَحَدٌ أَحَدًا: عِنْدَ الْمِيزَانِ حَتَّى يَعْلَمَ أَيَخِفُّ مِيزَانُهُ أَوْ يَثْقُلُ، وَعِنْدَ الْكِتَابِ حِينَ يُقَالُ ﴿هَآؤُمُ ٱقۡرَءُواْ كِتَٰبِيَهۡ﴾ حَتَّى يَعْلَمَ أَيْنَ يَقَعُ كِتَابُهُ أَفِى يَمِينِهِ أَمْ فِى شِمَالِهِ أَمْ مِنْ وَرَاءِ ظَهْرِهِ، وَعِنْدَ الصِّرَاطِ إِذَا وُضِعَ بَيْنَ ظَهْرَىْ جَهَنَّمَ**»[1].

ففي هذا الموقف يظهر فيه العذاب النفسي والتألم والتحسر من الكافرين

---

(١) رواه أبو داود في سننه، كتاب السنة، باب (في ذكر الميزان)، رقم (٤٧٥٥)، (٣/ ٢٤٥)، ورواه أحمد في مسنده، رقم (٢٤٦٩٦)، (٤١/ ٢٢٥) وقال الأرنؤوط: إسناده ضعيف؛ لانقطاعه الحسن البصري لم يسمع من عائشة.

ورواه الحاكم في مستدركه، رقم (٨٧٢٢) (٤/ ٦٢٢)، قال الحاكم: هذا حديث صحيح إسناده على شرط الشيخين، لولا إرساله فيه بين الحسن وعائشة على أنه قد صح الروايات أن الحسن كان يدخل وهو صبي منزل عائشة وأم سلمة رضي الله عنهما ووفقه الذهبي فقال: على شرط البخاري ومسلم لولا إرسال فيه بين الحسن وعائشة.

ورواه البيهقي في (الاعتقاد) ص(٢٧٤-٢٧٥). وقال محقق الكتاب أحمد أبو العينين وغيره: إسناده حسن.

ورواه الآجري في (الشريعة) رقم (٩١٩)، ص(٣٩٣). وفي إسناده عبدالله بن لهيعة وابن لهيعة ضعيف وقد وثق، ورواه الحافظ إسماعيل التيمي الأصبهاني في (الحجة في بيان المحجة) (١/ ٥٤)، ورواه أسد بن موسى في (الزهد) ص(٥٢-٥٣).

والمنافقين، فأهل الإيمان يأخذون كتبهم بأيمانهم تشريفًا وتكريمًا لهم فينادون في الخليقة هاؤم اقرءوا كتابيه، وأما هم فيأخذون كتبهم بشمائلهم ومن وراء ظهورهم إذلالًا وخزيًا وفضيحة لهم أمام الخلائق، فتراهم مشفقين مما فيه ويدعون على أنفسهم بالويل والثبور والعياذ بالله ويتمنون أنهم لم يؤتوا كتبهم ولم يحاسبوا ثم يتمنون على الهلاك.

يقول الحق ﷻ: ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ وَرَآءَ ظَهْرِهِۦ ۝١٠ فَسَوْفَ يَدْعُوا۟ ثُبُورًا﴾ [الانشقاق: ١٠-١١].

قال ابن عباس: يمد يده اليمنى ليأخذ كتابه فيجذبه به ملك، فيخلع يمينه، فيأخذ كتابه بشماله من وراء ظهره[١].

وقال قتادة ومقاتل[٢]: يفك ألواح صدره وعظامه ثم يدخل يده وتخرج من ظهره فيأخذ كتابه كذلك[٣].

وقال مجاهد: يجعل يده من وراء ظهره[٤].

وقال قوم: يتحول وجهه في قفاه فيقرأ كتابه كذلك[٥].

---

(١) تفسير القرطبي: (١٩/ ٢٧٢).

(٢) هو مقاتل بن سليمان بن كثير، الأزدي الخراساني أبو الحسن البلخي المفسر، نزيل مرو كذبوه وهجروه، ورمي بالتجسيم، مع أنه كان من أوعية العلم، بحرًا في التفسير، له مصنفات منها (نظائر القرآن) و(التفسير الكبير) و(نوادر التفسير)، مات سنة خمسين ومائة تهذيب الكمال (٧/ ٢٠٩)، تهذيب التهذيب: (٤/ ١٤٣)، تقريب التهذيب ص(٤٧٦)، ميزان الاعتدال (٦/ ٥٠٥)، طبقات المفسرين، للداودي (١/ ٣٨٦).

(٣) تفسير القرطبي: (١٩/ ٢٧٢).

(٤) تفسير الطبري: (٣٠/ ١٤٧).

(٥) مفاتيح الغيب: (٣١/ ٩٧).

ومن تحسر الكافر والمنافق وعذابهم النفسي أنه عندما يأخذ كتابه بشماله ومن وراء ظهره ﴿يَدْعُواْ ثُبُورًا﴾.

قال ابن عباس: الثبور الويل[١].

وقال الزجاج: يقول: يا ويلاه، يا ثبوراه، وهذا يقوله كل من وقع في هلكة[٢].

وقال أبو بكر السجستاني[٣]: ثبور: هلاك، وقوله تعالى: ﴿دَعَوْاْ هُنَالِكَ ثُبُورًا﴾ [الفرقان: ١٣] أي: صاحوا واهلاكاه[٤].

وقال الفخر الرازي: ويخبرون بأن هذا الثبور سيزداد كل يوم ليزداد حزنهم وغمهم نعوذ بالله منه[٥].

وقال تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِشِمَالِهِۦ فَيَقُولُ يَٰلَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَٰبِيَهْ ﴿٢٥﴾ وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ﴾ [الحاقة: ٢٥-٢٦].

قال الرازي: واعلم أنه تعالى بين أنه لما نظر في كتابه وتذكر قبائح أفعاله خجل منها وصار العذاب الحاصل من تلك الخجالة أزيد من عذاب النار، فقال

---

(١) انظر: الدر المنثور: (٨/ ٤٥٧).

(٢) معاني القرآن: (٥/ ٣٠٤).

(٣) هو محمد بن عزيز، أو عزير أبو بكر السجستاني، كان أديبًا فاضلًا متواضعًا، أخذ عن أبي بكر الأنباري، له مصنفات منها: (غريب القرآن) جوده، يقال إنه ألفه في خمس عشرة سنة، وكان يقرؤه على شيخه ابن الأنباري، توفي سنة ثلاثين وثلاثمائة.

الفهرست، لابن النديم: ص(٥٥)، بغية الوعاء: (١/ ١٧١)، طبقات المفسرين، للداودي: (١/ ١٩٣)، الوافي بالوفيات: (٤/ ٧٠)، معجم المؤلفين: (٣/ ٤٨٨).

(٤) غريب القرآن، لأبي بكر السجستاني، ص(٦٧).

(٥) مفاتيح الغيب: ٢٤/ ٥٠.

ليتهم عذبوني بالنار، وما عرضوا هذا الكتاب الذي ذكرني قبائح أفعالي حتى لا أقع في هذه الخجالة، وهذا ينبئك على أن العذاب الروحاني أشد من العذاب الجسماني[١].

وقال تعالى: ﴿ وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ فَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَٰوَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَا ۚ وَوَجَدُوا۟ مَا عَمِلُوا۟ حَاضِرًا ۗ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴾[الكهف: ٤٩].

يخبر الله ﷻ في هذه الآية عن وضع صحائف الأعمال ونشرها يوم القيامة، فترى الكافرين والمنافقين خائفين وجلين مما فيها، ولما يَعْقُبُ ذلك من الافتضاح أمام الخليقة من سوء أعمالهم فيدعون عند ذلك على نفسهم بالويل لوقوعهم في الهلاك، فيزدادون ألمًا وعذابًا نفسيًّا في ذلك الموقف.

قال السفاريني في قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ بِشِمَالِهِۦ فَيَقُولُ يَٰلَيْتَنِى لَمْ أُوتَ كِتَٰبِيَهْ ﴿٢٥﴾ وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ﴾[الحاقة: ٢٥-٢٦]: يتمنى إذ ذاك أن لا يؤتى كتابه لما فيه من العظائم والقبائح ويود أن لا يدري ما حسابه، لما يلقى من شدة الخجل وبروز الفضائح[٢].

* * *

---

(١) مفاتيح الغيب: (٣٠/ ١٠٠).

(٢) البحور الزاخرة: ١/ ٦٥٧.

المطلب الثالث

العذاب النفسي عند الحساب

وفيه ثلاثة فروع:

الفرع الأول: معنى الحساب:

الحساب في اللغة: حسب: حَسَبْتُهُ بالضم حَسْبًا وحِسَابًا وحِسْبَانًا وحِسَابةً، إذا عددته، والمعدود محسوبٌ وحسب أيضًا، وهو فَعَلٌ بمعنى مفعول، ومنه قولهم: ليكن عملكَ بحَسَب ذلك، أي على قَدْرِهِ وعدده.

وحاسبته من المحاسبة، وشيء حِسَاب أي: كاف، ومنه قوله تعالى: ﴿جَزَآءً مِّن رَّبِّكَ عَطَآءً حِسَابًا﴾ [النبأ: ٣٦] أي: كافيًا[١].

وفي «العين»: حسب: الحَسَبُ: الشرف الثابت في الآباء، رجل كريم الحَسَب حسيبٌ وقوم حُسَباء، وفي الحديث: «الحسبُ المالُ، والكرم والتقوى».

وأما حَسْب (ساكن السين) فمعناه كما تقول: حسْبُك هذا أي: كفاك، وأحْسَبَني ما أعطاني أي: كفاني.

والحسابُ: عدُك الأشياء، والحسابةُ مصدر قولك: حَسَبُ حِسابه وأنا أحْسُبُه، وحِسْبة، قال النابغة: وأسْرَعَتَ حِسْبةً في ذلك العدد واحتسبتُ أيضًا من الحساب، والحِسْبة مصدر احتسابك الأجر عند الله ورجل حاسبٌ وقوْمٌ حُسَاب[٢].

وفي «تاج العروس»: الحِسَابُ والحِسَابَةُ: عَدُّك الشيء، وحسَبَ الشيء

---

(١) الصحاح، ص(٢٣١-٢٣٢) بتصرف.

(٢) العين، ص(١٨٨).

يَحْسُبُهُ حَسْبًا وحِسَابًا وحِسَابَةً[١].

الحساب في الاصطلاح:

معنى محاسبة الله تعالى لعباده: قيل إن الله يعلم العباد مالهم وما عليهم.

وقيل: إن الله يخلق في قلوبهم علومًا ضرورية بمقادير أعمالهم من الثواب والعقاب.

وقيل: إن الله يوقف عباده بين يديه ويؤتيهم كتب أعمالهم فيها سيئاتهم وحسناتهم، فيقول: هذه سيئاتكم وقد تجاوزت عنها وهذه حسناتكم وقد ضاعفتها لكم، وهذا مروي عن ابن عباس رضي الله عنه.

وقيل: أن يكلم الله عباده في شأن أعمالهم وكيفية مالها من الثواب وما عليها من العقاب[٢].

والقولان الأخيران هما أصح تلك الأقوال وهما اللذان عليهما الدليل.

إذًا فالحساب اصطلاحًا: توقيف الله عباده قبل الانصراف من المحشر على أعمالهم خيرًا كانت أو شرًا تفصيلًا لا بالوزن إلا من استثنى منهم[٣].

* * *

(١) تاج العروس: (٢/ ١٦٥).

(٢) لوامع الأنوار البهية: (٢/ ١٧٢).

(٣) المرجع السابق: (٢/ ١٧١-١٧٢).

الفرع الثاني: إثبات الحساب:

يؤمن أهل السنة والجماعة بإثبات الحساب وقد دل عليه الكتاب والسنة وإجماع أهل الحق.

أما الكتاب فقوله تعالى: ﴿ فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٢﴾ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾[الحجر: ٩٢-٩٣] وقوله تعالى: ﴿ فَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ﴿٧﴾ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ﴾[الانشقاق: ٧-٨]،وقوله تعالى: ﴿ يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَىٰ مِنكُمْ خَافِيَةٌ ﴾ [الحاقة: ١٨].

وأما السنة فقد روي عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ حُوسِبَ عُذِّبَ»، قَالَت عَائِشَةُ: فَقُلْتُ: أَوَلَيْسَ يَقُولُ الله تَعَالَى: ﴿ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ﴾؟ قَالَت: فَقَالَ: «إِنَّمَا ذَلِكَ الْعَرْضُ، وَلَكِنْ مَنْ نُوقِشَ الْحِسَابَ يَهْلِكْ»[١].

وعن عدي بن حاتم[٢] رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلاَّ سَيُكَلِّمُهُ الله لَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ تُرْجُمَانٌ، فَيَنْظُرُ أَيْمَنَ مِنْهُ فَلاَ يَرَى إِلاَّ مَا قَدَّمَ، وَيَنْظُرُ أَشْأَمَ مِنْهُ، فَلاَ يَرَى إِلاَّ مَا قَدَّمَ، وَيَنْظُرُ بَيْنَ يَدَيْهِ، فَلاَ يَرَى إِلاَّ النَّارَ تِلْقَاءَ

(١) رواه البخاري، كتاب العلم، باب (من سمع شيئًا فراجع حتى يعرفه)، رقم (١٠٣)، ص(٢٨)، ورواه مسلم، كتاب الجنة وصفة نعيمها، باب (إثبات الحساب)، رقم (٢٨٧٦)، ٤/ ١٧٤٧.

(٢) هو عدي بن حاتم بن عبدالله بن سعد الطائي، أبو طريف أسلم في سنة تسع، وقيل: سنة عشر، وكان نصرانيًا قبل ذلك، وثبت على إسلامه في الردة وأحضر صدقة قومه إلى أبي بكر، وشهد فتح العراق، ثم سكن الكوفة، وشهد صفين مع علي، مات بعد الستين، قال خليفة ابن خياط بلغ عشرين ومائة سنة، وقال أبو حاتم السجستاني: بلغ مائة وثمانين.

معرفة الصحابة، ٤/ ٣٥، الاستيعاب، ٢/ ٢٣، تهذيب الأسماء واللغات، ١/ ٤٢٨، أسد الغابة، ٣/ ٢٣٣، الإصابة، ٤/ ٣٨٨.

وَجْهِهِ، فَاتَّقُوا النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ»[١] وغير ذلك من الأحاديث الدالة على محاسبة الله للعباد يوم القيامة.

وأما إجماع أهل الحق:

فقد قال أبو بكر الإسماعيلي: والحساب حق[٢].

وقال محمد الأنصاري البلباني[٣] في عقيدته: ويحاسب المسلمون المكلفون إلا من شاء الله أن يدخله الجنة بغير حساب وكل مكلف مسئول، ويسأل من شاء من الرسل تبليغ الرسالة، ومن شاء من الكفار عن تكذيب الرسل[٤].

وقال محمد صديق القنوجي[٥]: ويحاسب الله الخلق، ويخلو بعبده المؤمن فيقرره بذنوبه، كما ورد في الكتاب والسنة، وأما الكفار فلا يحاسبون محاسبة من

(١) رواه مسلم، كتاب الزكاة، باب (الحث على الصدقة ولو بشق تمرة)، رقم (١٠١٦)، ٢/ ٥٨٢.

(٢) اعتقاد أهل السنة، ص(٤٨).

(٣) محمد بن بدر الدين بن عبدالحق بن بلبان، فقيه حنبلي أصله من بعلبك، كان يقرئ في المذاهب، وأخذ الحديث عنه جماعة من كبراء عصره منهم المحبي صاحب (خلاصة الأثر)، له مصنفات منها (الرسالة في أجوبة الزيدية). و(كافي المبتدي) و(عقيدة في التوحيد)، مات بدمشق سنة ثلاث وثمانين وألف للهجرة.

المدخل إلى مذهب الإمام أحمد، ص: (٢٢٦)، الأعلام: ٦/ ٥١.

(٤) البحور الزاخرة، ١/ ٦٧٨-٦٧٩.

(٥) هو محمد صديق خان الحسيني البخاري القنوجي الهندي، أبو الطيب، عالم، أمير مشارك في أنواع من العلوم، ولد في قنوج بالهند وتعلم في دلهي، له مصنفات كثيرة منها (أبجد العلوم) و(فتح البيان في مقاصد القرآن) و (غصن البان المورق بمحسنات البيان)، توفي سنة سبع وثلاثمائة وألف.

حلية البشر، ٢/ ٧٣٨، معجم المؤلفين: ١٠/ ٩٠، الأعلام: ٦/ ١٦٧، إيضاح المكنون: ١/ ١١، التاج المكلل: ص(٥٤٦).

توزن حسناته وسيئاته فإنه لا حساب لهم ولكن تعد أعمالهم فتحصى فيوقفون عليها، ويقرون بها، ويخبرون بها[١].

وقال أيضًا: وأصناف ما تتضمنه الدار الأولى والآخرة، من أشراط القيامة، والحساب، والكتاب، والثواب، والعقاب، والجنة، والنار، حق[٢].

* * *

(١) قطف الثمر، القنوجي، ص: (١٢٦).

(٢) المرجع السابق، ص: (١٢٧).

الفرع الثالث: العذاب النفسي عند الحساب:

سبق وأن تحدثنا عن تطاير الصحف وتوزيع الكتب وأن الكافرين والمنافقين يأخذون كتبهم بشمائلهم ومن وراء ظهورهم فهم الأشقياء الهلكى فحسابهم عسير قال تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ سُوٓءُ ٱلۡحِسَابِ﴾[الرعد: ١٨].

فعذاب الكفار والمنافقين النفسي عند الحساب ثلاثة أنواع إليك بيانها:

أولًا: أن تعرض عليهم أعمالهم وتقام الحجة عليهم ثم يوبخون ويقرعون ويفضحون أمام الخلائق، فهم لا يحاسبون محاسبة الموازنة بين السيئات والحسنات وإنما يحاسبون محاسبة التقريع والتوبيخ والفضيحة؛ لأن أعمالهم حابطة مردودة عليهم كما سبق الحديث عن ذلك.

روى البخاري ومسلم وغيرهما عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «**ليس أحد يحاسب إلا هلك**» قالت: قلت يا رسول الله جعلني الله فداك أليس يقول الله ﷻ: ﴿فَأَمَّا مَنۡ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ۝٧ فَسَوۡفَ يُحَاسَبُ حِسَابٗا يَسِيرٗا﴾[الانشقاق: ٧-٨] قال: «**ذَاكَ الْعَرْضُ يُعْرَضُونَ، وَمَنْ نُوقِشَ الْحِسَابَ هَلَكَ**»[1].

وعن ابن عمر رضي الله عنهما أنه سئل: كيف سمعت رسول الله ﷺ يقول في النجوى؟ قال: سمعته يقول: «**يُدْنَى الْمُؤْمِنُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ رَبِّهِ ﷻ حَتَّى يَضَعَ عَلَيْهِ كَنَفَهُ فَيُقَرِّرُهُ بِذُنُوبِهِ فَيَقُولُ: هَلْ تَعْرِفُ؟ فَيَقُولُ: أَىْ رَبِّ أَعْرِفُ، قَالَ: فَإِنِّي قَدْ سَتَرْتُهَا عَلَيْكَ فِي الدُّنْيَا وَإِنِّي أَغْفِرُهَا لَكَ الْيَوْمَ، فَيُعْطَى صَحِيفَةَ حَسَنَاتِهِ، وَأَمَّا**

---

(١) رواه البخاري، كتاب التفسير، باب (فسوف يحاسب حسابًا يسيرًا)، رقم (٤٩٣٩)، ص(١٠٦٩) ورواه مسلم، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب (إثبات الحساب) رقم (٢٨٧٦)، (٤/ ١٧٤٧) واللفظ له.

الْكُفَّارُ وَالْمُنَافِقُونَ فَيُنَادَى بِهِمْ عَلَى رُءُوسِ الْخَلَائِقِ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللهِ»(١).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: يراد بالحساب عرض أعمال الكفار عليهم وتوبيخهم عليها، ويراد بالحساب موازنة الحسنات بالسيئات، فإن أريد بالحساب المعنى الأول، فلا ريب أنهم محاسبون بهذا الاعتبار.

قال ابن عباس: لا يسألون سؤال شفاء وراحة، وإنما يسألون سؤال تقريع وتوبيخ لم عملتم كذا وكذا.

وإن أريد به المعنى الثاني فإن قصد ذلك أن الكفار تبقى لهم حسنات يستحقون بها الجنة فهذا خطأ ظاهر(٢).

ثانيًا: معرفتهم مراتب العذاب الذي ينتظرهم في النار:

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: عقاب من كثرت سيئاته أعظم من عقاب من قلت سيئاته، ومن كان له حسنات خففت عنه العذاب، كما أن أبا طالب أخف عذابًا من أبي لهب، فكان الحساب لبيان مراتب العذاب، لا لأجل دخولهم الجنة(٣).

ثالثًا: أن الله لا يحاسبهم إهانة وإذلالًا لهم وإنما تحاسبهم الملائكة.

---

(١) رواه البخاري، كتاب المظالم، باب قوله ﴿أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾رقم (٢٤٤١)، ص: (٤٨٤).

وروواه مسلم، كتاب التوبة، باب (قبول توبة القاتل وإن كثر قتله)، رقم (٢٧٦٨)، (٤/ ١٦٨٥).

(٢) مجموع الفتاوى، (٤/ ٣٠٥).

(٣) المرجع السابق: (٤/ ٣٠٥).

قال السفاريني: ذكر القرطبي كغيره أن الله تعالى يكلم المسلمين عند الحساب من غير ترجمان إكرامًا لهم، ولا يكلم الكافرين بل تحاسبهم الملائكة إهانة لهم وتمييزًا لأهل الكرامة[١].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: وقد يراد بالحساب أن الله: هل هو الذي يكلمهم أم لا؟ فالقرآن والحديث يدلان على أن الله يكلمهم تكليم توبيخ وتقريع وتبكيت، لا تكليم تقريب وتكريم ورحمة، وإن كان من العلماء من أنكر تكليمهم جملة[٢].

وهذا لا يعارض ما سبق الحديث عنه من تكليم الله لهم وتوبيخهم على كفرهم وشركهم.

قال الإمام القرطبي: القيامة مواطن، فمواطن يكون فيه سؤال وكلام، ومواطن لا يكون ذلك، فلا يتناقض الآي والأخبار والله المستعان[٣].

وقال عكرمة[٤]: ....

---

(١) لوامع الأنوار البهية: (٢/ ١٧٧)، تفسير القرطبي: (١٣/ ٣٠٨).

(٢) مجموع الفتاوى: (٦/ ٤٨٧).

(٣) التذكرة، ص(٢٤٠).

(٤) هو عكرمة أبو عبدالله المدني القرشي الهاشمي، مولى عبدالله بن عباس، أصله من البربر من أهل المغرب، قال عمرو بن دينار: دفع إلى جابر بن زيد مسائل أسأل عنها عكرمة وجعل يقول: هذا عكرمة مولى ابن عباس هذا البحر فسلوه، وقال ابن عيينة: كان عكرمة إذا تكلم في المغازي فسمعه إنسان قال كأنه مشرف عليهم يراهم، وقال الشعبي: ما بقي أحد أعلم بكتاب الله من عكرمة، قال مصعب الزبيري: كان عكرمة يرى رأي الخوارج، مات بالمدينة هو وكثير عزه في يوم واحد فقالوا: مات أعلم الناس وأشعر الناس سنة أربع ومائة، قال العجلي: ثقة وهو بريء مما يرميه الناس به من الحرورية وهو تابعي.

تهذيب الكمال: (٥/ ٢٠٩)، الثقات: (٥/ ٢٢٩)، الثقات، للعجلي، ص: (٣٣٩)، تهذيب التهذيب: (٣/ ١٣٤)، طبقات المفسرين، للداودي: ١/ ٣٨٠.

القيامة مواطن يسأل في بعضها ولا يسأل في بعضها[١].

قال ابن عجيبة[٢] في تفسيره «البحر المديد»: فإن قيل: كيف يجمع بين هذا وبين قوله ﴿فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُسْأَلُ عَن ذَنبِهِۦٓ إِنسٌ وَلَا جَآنٌّ﴾.

فالجواب: أن السؤال المثبت هو على وجه الحساب والتوبيخ، والسؤال المنفي هو على وجه الاستفهام المحض؛ لأن الله تعالى يعلم الأعمال، فلا يحتاج إلى سؤال.

وقيل: في القيامة مواطن وفوارق، فمواطن يقع فيه السؤال، ومواطن يذهب بهم إلى النار بغير سؤال[٣].

* * *

(١) التذكرة، ص: (٢٤٠).

(٢) هو العلامة أحمد بن محمد بن المهدي، ابن عجيبة الحسني الأنجري، مفسر صوفي من أهل المغرب له مصنفات منها (البحر المديد في تفسير القرآن المجيد)، و(أزهار البستان) و(الفتوحات القدوسية في شرح المقدمة الأجرومية) توفي في بلدته أنجرة سنة أربع وعشرين ومائتين وألف.

الأعلام: (١/ ٢٤٥)، معجم المؤلفين: (١/ ٣٠٠)، معجم المطبوعات، (١/ ١٦٩).

(٣) البحر المديد: (٣/ ٤١٣).

المطلب الرابع

العذاب النفسي عند الميــزان

وفيه ثلاثة فروع:

الفرع الأول: معنى الميزان:

الميزان لغة:

قال صاحب «لسان العرب»: قال أبو منصور[(١)]: ورأيت العرب يسمون الأوْزَانَ التي يُوزَنُ بها التمر وغيره المُسَواة من الحجارة والحديد الموازين، واحدها ميزان، وهي المثاقيل واحدها مثقال، ويقال للآلة التي يُوزن بها الأشياء ميزان أيضًا.

قال الجوهري: أصله مُوزان، انقلبت الواو ياء لكسرة ما قبلها، وجمعه موازين، وجائز أن تقول للميزان الواحد بأوْزانِه موازينُ.

قال الله تعالى: ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ﴾[الأنبياء: ٤٧]، يريد نضع الميزان القسط.

وفي التنزيل العزيز ﴿وَٱلْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ ۚ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾[الأعراف: ٨]، وقوله تعالى: ﴿فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ﴾

(١) هو العلامة أبو منصور محمد بن أحمد بن الأزهر بن طلحة الأزهري الهروي اللغوي الشافعي، كان فقيهًا شافعي المذهب غلبت عليه اللغة فاشتهر بها، وقد رحل وطاف في أرض العرب في طلب اللغة، وكان رأسًا في اللغة والفقه، ثقة، ثبتًا دينًا، له مصنفات منها (تهذيب اللغة) و(علل القراءات) و (الأسماء الحسنى)، مات سنة سبعين وثلاثمائة، عن ثمان وثمانين سنة.

مرآة الجنان: (٢/ ٢٩٧)، الوافي بالوفيات: (٢/ ٣٤)، العبر: (٢/ ١٣٥)، شذرات الذهب: (٣/ ٧٢)، بغية الوعاة: (١/ ١٩).

[القارعة: ٦]، ﴿وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ﴾[القارعة: ٨].

قال ثعلب(١): إنما أراد من ثقل وزنه أو خف وزنه، فوضع الاسم الذي هو الميزان موضع المصدر(٢).

الميزان اصطلاحًا:

قال الزجاج: اختلف الناس في ذكر الميزان في القيامة، فجاء في التفسير: أنه ميزان له كفتان، وأن الميزان أنزل في الدنيا ليتعامل الناس بالعدل وتوزن به الأعمال.

وروى عن الضحاك: أن الميزان العَدْلُ: قال: وذهب إلى قوله هذا وزن هذا، وإن لم يكن ما يُوزَنُ، وتأويله أنه قد قام في النفس مساويًا لغيره كما يقوم الوزن في مرآة العين.

وقال بعضهم: الميزان الكتاب الذي فيه أعمال الخلق، قال ابن سيده(٣):

---

(١) هو علامة الأدب أبو العباس أحمد بن يحيى الشيباني مولاهم الكوفي، المشهور بثعلب النحوي، انتهت إليه رئاسة الأدب في زمانه، كان ثقة صالحًا مشهورًا بالحفظ، وصادق اللهجة والمعرفة بالعربية ورواية الشعر القديم مقدمًا على الشيوخ منذ هو حدث، قال المبرد: أعلم الكوفيين ثعلب، له مصنفات منها: (كتاب الفصحاء) و(إعراب القرآن) و(حد النحو)، مات سنة إحدى وتسعين ومائتين.

تاريخ بغداد، (٥/ ٤١٤)، الفهرس، ص: (٧٤)، مرآة الجنان: (٢/ ١٦٣) وفيات الأعيان: (١/ ٥٩)، العبر: (١/ ٤٢٠).

(٢) لسان العرب: (٩/ ٢٩٣).

(٣) هو علي بن إسماعيل المرسي اللغوي، أبو الحسن المعروف بابن سيده، كان من أعلم أهل عصره باللغة حافظًا لها، وله في الشعر حظ وتصرف، قال الحميدي: كان أعمى ابن أعمى، وله في اللغة كتابه الكبير الذي سماه (العالم) بدأ فيه بالفلك وختم بالذرة، وشرح (الحماسة) في خمسة أسفار وكتاب (العالم والمتعلم) كله أسئلة وأجوبة كانت وفاته بداية في ربيع الآخر سنة ثمان وخمسين وأربعمائة وله ستون سنة أو نحوها.............................=

وهذا كله في باب اللغة والاحتجاج سائغ إلا أن الأولى أن يتبع ما جاء بالأسانيد الصحاح، فإن جاء في الخبر أنه ميزان له كفتان، من حيث ينقل أهل الثقة، فينبغي أن يقبل ذلك[١].

وقيل: هو ميزان الأعمال له كفتان حسيتان مشاهدتان[٢].

قال العلامة الشيخ مرعى[٣] في بهجته: الصحيح أن المراد بالميزان: الميزان الحقيقي لا مجرد العدل خلافًا لبعضهم[٤].

* * *

= إنباه الرواة: ٢/ ٢٢٥، معجم الأدباء: ٦/ ٢٣١، نكت الهميان، ص(٢٠٨)، بغية الوعاة: ٢/ ١٤٣، شذرات الذهب: ١/ ٣٠٥.

(١) لسان العرب: (٩/ ٢٩٣)، تاج العروس: (٣٦/ ١٢٤).

(٢) شرح الطحاوية ص: (٤١٧).

(٣) هو الشيخ مرعي بن يوسف بن أبي بكر بن أحمد بن أبي بكر، الكرمي المقدسي الحنبلي المحدث، من كبار الفقهاء، ولد في طوركرم بفلسطين، وانتقل إلى القدس ثم إلى القاهرة فكان أحد أكابر علماء الحنابلة فيها له نحو سبعين كتابًا منها: (دليل الطالب لنيل المطالب) و(غاية المنتهى في الجمع بين الإقناع والمنتهى) وكلاهما في الفقه الحنبلي و (قلائد المرجان في الناسخ والمنسوخ من القرآن) توفي سنة ثلاث وثلاثين وألف.

السحب الوابلة: (٣/ ١١١٨)، النعت الأكمل: ص: (١٨٩)، الأعلام: (٧/ ٢٠٣)، إيضاح المكنون: (١/ ٣٨٢٢)، مختصر طبقات الحنابلة، للشطي، ص: (١٠٨).

(٤) لوامع الأنوار البهية: (٢/ ١٨٥).

الفرع الثاني: إثبات الميزان:

وقد أجمع أهل السنة والجماعة على أن الميزان حق وأنه ميزان حقيقي ثابت بالكتاب والسنة، وأقوال سلف الأمة.

فأما الكتاب، فقوله تعالى: ﴿ وَٱلْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٨﴾ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُم بِمَا كَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يَظْلِمُونَ ﴾[الأعراف: ٨-٩]، وقوله تعالى: ﴿ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٢﴾ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمْ فِى جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ ﴾[المؤمنون: ١٠٢-١٠٣]، وقال تعالى: ﴿ وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ ﴾ [الأنبياء: ٤٧].

وأما السنة فقد جاءت أيضًا مقررة ومثبتة لوزن الأعمال يوم القيامة، فعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «كَلِمَتَانِ خَفِيفَتَانِ عَلَى اللِّسَانِ، ثَقِيلَتَانِ فِي الْمِيزَانِ، حَبِيبَتَانِ إِلَى الرَّحْمَنِ: سُبْحَانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ سُبْحَانَ اللهِ الْعَظِيمِ»(١).

وعن أبي هريرة ﷺ أيضًا قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّهُ لَيَأْتِي الرَّجُلُ الْعَظِيمُ السَّمِينُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لاَ يَزِنُ عِنْدَ اللهِ جَنَاحَ بَعُوضَةٍ، وقَالَ: اقْرَءُوا ﴿ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَزْنًا ﴾»(٢).

وأما نقولات السلف في الإيمان بالميزان وإثباته يوم القيامة فإليك

---

(١) رواه مسلم، كتاب الذكر والدعاء والتوبة، باب (فضل التهليل والتسبيح والدعاء)، رقم (١٦٩٤)، ٤/ ١٦٤٥.

(٢) رواه البخاري، كتاب التفسير، باب (سورة الكهف)، رقم (٤٧٢٩)، ص(٩٩٦)، ورواه مسلم، كتاب صفة القيامة القيامة والجنة والنار، باب (إنه ليأتي الرجل)، رقم (٢٧٨٥)، ٤/ ١٧٠٣.

بعضًا منها:

قال الإمام أحمد بن حنبل: والميزان حق[١].

وقال ابن أبي العز الحنفي في شرحه للطحاوية: وقوله: والميزان، أي ونؤمن بالميزان [٢].

وقال أيضًا: فعلينا الإيمان بالغيب كما أخبرنا الصادق ﷺ من غير زيادة ولا نقصان ويا خيبة من ينفى وضع الموازين القسط ليوم القيامة كما أخبر الشارع؛ لخفاء الحكمة عليه ويقدح في النصوص[٣].

وقال العلامة محمد الأنصاري البلباني في عقيدته: ونؤمن بأن الميزان الذي توزن به الحسنات والسيئات حق، وله لسان وكفتان توزن بهما صحائف الأعمال[٤].

وقال السفاريني: فقد دلت الآثار على أنه ميزان حقيقي ذو كفتين ولسان كما قال ابن عباس والحسن البصري وصرح بذلك علماؤنا والأشعرية وغيرهم، وقد بلغت أحاديثه مبلغ التواتر وانعقد إجماع أهل الحق من المسلمين عليه[٥].

وقال محمد صديق القنوجي: وتنصب الموازين فيوزن فيها أعمال العباد من الحسنات والسيئات كما يشاء الله أن يوزن[٦].

---

(١) العقيدة برواية الخلال، ص: (٦٣).

(٢) شرح الطحاوية، ص: (٤١٧).

(٣) المرجع السابق، ص: (٤١٩).

(٤) البحور الزاخرة: ١/ ٧١٥.

(٥) لوامع الأنوار البهية: ٢/ ١٨٥.

(٦) قطف الثمر، ص: (١٢٦).

الفرع الثالث: العذاب النفسي عند الميزان:

الكفار والمنافقون ليس لهم حسنات تقابل السيئات فتتحقق حقيقة الوزن كما سبق معنا، ومع هذا توزن أعمالهم على القول الراجح الذي رجحه كثير من المحققين كالإمام القرطبي والإمام ابن كثير وغيرهما.

١-ومن عذابهم النفسي عند الميزان أن توزن أعمالهم إقامة للحجة عليهم وإظهارًا لشقائهم وفضيحتهم على رؤوس الخلائق.

ويجاب عن قوله تعالى: ﴿فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَزْنًا﴾[الكهف: ١٠٥] بأنه تعالى لا يقيم لهم وزنًا نافعًا كما في قوله تعالى: ﴿وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُوا۟ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَـٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا﴾[الفرقان: ٢٣] أي: كالهباء في عدم نفعه وحصول فائدته.

قال الحافظ ابن كثير: وأما الكفار فتوزن أعمالهم، وإن لم تكن لهم حسنات تنفعهم يقابل بهذا كفرهم؛ لإظهار شقائهم وفضيحتهم على رؤوس الخلائق[١].

وقال الإمام القرطبي: إن الكافر يحضر له ميزان فيوضع كفره وسيئاته في إحدى كفتيه، ثم يقال له: هل لك من طاعة تضعها في الكفة الأخرى؟ فلا يجدها فيشال الميزان فترتفع الكفة الفارغة وتقع الكفة المشغولة، فذلك خفه ميزانه وهذا ظاهر الآية؛ لأن الله تعالى وصف الميزان بالخفة لا الموزون وإذا كان فارغًا فهو خفيف[٢].

وقال أيضًا: وأما الكافر، فإنه يوضع كفره في الكفة المظلمة، ولا توجد

---

(١) النهاية في الفتن والملاحم: (٢/ ٣١).

(٢) التذكرة، ص: (٢٦٣).

له حسنة توضع في الكفة الأخرى، فتبقى فارغة لفراغها وخلوها عن الخير، فيأمر الله بهم إلى النار ويعذب كل واحد منهم بقدر أوزاره وآثامه[١].

٢-ومن عذابهم النفسي عند الميزان أن الكفر لا تنفع معه طاعة.

قال الإمام القرطبي: إن الكافر يكون منه صلة لأرحام ومواساة الناس وعتق المملوك ونحوها مما لو كانت من المسلم لكانت قربة وطاعة، فمن كانت له مثل هذه الخيرات من الكفار فإنها تجمع وتوضع في ميزانه غير أن الكفر إذا قابلها بها رجح بها ولم يخل من أن يكون الجانب الذي فيه الخيرات من ميزانه خفيفًا ولو لم يكن له إلا خير واحد أو حسنة واحدة لأحضرت ووزنت كما ذكرنا[٢].

* * *

---

(١) المرجع السابق، ص: (٢٦٦).

(٢) التذكرة، ص: (٢٦٣).

المطلب الخامس

العذاب النفسي عند الصراط

وفيه ثلاثة فروع:

الفرع الأول: معنى الصراط:

الصراط لغة:

الصراط: بالكسر: الطريق، وبالضم: السيف الطويل، والسين لغة في الكل[١].

قال الجوهري: الصراط والسراط والزراط الطريق[٢].

الصراط اصطلاحًا:

هو جسر ممدود على متن جهنم يرده الأولون والآخرون، وهو قنطرة جهنم بين الجنة والنار، وخلق من حين خلقت النار[٣].

* * *

(١) القاموس المحيط، ص: (٧٢٥).

(٢) الصحاح، ص: (٥٨٧).

(٣) البحور الزاخرة: ١/ ٧٣١، لوامع الأنوار البهية: ٢/ ١٨٩.

الفرع الثاني

إثبات الصراط

الصراط ثابت بالكتاب والسنة وإجماع أهل الحق.

فأما الكتاب فقوله تعالى: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ﴿٧١﴾ ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوا وَّنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا﴾[مريم: ٧١-٧٢].

وأما السنة: فقد أخرج مسلم في صحيحه عن أبي هريرة وأبي مالك[١]، عن ربعي[٢] عن حذيفة، قالا: قال رسول الله ﷺ «يَجْمَعُ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى النَّاسَ فَيَقُومُ الْمُؤْمِنُونَ حَتَّى تُزْلَفَ لَهُمُ الْجَنَّةُ فَيَأْتُونَ آدَمَ فَيَقُولُونَ: يَا أَبَانَا اسْتَفْتِحْ لَنَا الْجَنَّةَ، فَيَقُولُ: وَهَلْ أَخْرَجَكُمْ مِنَ الْجَنَّةِ إِلاَّ خَطِيئَةُ أَبِيكُمْ آدَمَ، لَسْتُ بِصَاحِبِ ذَلِكَ، اذْهَبُوا إِلَى ابْنِي إِبْرَاهِيمَ خَلِيلِ اللهِ - قَالَ - فَيَقُولُ إِبْرَاهِيمُ: لَسْتُ بِصَاحِبِ ذَلِكَ إِنَّمَا كُنْتُ خَلِيلاً مِنْ وَرَاءَ وَرَاءَ اعْمِدُوا إِلَى مُوسَى ﷺ الَّذِي كَلَّمَهُ اللهُ

(١) هو سعد بن طارق بن أشيم، أبو مالك الأشجعي الكوفي، قال أحمد، وابن معين، والعجلي: ثقة، وقال أبو حاتم: صالح الحديث يكتب حديثه، وقال النسائي: ليس به بأس، وذكره ابن حبان في الثقات، وقال ابن عبدالبر: لا أعلمهم يختلفون في أنه ثقة عالم، وقد ذكره بعضهم في الصحابة، قال الصريفيني: بقي إلى حدود الأربعين ومائة.

أسد الغابة: (٥/ ٨٦)، تهذيب الكمال: (٣/ ١٢١)، الثقات: (٤/ ٢٩٤)، تهذيب التهذيب: (١/ ٦٩٣)، تقريب التهذيب، ص: (١٧١).

(٢) هو ربعي بن حراش، وقيل: خراش بن جحش بن عمرو الغطفاني العبسي الكوفي، أبو مريم، قدم الشام وسمع خطبة عمر بالجابية، قال العجلي: تابعي ثقة من خيار الناس لم يكذب كذبة قط، وذكره ابن حبان في الثقات، وقال: كان من عباد أهل الكوفة، وقال اللالكائي: مجمع على ثقته آلى أن لا يضحك حتى يعلم أفي الجنة هو أو في النار فما ضحك إلا بعد موته.

الثقات للعجلي، ص: (١٥٢)، الثقات: (٤/ ٢٤٠)، تهذيب الكمال: (٢/ ٤٥٥)، تهذيب التهذيب: (١/ ٥٨٨)، تقريب التهذيب، ص: (١٤٥).

تَكْلِيمًا، فَيَأْتُونَ مُوسَى ﷺ فَيَقُولُ: لَسْتُ بِصَاحِبِ ذَلِكَ اذْهَبُوا إِلَى عِيسَى كَلِمَةِ اللهِ وَرُوحِهِ، فَيَقُولُ عِيسَى ﷺ: لَسْتُ بِصَاحِبِ ذَلِكَ، فَيَأْتُونَ مُحَمَّدًا ﷺ فَيَقُومُ فَيُؤْذَنُ لَهُ وَتُرْسَلُ الأَمَانَةُ وَالرَّحِمُ فَتَقُومَانِ جَنَبَتَيِ الصِّرَاطِ يَمِينًا وَشِمَالًا فَيَمُرُّ أَوَّلُكُمْ كَالْبَرْقِ"[١].

وغيرها من الأحاديث التي ستأتي إن شاء الله في هذا المبحث.

وأما الآثار الواردة عن السلف في إثبات الصراط وأنه حق فهي كثيرة منها:

قال الإمام أحمد: والصراط حق[٢].

وقال أيضًا: نؤمن بالصراط، والميزان، والجنة، والنار، والحساب، لا ندفع ذلك ولا نرتاب[٣].

وقال ابن أبي العز الحنفي في شرح الطحاوية: قوله: والصراط: أي: وتؤمن بالصراط وهو جسر على جهنم إذا انتهى الناس بعد مفارقتهم مكان الموقف إلى الظلمة التي دون الصراط[٤].

وقال محمد صديق القنوجي: والصراط منصوب على متن جهنم، يجوزه الأبرار، ويزل عنه الفجار الجسر الذي بين الجنة والنار، يمر الناس عليه على قدر أعمالهم[٥].

---

(١) رواه مسلم، كتاب الإيمان، باب (أدنى أهل الجنة منزلة فيها)، رقم (١٩٥)، (١/ ١٥٩).

(٢) العقيدة برواية الخلال، ص: (٦٣).

(٣) شرح اعتقاد أهل السنة، اللالكائي، ١/ ١٧٩.

(٤) شرح الطحاوية، ص: (٤١٥).

(٥) قطف الثمر، ص: (١٢٨).

الفرع الثالث

العذاب النفسي عند الصراط

أخبر النبي ﷺ عن الظلمة التي تكون عند الصراط فقد جاء في الحديث الذي يرويه ثوبان مولى رسول الله ﷺ أن حبرًا من أحبار اليهود جاء إلى النبي ﷺ فسأله عن أمور ثلاث منها أنه قال: أَيْنَ يَكُونُ النَّاسُ يَوْمَ تُبَدَّلُ الأَرْضُ غَيْرَ الأَرْضِ وَالسَّمَوَاتُ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «هُمْ فِي الظُّلْمَةِ دُونَ الْجِسْرِ»(١).

قال النووي: والمراد به هنا الصراط(٢).

وفي هذه الظلمة العظيمة سيكون المرور على الصراط المنصوب على متن جهنم، فأما الكفار فليس لهم مرور على الصراط وإنما يساقون ويردون النار قبل ذلك، فعن أبي سعيد الخدري ﷺ عن النبي ﷺ قال: «إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ لِيَتَّبِعْ كُلُّ أُمَّةٍ مَا كَانَتْ تَعْبُدُ، فَلاَ يَبْقَى أَحَدٌ كَانَ يَعْبُدُ غَيْرَ اللهِ سُبْحَانَهُ مِنَ الأَصْنَامِ وَالأَنْصَابِ إِلاَّ يَتَسَاقَطُونَ فِي النَّارِ حَتَّى إِذَا لَمْ يَبْقَ إِلاَّ مَنْ كَانَ يَعْبُدُ اللهَ مِنْ بَرٍّ وَفَاجِرٍ وَغُبَّرَ أَهْلِ الْكِتَابِ فَيُدْعَى الْيَهُودُ، فَيُقَالُ لَهُمْ: مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ؟ قَالُوا: كُنَّا نَعْبُدُ عُزَيْرَ ابْنَ اللهِ، فَيُقَالُ: كَذَبْتُمْ مَا اتَّخَذَ اللهُ مِنْ صَاحِبَةٍ وَلاَ وَلَدٍ، فَمَاذَا تَبْغُونَ؟ قَالُوا: عَطِشْنَا يَا رَبَّنَا فَاسْقِنَا، فَيُشَارُ إِلَيْهِمْ أَلاَ تَرِدُونَ؟ فَيُحْشَرُونَ إِلَى النَّارِ كَأَنَّهَا سَرَابٌ يَحْطِمُ بَعْضُهَا بَعْضًا فَيَتَسَاقَطُونَ فِي النَّارِ، ثُمَّ يُدْعَى النَّصَارَى فَيُقَالُ لَهُمْ: مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ؟ قَالُوا: كُنَّا نَعْبُدُ الْمَسِيحَ ابْنَ اللهِ، فَيُقَالُ لَهُمْ: كَذَبْتُمْ، مَا اتَّخَذَ اللهُ مِنْ صَاحِبَةٍ وَلاَ وَلَدٍ، فَيُقَالُ لَهُمْ: مَاذَا تَبْغُونَ؟ فَيَقُولُونَ: عَطِشْنَا يَا رَبَّنَا

---

(١) رواه مسلم، كتاب الحيض، باب (صفة مني الرجل والمرأة وأن الولد مخلوق من مائهما) رقم (٣١٥)، (١/ ٢٢١-٢١٢).

(٢) شرح النووي على صحيح مسلم: (٣/ ٢١٧).

فَاسْقِنَا، - قَالَ - فَيُشَارُ إِلَيْهِمْ أَلاَ تَرِدُونَ؟ فَيُحْشَرُونَ إِلَى جَهَنَّمَ كَأَنَّهَا سَرَابٌ يَحْطِمُ بَعْضُهَا بَعْضًا فَيَتَسَاقَطُونَ فِي النَّارِ»[١].

وفي هذا الحديث يذكر النبي ﷺ عذابًا نفسيًّا يكون لليهود والنصارى في عرصات يوم القيامة عندما يقولون: عطشنا يا ربنا فاسقنا، فيشار إليهم ألا تردون؟ فيشار لهم ما كانوا يعهدونه في الدنيا من الورود إلى الماء تهكمًا وسخرية منهم، فتُخَيَّل لهم النار كأنها سراب فيذهبون إليها سراعًا لكي يشربوا فيتساقطون في النار والعياذ بالله.

وبعد دخول الكفار النار يبقى المؤمنون والمنافقون لكي يعبروا على الصراط فيعطون نورًا، أما المؤمنون فيبقى معهم نورهم يعبرون به على الصراط، **وأما المنافقون فيعذبهم الله عذابًا نفسيًّا عند الصراط وذلك في أمور ثلاث:**

١-إعطائهم النور ثم سلبه منهم:

قال مجاهد: كان المنافقون مع المؤمنين أحياء يناكحونهم ويغشونهم ويعاشرونهم وكانوا معهم أمواتًا ويعطون النور جميعًا يوم القيامة، ويطفأ النور من المنافقين إذا بلغوا السور ويماز بينهم حينئذ[٢].

وقال الضحاك: ليس أحد إلا يعطى نورًا يوم القيامة فإذا انتهوا إلى الصراط طفئ نور المنافقين فلما رأى ذلك المؤمنون أشفقوا أن يطفأ نورهم كما طفئ نور المنافقين، فقالوا: ربنا أتمم لنا نورنا[٣].

---

(١) رواه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب (معرفة طريق الرؤية) رقم (١٨٣)، (١/ ١٤٥).

(٢) انظر: تفسير الطبري: (٢٧/ ٢٧٩)، تفسير ابن كثير: (٤/ ٢٦٣)، الدر المنثور: (٨/ ٥٦).

(٣) تفسير ابن كثير: (٤/ ٢٦٢).

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: لَيْسَ أَحَدٌ مِنَ أَهْلِ التَّوْحِيدِ إلاَّ يُعْطَى نُورًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَأَمَّا الْمُنَافِقُ فَيُطْفِئُ نُورَهُ، فَالْمُؤْمِنُ مُشْفِقٌ مِمَّا يَرَى مِنْ إِطْفَاءِ نُورِ الْمُنَافِقِينَ، فَهُمْ يَقُولُونَ: رَبَّنَا أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا[١].

فقد أخرج أحمد عن جابر أنه سُئِل عن الورود قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «نَحْنُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى كَوْمٍ فَوْقَ النَّاسِ، فَيُدْعَى بِالأُمَمِ بِأَوْثَانِهَا، وَمَا كَانَتْ تَعْبُدُ، الأَوَّلَ، فَالأَوَّلَ، ثُمَّ يَأْتِينَا رَبُّنَا تبارك وتعالى بَعْدَ ذَلِكَ، فَيَقُولُ: مَا تَنْتَظِرُونَ؟ فَيَقُولُونَ: نَنْتَظِرُ رَبَّنَا تبارك وتعالى، فَيَقُولُ: أَنَا رَبُّكُمْ، فَيَقُولُونَ: حَتَّى نَنْظُرَ إِلَيْهِ، قَالَ: فَيَتَجَلَّى لَهُمْ وَهُوَ يَضْحَكُ، وَيُعْطِي كُلَّ إِنْسَانٍ مِنْهُمْ مُنَافِقٍ وَمُؤْمِنٍ نُورًا، وَتَغْشَاهُ ظُلْمَةٌ، ثُمَّ يَتَّبِعُونَهُ مَعَهُمْ، الْمُنَافِقُونَ عَلَى جِسْرِ جَهَنَّمَ، فِيهِ كَلاَلِيبُ وَحَسَكٌ يَأْخُذُونَ مَنْ شَاءَ، ثُمَّ يُطْفَأُ نُورُ الْمُنَافِقِينَ، وَيَنْجُو الْمُؤْمِنُونَ، فَتَنْجُو أَوَّلُ زُمْرَةٍ وُجُوهُهُمْ كَالْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ، سَبْعُونَ أَلْفًا لاَ يُحَاسَبُونَ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، كَأَضْوَإِ نَجْمٍ فِي السَّمَاءِ، ثُمَّ ذَلِكَ حَتَّى تَحِلَّ الشَّفَاعَةُ»[٢].

---

(١) رواه الحاكم في مستدركه، كتاب التفسير، تفسير سورة التحريم: (٢/ ٥٣٨). قال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، وفي سنده عتبة بن يقظان، قال الذهبي في التلخيص: عتبة واهٍ، ورواه السيوطي في الدر المنثور: (٨/ ٢٢٨)، وذكره ابن تيمية في مجموع الفتاوى: (٧/ ٢٣٨).

(٢) رواه أحمد في مسنده، رقم (١٤٧٢١)، (٢٣/ ٦٣-٦٤) قال الأرنؤوط: حديث صحيح، وهذا إسناد ضعيف من أجل ابن لهيعة لكن تابعه ابن جريج، ورواه الدارقطني في الرؤية، ص: (١٦١) قال محققا الكتاب إبراهيم العلي وأحمد الرفاعي: حديث صحيح لغيره فيه عبدالله بن لهيعة أمره بين أهل العلم مشهور.

ورواه الدارمي في الرد على الجهمية ص: (١١٢)، ورواه ابن منده في الإيمان ص: (٣٢١)، ورواه أسد بن موسى في الزهد، ص: (٤٤).

٢-طلبهم إقتباس النور من المؤمنين بعد إطفاء نورهم:

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ اللهَ تَعَالَى يَدْعُو النَّاسَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِأَسْمَائِهِمْ سَتْرًا مِنْهُ عَلَى عِبَادِهِ، وَأَمَّا عِنْدَ الصِّرَاطِ فَإِنَّ اللهَ تَعَالَى يُعْطِي كُلَّ مُؤْمِنٍ نُورًا وَكُلَّ مُنَافِقٍ نُورًا، فَإِذَا اسْتَوَوْا عَلَى الصِّرَاطِ سَلَبَ اللهُ تَعَالَى نُورَ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ فَقَالَ الْمُنَافِقُونَ: انْظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِنْ نُورِكُمْ، وَقَالَ الْمُؤْمِنُونَ: رَبَّنَا أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا فَلا يَذْكُرُ عِنْدَ ذَلِكَ أَحَدٌ أَحَدًا»[١].

وعن أبي أمامة[٢] قال: يبعث الله ظلمة يوم القيامة فما من مؤمن ولا كافر يرى كفه حتى يبعث الله بالنور إلى المؤمنين بقدر أعمالهم فيتبعهم المنافقون فيقولون ﴿انظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ﴾[٣].

---

(١) رواه الطبراني في الكبير، رقم (١١٢٤٢)، (١١/ ١٠٠)، ورواه الهيثمي في مجمع الزوائد (١٠/ ٣٥٩)، وقال: رواه الطبراني وفيه: إسحاق بن بشر أبو حذيفة وهو متروك، وذكره الهندي في كنز العمال، رقم (٣٩٧٥٩)، (١٤/ ٢٧٢). وقال: رواه الطبراني، ورواه ابن كثير في النهاية في الفتن والملاحم: (٢/ ٩٣).

قال العظيم أبادي في (عون المعبود): رواه الطبراني بسند ضعيف كما قال شمس الدين ابن القيم في حاشية السنن، (١٥/ ٢٣٧-٢٣٨).

(٢) هو صدي بن عجلان بن الحارث، وقيل: عجلان بن وهب، أبو أمامة الباهلي السهمي، غلبت عليه كنيته سكن مصر، ثم انتقل منها فسكن حمص ومات بها، وكان من المكثرين في الرواية، شهد صفين وروى أنه بايع تحت الشجرة، مات في خلافة عبدالملك بن مروان سنة إحدى وثمانين، وقيل: سنة ست وثمانين، وهو آخر من مات بالشام من أصحاب النبي ﷺ في قول بعضهم.

معرفة الصحابة: (٣/ ٥٥)، الطبقات الكبرى: (٧/ ١٦٩)، أسد الغابة: (٢/ ٤٤٦)، الإصابة: (٣/ ٣٣٩)، الاستيعاب: (٢/ ٣٦٦).

(٣) تفسير ابن أبي حاتم: (١/ ٣٣٣٨)،تفسير ابن كثير: (٤/ ٢٦٢)، الدر المنثور: (٨/ ٥٣).

وقال العوفي[1] والضحاك وغيرهما عن ابن عباس: بينما الناس في ظلمة إذ بعث الله نورًا، فلما رأى المؤمنون النور توجهوا نحوه، وكان النور دليلًا من الله إلى الجنة، فلما رأى المنافقون المؤمنين قد انطلقوا تبعوهم فأظلم الله على المنافقين فقالوا حينئذ ﴿انظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ﴾ فإنا كنا معكم في الدنيا قال المؤمنون: ﴿ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ﴾ من حيث جئتم من الظلمة فالتمسوا هناك النور[2].

٣-توبيخ المؤمنين لهم عند طلبهم اقتباس النور منهم:

عند انطفاء نور المنافقين عند الصراط ينادى المنافقون المؤمنين: أما كنا معكم في الدار الدنيا نشهد معكم الجمع والجماعات ونحضر معكم الغزوات ونؤدي معكم سائر الواجبات؟ ﴿قَالُوا بَلَىٰ﴾ أي: فأجاب المؤمنون المنافقين قائلين: بلى قد كنتم معنا ثم يوبخونهم، انظر إلى هذا العذاب النفسي في هذا المكان، أهنا يكون التوبيخ والتقريع؟ أهنا يكون تخلي الصديق عن صديقه والقريب عن قريبه؟ نعم إنهم أعداء الله لا تقام لأحاسيسهم وزن، ولا تراعى مشاعرهم في هذا الموقف الرهيب والظلمة والمزلة التي تؤدي بصاحبها إلى دركات الجحيم، فياله من موقف تتفاقم فيه حسرات المنافقين وتتعالى فيه أحاسيس الندم والعذاب النفسي والعياذ بالله قائلين لهم ﴿وَلَٰكِنَّكُمْ فَتَنتُمْ أَنفُسَكُمْ

---

(١) هو عطية بن سعد بن جنادة، العوفي الجدلي القيسي الكوفي، أبو الحسن، قال أحمد: ضعيف الحديث، ثم قال: بلغني أن عطية كان يأتي الكلبي ويسأله عن التفسير، وقال ابن معين: صالح، وقال أبو زرعة: لين، وقال أبو حاتم: ضعيف يكتب حديثه وأبو نضرة أحب إلي منه، وقال النسائي: ضعيف، وقال ابن عدي: وهو مع ضعفه يكتب حديثه، وكان يعد من شيعة أهل الكوفة، توفي سنة إحدى عشرة ومائة.

الكامل في الضعفاء، ابن عدي، (٧/ ٨٤)، تهذيب الكمال: (٥/ ١٨٤)، تهذيب التهذيب: (٣/ ١١٤)، ضعفاء العقيلي (٣/ ١٠٦٣)، تقريب التهذيب، ص: (٣٣٣).

(٢) تفسير ابن كثير: (٤/ ٢٦٢)، الدر المنثور: (٨/ ٥٣).

وَتَرَبَّصْتُمْ وَارْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ الْأَمَانِيُّ حَتَّىٰ جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ وَغَرَّكُم بِاللَّهِ الْغَرُورُ﴾ ومعنى هذا من المؤمنين للمنافقين أنكم كنتم معنا أي بأبدان لا نية لها ولا قلوب معها، وإنما كنتم في حيرة وشك فكنتم تراؤون الناس ولا تذكرون الله إلا قليلا[١].

ويجسد هذا الموقف ويجليه ويصوره لنا قول ربنا ﷻ: ﴿يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَىٰ نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِم بُشْرَاكُمُ الْيَوْمَ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ۚ ذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١٢﴾ يَوْمَ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا انظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِن قِبَلِهِ الْعَذَابُ ﴿١٣﴾ يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ ۖ قَالُوا بَلَىٰ وَلَٰكِنَّكُمْ فَتَنتُمْ أَنفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَارْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ الْأَمَانِيُّ حَتَّىٰ جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ وَغَرَّكُم بِاللَّهِ الْغَرُورُ﴾ [الحديد:١٢-١٤].

* * *

(١) تفسير ابن كثير: (٤/ ٢٦٣)، بتصرف.

المطلب السادس

العذاب النفسي عند حرمانهم من الشفاعة

قبل الحديث عن العذاب النفسي عند حرمان الكافرين والمنافقين من الشفاعة يحسن بنا أن نعرف الشفاعة وثبوتها بالكتاب والسنة وإجماع الأمة ومن ثم التحدث عن حرمانهم من الشفاعة وسيكون ذلك من خلال ثلاثة فروع:

الفرع الأول: تعريف الشفاعة:

الشفاعة لغة: الشفع: خلاف الوتر، وهو الزوج، تقول: كان وترًا فشفعته شفعًا.

وشفع الوتر من العدد شفعًا: صيره زوجًا.

والشُفْعُ: ما شفع به سمى بالمصدر، والجمع شفاع.

وشَفَعَ لي يَشْفَعُ شفاعةً وتَشَفُعَ: طلب.

والشفع: الشافعُ، والجمع شُفعاء، وتَشَفَّعَ بفلان على فلان وتَشَفَّعَ له إليه فشفعَهُ فيه.

وقال الفارسي[1]: اسْتَشَفْعَه طلب منه الشفاعة أي: قال له كن لي شافعًا.

---

(١) هو الحسن بن أحمد بن عبدالغفار بن سليمان، أبو علي الفارسي النحوي، ولد ببلدة فسا وسمع شيئًا من الحديث، وروى عنه الجوهري والتنوخي وقد اتهمه قوم بالاعتزال، علت منزلته من النحو حتى قال قوم من تلامذته: هو فوق المبرد وأعلم منه، وصنف كتبًا عجيبة حسنة لم يسبق إلى مثلها، واشتهر ذكره في الآفاق.

قال ابن حجر: كان متهمًا بالاعتزال لكنه صدوق في نفسه من مصنفاته: (الحجة في علل القراءات) و (الإيضاح) و (التكملة)، مات سنة سبع وسبعين وثلاثمائة، وعاش تسعًا وتسعين سنة. ....=

وروى عن المبرد وثعلب أنهما قالا في قوله تعالى: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾.

قالا: الشفاعة الدعاء ههنا، والشفاعة: كلام الشفيع للْمَلِكِ في حاجة يسألها لغيره.

وشفَعَ إليه: في معنى طلب إليه، والشافعُ: الطالب لغيره يتشفعُ به إلى المطلوب، يقال: تشفعت بفلان إلى فلان فشفعني فيه، واسم الطالب شفيع[١].

الشفاعة اصطلاحًا:

قال ابن منظور: هي السؤال في التجاوز عن الذنوب والجرائم[٢].

وقال العيني[٣]: هي سؤال فعل الخير وترك الضرر عن الغير لأجل الغير على سبيل الضراعة[٤].

* * *

= البداية والنهاية: (١١/ ٣٢٧)، العبر: (٢/ ١٤٩)، النجوم الزاهرة: (٤/ ١٥١)، شذرات الذهب: (٢/ ٨٨)، بغية الوعاة: (١/ ٤٩٦).

(١) العين، ص: (٤٨٥)، لسان العرب: (٥/ ١٤٤-١٤٥).

(٢) لسان العرب: (٥/ ١٤٥).

(٣) هو محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد أبو محمد، بدر الدين العيني الحنفي، مؤرخ علامة من كبار المحدثين، أصله من حلب، مولده في عينتاب وإليها نسبته، ولي في القاهرة الحسبة وقضاء الحنفية ونظر السجون، وعكف على التدريس والتصنيف، ومن مصنفاته (عمدة القاري في شرح البخاري) و(مغاني الأخيار في رجال معاني الآثار) و(عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان)، توفي سنة خمس وخمسين وثمانمائة.

نظم العقيان، السيوطي، ص: (١٧٤)، النجوم الزاهرة: (١٦/ ٨)، شذرات الذهب: (٧/ ٢٨٦)، التاج المكلل، ص: (٤٧٤)، الأعلام: (٧/ ١٦٣).

(٤) عمدة القاري: (٤/ ١٠).

الفرع الثاني

إثبات الشفاعة

الشفاعة ثابتة بالكتاب والسنة وإجماع السلف والخلف ولم يخالف ذلك إلا بعض المبتدعة من المعتزلة والخوارج فأنكروا شفاعته ﷺ في أهل الكبائر.

وأما أدلة الشفاعة من الكتاب:

١-فقوله تعالى: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾[البقرة: ٢٥٥].

٢-وقوله تعالى: ﴿وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغْنِى شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعْدِ أَن يَأْذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرْضَىٰٓ﴾[النجم: ٢٦].

٣-وقال تعالى: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ﴾[الأنبياء: ٢٨].

وغير ذلك من الآيات التي تدل على الشفاعة في ذلك اليوم العظيم.

وما أدلة السنة في الشفاعة فهي كثيرة ومن أشهرها حديث الشفاعة الطويل وذلك حين يشتد على الناس الكرب في الموقف ويسألون من يشفع لهم فيخلصهم مما هم فيه، فيأتون آدم، ثم إبراهيم، ثم موسى ثم عيسى بن مريم عليهم السلام وكلهم يعتذر عنها ويقول: نفسي نفسي إلى أن ينتهوا إلى نبينا محمد ﷺ فيقول: «أنا لها»[1].

وعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**لِكُلِّ نَبِيٍّ دَعْوَةٌ مُسْتَجَابَةٌ فَتَعَجَّلَ كُلُّ نَبِيٍّ دَعْوَتَهُ وَإِنِّي اخْتَبَأْتُ دَعْوَتِي شَفَاعَةً لأُمَّتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَهِيَ نَائِلَةٌ**

---

(١) الحديث بطوله في صحيح البخاري، كتاب التوحيد، باب (كلام الرب تعالى يوم القيامة مع الأنبياء وغيرهم) رقم (٧٥١٠)، ص: (١٥٧٤-١٥٧٥).

إِنْ شَاءَ اللهُ مَنْ مَاتَ مِنْ أُمَّتِي لاَ يُشْرِكُ بِاللهِ شَيْئًا»[(١)].

سئل الإمام أحمد عن ما يروى عن النبي ﷺ في الشفاعة فقال: هذه أحاديث صحاح نؤمن بها ونقر، وكل ما روي عن النبي ﷺ بأسانيد جيدة نؤمن بها ونقر[(٢)].

وقال أبو الحسن الأشعري: قد أجمع المسلمون أن للرسول ﷺ شفاعة[(٣)].

وقال الحافظ أبو بكر الإسماعيلي: إن الشفاعة حق[(٤)].

وقال الحافظ أبو عثمان الصابوني: ويؤمن أهل الدين والسنة بشفاعة الرسول ﷺ لمذنبي أهل التوحيد ومرتكبي الكبائر كما ورد به الخبر الصحيح عن رسول الله ﷺ[(٥)].

وقال أبو العز الحنفي في شرح الطحاوية: وأما أهل السنة والجماعة، فيقرون بشفاعة نبينا ﷺ في أهل الكبائر وشفاعة غيره، لكن لا يشفع أحد حتى يأذن الله له وتحد له حدًّا[(٦)].

وقال السفاريني في «البحور الزاخرة»: إن الإيمان بالشفاعة واجب، ومن أنكرها حرمها، ويكون من إخوان الشيطان، من الفرقة المعتزلة الضالة عن

---

(١) رواه مسلم، كتاب الإيمان، باب (اختباء النبي ﷺ دعوة الشفاعة لأمته) رقم (١٩٩)، (١/ ١٦١).

(٢) شرح أصول أهل السنة: ٢/ ١٣٨.

(٣) الإبانة، ص: (١٧٧).

(٤) اعتقاد أهل السنة، ص: (٤٧).

(٥) عقيدة السلف أصحاب الحديث، ص: (٧٦).

(٦) شرح الطحاوية: ص(٢٣٥).

سواء السبيل، فنسأل الله أن يجعلنا من أهل الشفاعة، وأن يوفقنا بمنه للطاعة، وأن يرينا وجه نبينا ﷺ من غير سابقة عذاب، إنه ولي ذلك، وأن يعافينا من جميع أنواع العقاب وأسباب المهالك[١].

* * *

(١) البحور الزاخرة: (٢/ ٢١).

الفرع الثالث

العذاب النفسي عند حرمانهم من الشفاعة

أخبر الله ﷻ بالشفاعة يوم القيامة كما سبق وأخبر أنها لا تكون إلا لمن أذن له ورضي عنه من أهل الإيمان قال تعالى: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشۡفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦۚ﴾[البقرة: ٢٥٥].

وقال: ﴿وَلَا يَشۡفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرۡتَضَىٰ﴾[الأنبياء: ٢٨].

وقال: ﴿وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنۡ أَذِنَ لَهُۥۚ﴾[سبأ: ٢٣].

ففي ذلك اليوم يأذن الله للشفعاء أن يشفعوا، ويرضا عن المشفوعين فتقام الشفاعة فيشفع الأنبياء والرسل ويشفع الملائكة ويشفع الشهداء ويشفع المؤمنون فيشفعون في أهل لا إله إلا الله، ويحرم منها أهل الكفر والنفاق فيعذبهم الله بذلك الحرمان عذابًا نفسيًّا عندما يرون هؤلاء الشفعاء يشفعون في جميع الخلق إلا هم قال تعالى: ﴿فَمَا تَنفَعُهُمۡ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ﴾[المدثر: ٤٨].

قال القرطبي: ليس للكفار شفيع يشفع فيهم[١].

قال جمهور المفسرين: أي لا تنالهم شفاعة الملائكة والأنبياء والصالحين.

وقال ابن مسعود: تشفع الملائكة والنبيون والشهداء والصالحون وجميع المؤمنين فلا يبقى إلا أربعة ثم ﴿قَالُواْ لَمۡ نَكُ مِنَ ٱلۡمُصَلِّينَ﴾ إلى قوله ﴿بِيَوۡمِ ٱلدِّينِ﴾[٢].

---

(١) تفسير القرطبي: (١٩/ ٨٨).

(٢) معالم التنزيل: (٨/ ٢٧٣).

قال عمران بن الحصين[١]: الشفاعة لكل واحد دون هؤلاء الذين تسمعون[٢].

وقال تعالى: ﴿مَا لِلظَّـٰلِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ ﴾[غافر: ١٨].

قال ابن جرير: ما للكافرين بالله من حميم يحمهم لهم فيدفع عنهم عظيم ما نزل بهم من عذاب الله، ولا شفيع يشفع لهم عند ربهم فيطاع فيما شفع، ويجاب فيما سأل[٣].

ثم زيادة في عذابهم النفسي في عدم حصول الشفاعة لهم حتى من شركائهم الذين زعموا أنها تنفعهم يقول الله لهم توبيخًا وذمًّا لهم ﴿وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَٰدَىٰ كَمَا خَلَقْنَـٰكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُم مَّا خَوَّلْنَـٰكُمْ وَرَآءَ ظُهُورِكُمْ ۖ وَمَا نَرَىٰ مَعَكُمْ شُفَعَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَـٰٓؤُا۟ ۚ لَقَد تَّقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنكُم مَّا كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴾[الأنعام: ٩٤].

قال السدي: أما قوله: ﴿وَمَا نَرَىٰ مَعَكُمْ شُفَعَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَـٰٓؤُا۟ ﴾ فإن المشركين كانوا يزعمون أنهم كانوا يعبدون الآلهة؛ لأنهم شفعاء

---

(١) هو عمران بن حصين بن عبيد بن خلف الخزاعي، يكنى أبا نجيد، كان إسلامه عام خيبر وغزا عدة غزوات، وكان صاحب راية خزاعة يوم الفتح، بعثه عمر إلى البصرة ليفقه أهلها، قال خليفة: استقضى عبدالله بن عامر عمران بن حصين على البصرة فأقام قاضيًا يسيرًا ثم استعفى فأعفاه، وكان مجاب الدعوة، ولم يشهد الفتنة، وكان من فضلاء الصحابة وفقهائهم، مات سنة اثنتين وخمسين، وقيل: ثلاث وخمسين في خلافة معاوية.

الاستيعاب: (٢/ ١١)، معرفة الصحابة: (٣/ ٤٧٨)، أسد الغابة: (٣/ ٤٠٨)، الثقات: (٣/ ٢٨٧)، الإصابة: (٤/ ٥٨٤).

(٢) معالم التنزيل: (٨/ ٢٧٣).

(٣) تفسير الطبري: (٢٤/ ٦٣).

يشفعون لهم عند الله وأن هذه الآلهة شركاء لله[١].

وقال عكرمة: قال النضر بن الحارث[٢]: سوف تشفع لي اللات والعزى فنزلت هذه الآية: ﴿وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَىٰ كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ إلى قوله: ﴿شُرَكَاءَ﴾[٣].

وقال ابن كثير: تقريع لهم وتوبيخ على ما كانوا اتخذوا في الدار الدنيا من الأنداد والأصنام والأوثان، ظانين أنها تنفعهم في معاشهم ومعادهم، إن كان ثم معاد فإذا كان يوم القيامة تقطعت بهم الأسباب وانزاح الضلال وضل عنهم ما كانوا يفترون ويناديهم الرب جل جلاله على رؤوس الخلائق ﴿أَيْنَ شُرَكَاؤُكُمُ الَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ﴾[٤].

* * *

---

(١) تفسير الطبري: (٧/ ٣٤٦-٣٤٧)، زاد المسير: (٣/ ٨٩).

(٢) النضر بن الحارث بن علقمة بن كلدة كان ممن يؤذي النبي ﷺ أسر يوم بدر وأمر النبي ﷺ علي بن أبي طالب ﷺ بقتله في الصفراء عند رجوعهم للمدينة.

انظر: الروض الأنف، للسهيلي، (٣/ ٢٨٩)، البداية والنهاية، (٣/ ٣٤٠) .

(٣) تفسير الطبري: (٧/ ٣٤٧)، زاد المسير: (٣/ ٨٩).

(٤) تفسير ابن كثير: (٢/ ١٤٠).

المبحث الثاني

العذاب النفسي عند احتجاب الله عنهم في ذلك اليوم

إن رؤية الله جل وعلا في ذلك اليوم العظيم من المؤمنين حق دلت عليها نصوص الشرع، أما الكفار فقد اختلف أهل العلم في رؤيتهم الله ﷻ في عرصات يوم القيامة إلى ثلاثة أقوال:

أحدها: أن الكفار لا يرون ربهم بحال، لا المظهر للكفر ولا المُسرّ له، وهذا قول أكثر العلماء المتأخرين، وعليه يدل عموم كلام المتقدمين وعليه جمهور أصحاب الإمام أحمد وغيرهم.

الثاني: أنه يراه من أظهر التوحيد من مؤمني هذه الأمة ومنافقيها وغبرات من أهل الكتاب، وذلك في عرصة القيامة ثم يحتجب عن المنافقين فلا يرونه بعد ذلك، وهذا قول أبي بكر بن خزيمة(١) من أئمة أهل السنة، وقد ذكر القاضي أبو يعلى(٢) نحوه في حديث إتيانه ﷻ لهم في الموقف الحديث المشهور.

---

(١) هو إمام الأئمة محمد بن إسحاق بن خزيمة بن المغيرة السلمي مولاهم، من أهل نيسابور، جمع بين الفقه والحديث، كان بحرًا من بحور العلم، طاف البلاد ورحل إلى الآفاق في الحديث، وطلب العلم فكتب الكثير، وكتابه الصحيح من أنفع الكتب وأجلها، وهو من المجتهدين، قال أبو بكر الصدفي: أبو بكر بن خزيمة يستخرج النكت والمعاني من حديث رسول الله ﷺ بالمناقيش، من مصنفاته: (صحيح بن خزيمة) و(كتاب التوحيد وإثبات الصفات)، مات سنة اثنتي عشرة وثلاثمائة.

تاريخ جرجان، للسهمي ص: (٢١٤)، طبقات الفقهاء، للشيرازي، ص: (١٩٨) سير أعلام النبلاء: (١٤/ ٣٦٥)، تذكرة الحفاظ: (٢/ ٢٠٧)، طبقات القراء، للجزري: (٢/ ٨٨).

(٢) هو محمد بن الحسين بن محمد بن خلف بن أحمد بن الفراء، أبو يعلى، كان عالم زمانه وفريد عصره ونسيج وحده، وقريع دهره، وكان له في الأصول والفروع القدم العالي، وفي شرف الدين والدنيا المحل السامي، وأصحاب الإمام أحمد له يتبعون ولتصانيفه يدرسون=

الثالث: أن الكفار يرونه رؤية تعريف وتعذيب، كاللص إذا رأى السلطان ثم يحتجب عنهم ليعظم عذابهم ويشتد عقابهم، وهذا قول أبي الحسن بن سالم[١] وأصحابه وقول غيرهم، وهم في الأصول منتسبون إلى الإمام أحمد بن حنبل وسهل بن عبدالله التستري[٢][٣].

والذي يترجح لي - والعلم عند الله - هو القول الثاني: وهو أن الكفار لا يرون الله في عرصات القيامة وأما المنافقون فيرونه ثم يحتجب عنهم، وهذا الاحتجاب من أشد أنواع العذاب ليس النفسي فحسب بل وأشد من العذاب الحسي.

=ويدرسون وبقوله يفتون، مع معرفته بالقرآن وعلومه والحديث والفتاوى والجدل مع الزهد والورع، له مصنفات منها (أحكام القرآن) و (إبطال التأويلات لأخبار الصفات) و (الأحكام السلطانية)، مات سنة ثمان وخمسين وأربعمائة.

تاريخ بغداد: (٢/ ٢٥٢)، المنتظم: (١٦/ ٩٨)، البداية والنهاية: (١٢/ ١٠٢)، سير أعلام النبلاء: (١٨/ ٨٩)، طبقات الحنابلة: (٢/ ١٩٣).

(١) هو أبو الحسن أحمد بن محمد بن سالم البصري، شيخ السالمية، وكان له أحوال ومجاهدات، وعنه أخذ أبو طالب المكي صاحب القوت، وهو آخر أصحاب سهل التستري وفاة، وقد خالف أصول السنة في مواضع وبالغ في الإثبات في مواضع، وعمر دهرًا وقد قارب التسعين وبقي إلى سنة ثلاثمائة وبضع وخمسين.

مرآة الجنان: (٢/ ٢٨٠)، الوافي بالوفيات: (٨/ ١٢)، العبر: (٢/ ١٠٩)، سير أعلام النبلاء: (١٦/ ٢٧٢)، شذرات الذهب: (٣/ ٣٦).

(٢) سهل بن عبدالله بن يونس، أبو محمد التستري، شيخ العارفين، الصوفي الزاهد، صحب خاله محمد بن سوار ولقي في الحج ذا النون المصري وصحبه، له كلمات نافعة ومواعظ حسنة، وقدم راسخ في الطريق، ولم يكن له في وقته نظير في المعاملات والورع، وكان صاحب كرامات، مات في المحرم سنة ثلاث وثمانين ومائتين، وعاش ثمانين سنة أو أكثر.

حلية الأولياء: (١٠/ ١٨٩)، صفة الصفوة: (٤/ ٥٨)، وفيات الأعيان: (١/ ٣٩٥)، مرآة الجنان: (٢/ ١٤٩)، تاريخ ابن الأثير: (٦/ ١٣٧).

(٣) مجموع الفتاوى: (٦/ ٤٨٧-٤٨٨).

روى ابن بطة[1] بإسناده عن أشهب قال: قال رجل لمالك: يا أبا عبدالله هل يرى المؤمنون ربهم يوم القيامة؟ فقال مالك: لو لم ير المؤمنون ربهم يوم القيامة لم يعير الله الكفار بالحجاب، قال تعالى: ﴿كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ﴾ [المطففين: ١٥] [2].

وقال أبو عبدالله الماجشون[3] وهو من أقران مالك في كلام له: فورب السماء والأرض ليجعلن الله رؤيته يوم القيامة للمخلصين ثوابًا، فتنضَّر بها وجوههم دون المجرمين، وتفلج بها حجتهم على الجاحدين: جهم[4] وشيعته

---

(١) هو عبيد الله بن محمد بن محمد بن أحمد، ويرجع نسبه في عتبة بن فرقد صاحب رسول الله ﷺ أبو عبدالله العكبري المعروف بابن بطة، الفقيه الحنبلي، لازم بيته أربعين سنة فلم ير في سوق ولا رؤي مفطرًا إلا في يوم الفطر والأضحى وأيام التشريق، قال عبدالواحد بن علي العكبري: لم أر في شيوخ أصحاب الحديث ولا في غيرهم أحسن هيئة من ابن بطة، وكان آمرًا بالمعروف، ولم يبلغه منكر إلا غيره، له مصنفات كثيرة منها (الإبانة الكبير) (الإبانة الصغير) و (التفرد والعزلة)، مات سنة سبع وثمانين وثلاثمائة.

الوافي بالوفيات: (١٩/ ٢٧١)، سير أعلام النبلاء: (١٦/ ٥٢٩)، طبقات الحنابلة: (٢/ ١٤٤)، لسان الميزان: (٤/ ١٣١)، تاريخ دمشق: (٣٨/ ١٠٥).

(٢) مجموع الفتاوى: (٦/ ٤٩٩).

(٣) هو الفقيه المالكي أبو مروان عبدالملك بن عبدالعزيز بن عبدالله بن أبي سلمة بن الماجشون الأعمى، قيل: إنه عمى في آخر عمره، تفقه على يد الإمام مالك وعلى والده عبدالعزيز، قال أبو داود: كان لا يعقل الحديث، وقال يحيى بن أكثم: كان بحرًا لا تكدره الدلاء، وقال ابن عبدالبر: كان فقيهًا فصيحًا، دارت عليه الفتيا في زمانه، وعلى أبيه من قبل، توفي بالمدينة سنة اثنتي عشرة ومائتين، وقيل غير ذلك.

طبقات الفقهاء، ص: (١٥٣)، وفيات الأعيان: (٢/ ٧٩)، سير أعلام النبلاء: (١٠/ ٣٥٩)، الديباج المذهب، ص: (٢٥١)، ترتيب المدارك للقاضي عياض: (٣/ ١٣٦).

(٤) هو الجهم بن صفون أبو محرز الراسبي، مولاهم السمرقندي، المتكلم رأس الضلال ورأس الجهمية، كان صاحب ذكاء وجدل، كتب للأمير حارث بن سريح التميمي، وكان ينكر=

وهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون، لا يرونه كما زعموا أنه لا يرى ولا يكلمهم ولا ينظر إليهم، ولهم عذاب أليم، كيف لم يعتبروا؟ يقول الله تعالى: ﴿كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ﴾ أفيظن أن الله يقصيهم ويعنتهم ويعذبهم بأمر يزعم الفاسق أنه وأولياءه فيه سواء[1].

وسيأتي مزيد تفصيل لهذا في احتجاب الله عنهم في النار إن شاء الله.

* * *

=الصفات وينزه الباري عنها بزعمه، ويقول بخلق القرآن، وغيرها من الضلالات، قيل: أن أسلم بن أحوز قتل الجهم لإنكاره أن الله كلم موسى، وقال ابن حزم كان يخلاف مقاتلا في التجسيم، قتله نصر بن سيار سنة ثمان وعشرين ومائة.

سير أعلام النبلاء: (٦/ ٢٦)، ميزان الاعتدال: (٢/ ١٥٩)، لسان الميزان: (٢/ ١٧٩)، الملل والنحل، للشهرستاني: (١/ ٩٧)، الكامل، لابن الأثير: (٤/ ٢٩٣).

(١) مجموع الفتاوى: (٦/ ٥٠٠)، شرح أصول أهل السنة: (٢/ ٣٤٩).

المبحث الثالث

العذاب النفسي عند تعجيزهم ببعض ما يطلب منهم

هؤلاء الكفار المشركون الذين جعلوا مع الله آلهة أخرى كما زعموا وعبدوها من دون الله، والذين ظنوا نفعها ونصرها لهم، في يوم القيامة تظهر حقيقة هذه الآلهة المزعومة والأوهام الزائفة لمن عبدها، فيقول الجبار جل وعلا لهؤلاء المشركين تعجيزًا لهم وزيادة لهم في عذابهم النفسي ﴿ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَآءِيَ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴾[القصص: ٦٢].

وقوله تعالى: ﴿ وَيَوْمَ يَقُولُ نَادُواْ شُرَكَآءِيَ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُواْ لَهُمْ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُم مَّوْبِقًا ﴾[الكهف: ٥٢].

قال أبو السعود في تفسيره ﴿ وَيَوْمَ يَقُولُ ﴾ أي: الله ﷻ للكافرين توبيخًا وتعجيزًا، ﴿نَادُواْ شُرَكَآءِيَ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُمْ ﴾ أنهم شفعاؤكم ليشفعوا لكم.

والمراد بهم كل ما عبد من دون الله تعالى ﴿فَدَعَوْهُمْ﴾ أي: نادوهم للإغاثة ﴿فَلَمْ يَسْتَجِيبُواْ لَهُمْ﴾ فلم يغيثوهم إذ لا إمكان لذلك وفي إيراده مع ظهوره تهكم بهم وإيذان في الحماقة بحيث لا يفهمون إلا بالتصريح به.

﴿وَجَعَلْنَا بَيْنَهُم﴾ بين الداعين والمدعوين ﴿مَّوْبِقًا﴾ اسم مكان، أو مهلكًا يشتركون فيه وهو النار، أو عداوة هي في الشدة نفس الهلاك، وقيل: الموبق البرزخ البعيد أي: جعلنا بينهم أمدًا بعيدًا يهلك فيه الأشواط لفرط بعده؛ لأنهم في قعر جهنم وهم في أعلى الجنان[١].

* * *

(١) تفسير أبي السعود: (٥/ ٢٢٩)، بتصرف.

المبحث الرابع

العذاب النفسي عند وصفهم ببعض الصفات القبيحة

إن وصف الإنسان ووسمه ببعض الصفات لها وقْعُها على الإنسان من حيث الاستئناس والفرح بها أو التضايق والاشمئزاز منها وتأثره النفسي من تلك الصفة التي أطلقت عليه، فمن عذاب الكافرين والمنافقين يوم القيامة نفسيًّا وسمهم ووصفهم ببعض الصفات القبيحة التي تدل على قبح كفرهم وعنادهم في الدنيا، ومن تلك الصفات:

١- وصفهم بالكذب:

قال تعالى: ﴿ يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا فَيَحْلِفُونَ لَهُۥ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ ۖ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَىٰ شَىْءٍ ۚ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ ﴾[المجادلة: ١٨].

وقال تعالى: ﴿ وَإِذَا رَءَا ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ شُرَكَآءَهُمْ قَالُوا۟ رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ شُرَكَآؤُنَا ٱلَّذِينَ كُنَّا نَدْعُوا۟ مِن دُونِكَ ۖ فَأَلْقَوْا۟ إِلَيْهِمُ ٱلْقَوْلَ إِنَّكُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴾[النحل: ٨٦].

٢-وصفهم بالظلم:

قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَنفِقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَٰكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَٰعَةٌ ۗ وَٱلْكَٰفِرُونَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾[البقرة: ٢٥٤].

وقال تعالى: ﴿ وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِى ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلًا ﴾[الفرقان: ٢٧].

وقال تعالى: ﴿أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ يَوْمَ يَأْتُونَنَا ۖ لَٰكِنِ ٱلظَّٰلِمُونَ ٱلْيَوْمَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴾[البقرة: ٢٥٥].

وقال تعالى: ﴿ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوا وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا﴾[مريم: ٣٨].

وقال تعالى: ﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ الظَّالِمِينَ مَعْذِرَتُهُمْ وَلَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ﴾[غافر: ٥٢].

وقال تعالى: ﴿تَرَى الظَّالِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا كَسَبُوا وَهُوَ وَاقِعٌ بِهِمْ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فِي رَوْضَاتِ الْجَنَّاتِ لَهُم مَّا يَشَاءُونَ عِندَ رَبِّهِمْ ذَٰلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ﴾[الشورى: ٢٢].

وقال تعالى: ﴿وَتَرَاهُمْ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا خَاشِعِينَ مِنَ الذُّلِّ يَنظُرُونَ مِن طَرْفٍ خَفِيٍّ وَقَالَ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلَا إِنَّ الظَّالِمِينَ فِي عَذَابٍ مُّقِيمٍ﴾[الشورى: ٤٥].

وقال تعالى: ﴿وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَٰكِن كَانُوا هُمُ الظَّالِمِينَ﴾[الزخرف: ٧٦].

وقال تعالى: ﴿وَأَنذِرِ النَّاسَ يَوْمَ يَأْتِيهِمُ الْعَذَابُ فَيَقُولُ الَّذِينَ ظَلَمُوا رَبَّنَا أَخِّرْنَا إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ نُّجِبْ دَعْوَتَكَ وَنَتَّبِعِ الرُّسُلَ أَوَلَمْ تَكُونُوا أَقْسَمْتُم مِّن قَبْلُ مَا لَكُم مِّن زَوَالٍ﴾[إبراهيم: ٤٤].

وقال تعالى: ﴿فَيَوْمَئِذٍ لَّا يَنفَعُ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَعْذِرَتُهُمْ وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ﴾[الروم: ٥٧].

وقال تعالى: ﴿فَالْيَوْمَ لَا يَمْلِكُ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ نَّفْعًا وَلَا ضَرًّا وَنَقُولُ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّتِي كُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ﴾[سبأ: ٤٢].

وقال تعالى: ﴿احْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ﴾[الصافات: ٢٢].

وقال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ

لَافْتَدَوْا بِهِۦ مِن سُوٓءِ ٱلْعَذَابِ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ وَبَدَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا۟ يَحْتَسِبُونَ ﴾ [الزمر: ٤٧].

وقال تعالى: ﴿ وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْءَازِفَةِ إِذِ ٱلْقُلُوبُ لَدَى ٱلْحَنَاجِرِ كَٰظِمِينَ ۚ مَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ ﴾[غافر: ١٨].

٣- وصفهم بالكبر:

قال تعالى: ﴿ فَٱدْخُلُوٓا۟ أَبْوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۖ فَلَبِئْسَ مَثْوَى ٱلْمُتَكَبِّرِينَ ﴾[النحل: ٢٩].

وقال تعالى: ﴿ قِيلَ ٱدْخُلُوٓا۟ أَبْوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۖ فَبِئْسَ مَثْوَى ٱلْمُتَكَبِّرِينَ ﴾[الزمر: ٧٢].

وقال تعالى: ﴿ ٱدْخُلُوٓا۟ أَبْوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۖ فَبِئْسَ مَثْوَى ٱلْمُتَكَبِّرِينَ ﴾ [غافر: ٧٦].

وقال تعالى: ﴿ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ تَرَى ٱلَّذِينَ كَذَبُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ ۚ أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ ﴾[الزمر: ٦٠].

٤- وصفهم بالفسق:

قال تعالى: ﴿ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فَسَقُوا۟ فَمَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ ۖ كُلَّمَآ أَرَادُوٓا۟ أَن يَخْرُجُوا۟ مِنْهَآ أُعِيدُوا۟ فِيهَا وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلنَّارِ ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ﴾[السجدة: ٢٠].

٥- وصفهم بالقبح:

قال تعالى: ﴿ وَأَتْبَعْنَٰهُمْ فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا لَعْنَةً ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ هُم مِّنَ

ٱلْمَقْبُوحِينَ ﴾[القصص: ٤٢].

٦- وصفهم بالإجرام:

قال تعالى: ﴿يُبَصَّرُونَهُمْ ۚ يَوَدُّ ٱلْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِى مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍ ﴾[المعارج: ١١].

وقال تعالى: ﴿ وَرَءَا ٱلْمُجْرِمُونَ ٱلنَّارَ فَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُم مُّوَاقِعُوهَا وَلَمْ يَجِدُوا۟ عَنْهَا مَصْرِفًا ﴾[الكهف: ٥٣].

وقال تعالى: ﴿ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يُبْلِسُ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴾[الروم: ١٢].

وقال تعالى: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يُقْسِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا۟ غَيْرَ سَاعَةٍ ۚ كَذَٰلِكَ كَانُوا۟ يُؤْفَكُونَ ﴾[الروم: ٥٥].

وقال تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلْمُجْرِمُونَ نَاكِسُوا۟ رُءُوسِهِمْ عِندَ رَبِّهِمْ رَبَّنَآ أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَٱرْجِعْنَا نَعْمَلْ صَٰلِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ ﴾[السجدة: ١٢].

وقال تعالى: ﴿ وَٱمْتَٰزُوا۟ ٱلْيَوْمَ أَيُّهَا ٱلْمُجْرِمُونَ ﴾[يس: ٥٩].

وقال تعالى: ﴿يُعْرَفُ ٱلْمُجْرِمُونَ بِسِيمَٰهُمْ فَيُؤْخَذُ بِٱلنَّوَٰصِى وَٱلْأَقْدَامِ ﴾[الرحمن: ٤١].

وقال تعالى: ﴿هَٰذِهِۦ جَهَنَّمُ ٱلَّتِى يُكَذِّبُ بِهَا ٱلْمُجْرِمُونَ ﴾[الرحمن: ٤٣].

وقال تعالى: ﴿ وَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُّقَرَّنِينَ فِى ٱلْأَصْفَادِ ﴾ [إبراهيم: ٤٩].

وقال تعالى: ﴿ وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ فَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ ﴾ [الكهف: ٤٩].

وقال تعالى: ﴿وَنَسُوقُ ٱلْمُجْرِمِينَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وِرْدًا﴾[مريم: ٨٦].

وقال تعالى: ﴿يَوْمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ ۚ وَنَحْشُرُ ٱلْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا﴾[طه: ١٠٢].

وقال تعالى: ﴿فَإِنَّهُمْ يَوْمَئِذٍ فِي ٱلْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ ﴿٣٣﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَفْعَلُ بِٱلْمُجْرِمِينَ﴾ [الصافات: ٣٣-٣٤].

* * *

المبحث الخامس

العذاب النفسي عند شهود الأشهاد عليهم

وفيه ستة مطالب:

المطلب الأول: شهادة الرسل عليهم:

من عدل الله في ذلك اليوم ألا يعذب أحدًا حتى يقيم من يشهد عليه، مع أنه ﷻ أعظم شهيد قال تعالى: ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا﴾[النساء: ٧٩].

فيقيم الرسل في ذلك اليوم العظيم تشهد بتكذيب وكفر من كفر وكذب من أممها، والناس في ذلك الموقف العظيم محتاجون إلى رحمة الله وأن تكون الرسل معهم وفي صفهم للدفاع عنهم والشفاعة لهم عند ربهم لا ليكونوا شهداء عليهم ليحق عليهم العذاب والهلاك فتظهر فضيحتهم أمام الخلائق وتعذيبهم نفسيًّا والعياذ بالله.

قال تعالى: ﴿ وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِم مِّنْ أَنفُسِهِمْ ۖ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ ۚ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴾[النحل: ٨٩].

قال قتادة قوله: ﴿ وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا ﴾ وشاهدها: نبيها، على أنه بلغ رسالات ربه[١].

وقال القرطبي: وهم الأنبياء، شهداء على أممهم يوم القيامة بأنهم قد بلغوا الرسالة ودعوهم إلى الإيمان[٢].

---

(١) تفسير الطبري: (١٤/ ١٩٤).

(٢) تفسير القرطبي: (١٠/ ١٦٤).

وقال تعالى: ﴿ وَيَوْمَ نَبْعَثُ مِن كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا ثُمَّ لَا يُؤْذَنُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ ﴾[النحل: ٨٤].

وقال تعالى: ﴿ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ شَهِيدًا ﴾[النساء: ٤١].

عن عكرمة في قوله ﴿ وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ ﴾[البروج: ٣] قال الشاهد: محمد، والمشهود: يوم القيامة، وذلك قوله: ﴿ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ شَهِيدًا ﴾.

وقال عكرمة أيضًا في قوله: ﴿ وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ ﴾ قال: الشاهد محمد، والمشهود: يوم الجمعة، فذلك قوله: ﴿ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ شَهِيدًا ﴾[١]، وكانت هذه الآية تبكي النبي ﷺ.

قال القرطبي: قال علماؤنا بكاء النبي ﷺ إنما لعظيم ما تضمنته هذه الآية من هول المطلع وشدة الأمر؛ إذ يؤتى بالأنبياء شهداء على أممهم بالتصديق والتكذيب ويؤتى به ﷺ يوم القيامة شهيدًا، والإشارة بقوله ﴿عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ ﴾ إلى كفار قريش وغيرهم من الكفار، وإنما خص كفار قريش بالذكر؛ لأن وظيفة العذاب أشد عليهم منها على غيرهم لعنادهم عند رؤية المعجزات وما أظهره الله على يديه من خوارق العادات، والمعنى فكيف يكون حال هؤلاء الكفار يوم القيامة[٢].

* * *

---

(١) تفسير الطبري: (٥/ ١٢٥).

(٢) تفسير القرطبي: (٥/ ١٩٧-١٩٨).

المطلب الثاني

شهادة المؤمنين عليهم

ومن الأشهاد الذين يشهدون على الكافرين والمنافقين من الأمم المكذبة المؤمنون من أمة محمد ﷺ قال تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾[البقرة: ١٤٣].

وعن أبي سعيد الخدري ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «يُدْعَى نُوحٌ يَوْمَ القِيَامَةِ، فَيَقُولُ: لَبَّيْكَ وَسَعْدَيْكَ يا رَبِّ، فَيَقُولُ: هَلْ بَلَّغْتَ؟ فَيَقُولُ: نَعَمْ، فَيُقَالُ لأُمَّتِه: هَلْ بَلَّغَكُمْ؟ فَيَقُولُونَ: مَا أَتَانَا مِنْ نَذِير، فَيَقُولُ: مَنْ يَشْهَدُ لَكَ؟ فَيَقُولُ: مُحَمَّدٌ وَأُمَّتُهُ، فَتَشْهَدُونَ أَنَّهُ قَدْ بَلَّغَ، وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا، فَذَلِكَ قَوْلُهُ جَلَّ ذِكْرُهُ ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾[1].

وفي لفظ آخر عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ: «يجيء النبي يوم القيامة معه الرجل، ويجيء النبي ومعه الرجلان ويجيء النبي معه أكثر من ذلك، فيقال له: هل بلغت قومك؟ فيقول نعم، فيدعون، فيقال: هل بلغكم؟ فيقولون: لا، فيقال: من يشهد لك؟ فيقول: أمة محمد، فتدعى أمة محمد فيقال: هل بلغ هذا؟ فيقولون: نعم، فيقال: وما علمكم بذلك، فيقولون: أخبرنا نبينا أن الرسل قد بلغوا فصدقناه، فذلك قوله ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴾ قال: «عدلًا لتكونوا شهداء على الناس»[2].

---

(١) رواه البخاري، كتاب التفسير، باب ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴾ [البقرة: ١٤٣]، رقم (٤٤٨٧)، ص: (٩٢٥).

(٢) رواه النسائي في السنن الكبرى، كتاب التفسير، قوله تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴾ [البقرة: ١٤٣]رقم (١١٠٠٧) (٦/ ٢٩٢)، ورواه ابن ماجه في سننه،........=

وأخرج الحافظ أبو بكر بن مردويه[1] وابن جرير وابن أبي حاتم عن جابر ابن عبدالله رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**أنا وأمتي يوم القيامة على كوم مشرفين على الخلائق، ما من الناس أحد إلا ود أنه منا، وما من نبي كذبه قومه إلا نحن نشهد أنه بلغ رسالة ربه**»[2].

وقال السدي: إن النبيين يأتون يوم القيامة، منهم من أسلم معه من قومه الواحد والاثنان والعشرة، وأقل وأكثر من ذلك، حتى يؤتى بقوم لوط ﷺ لم يؤمن معه إلا ابنتاه، فيقال لهم: هل بلغتم ما أرسلتم به؟ فيقولون: نعم، فيقال: من يشهد؟ فيقولون: أمة محمد ﷺ، فيقال لهم: أتشهدون أن الرسل أودعوا عندكم شهادة، فبم يشهدون؟ فيقولون: ربنا نشهد أنهم قد بلغوا كما شهدوا في الدنيا بالتبليغ فيقال: من يشهد على ذلك؟ فيقولون: محمد ﷺ، فيدعى محمد ﷺ، فيشهد أن أمته قد صدقوا وأن الرسل قد بلغوا[3].

= كتاب الزهد، باب (صفة أمة محمد ﷺ)، رقم (٤٢٨٤)، (٢/ ١٤٣٢)، قال الألباني: في (صحيح وضعيف سنن ابن ماجه): صحيح، ص: (٧١٠)، ورواه أحمد في مسنده رقم (١١٥٥٨)، (١٨/ ١١٢-١١٣) قال الأرنؤوط: إسناد صحيح على شرط الشيخين.

(١) هو الحافظ الثبت العلامة أبو بكر أحمد بن موسى بن مردويه، الأصبهاني صاحب التفسير والتاريخ وغيرهما، ولد سنة ثلاث وعشرين وثلاثمائة، روى عن أبي سهل ابن زياد القطان وميمون بن إسحاق وغيرهما، وروى عنه أبو القاسم عبدالرحمن بن منده وخلق كثير، وعمل المستخرج على صحيح البخاري، وكان قيماً بمعرفة هذا الشأن بصيرًا بالرجال طويل الباع مليح التصانيف، مات لست بقين من رمضان سنة عشر وأربعمائة.

البداية والنهاية: (١٢/ ١٠)، الوافي بالوفيات: (٨/ ١٣١)، تذكرة الحفاظ: (٣/ ١٦٩)، العبر: (٢/ ٢١٧)، شذرات الذهب: (٣/ ١٩٠).

(٢) ذكره ابن كثير في تفسيره: (١/ ١٧٩)، وابن حجر في الفتح: (٨/ ٢٢)، والهندي في (كنز العمال)، رقم (٣٤٥٤٦)، (١٢/ ٨٠-٨١).

(٣) تفسير الطبري: (٥/ ١٢٤-١٢٥).

فانظر إلى حالهم وافتضاح كذبهم وألمهم النفسي من سماع تلك الشهادات من هذه الأمة الكريمة أمة محمد ﷺ أمام رب العالمين.

* * *

المطلب الثالث

شهادة الملائكة عليهم

ومن شهود ذلك اليوم شهادة الملائكة الذين يشهدون بالبلاغ وعلى الكفار بالتكذيب، فتتابع عليهم الشهادات ويزاد عذابهم النفسي في عدم استطاعتهم تكذيب ذلك.

قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ۚ أُولَٰٓئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَىٰ رَبِّهِمْ وَيَقُولُ ٱلْأَشْهَٰدُ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ كَذَبُوا۟ عَلَىٰ رَبِّهِمْ ۚ أَلَا لَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾[هود: ١٨].

وقال تعالى: ﴿وَجَآءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّعَهَا سَآئِقٌ وَشَهِيدٌ ﴿٢١﴾ لَّقَدْ كُنتَ فِى غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَآءَكَ فَبَصَرُكَ ٱلْيَوْمَ حَدِيدٌ﴾[ق: ٢١-٢٢].

قال ابن كثير د في تفسيره: أي ملك يسوقه إلى المحشر وملك يشهد عليه بأعماله، هذا هو الظاهر من الآية الكريمة، وهو اختيار ابن جرير[(١)].

وعن جابر بن عبدالله رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إن ابن آدم لفي غفلة عما خلق له، إن الله إذا أراد خلقه قال للملك: اكتب رزقه، اكتب أثره، اكتب أجله، اكتب شقيًا أم سعيدًا، ثم يرتفع ذلك الملك ويبعث الله ملكا فيحفظه حتى يدرك ثم يرتفع ذلك الملك، ثم يوكل الله به ملكين يكتبان حسناته وسيئاته، فإذا حضره الموت ارتفع ذلك الملكان، وجاء ملك الموت ليقبض روحه، فإذا أدخل قبره رد الروح في جسده وجاءه ملكا القبر فامتحناه، ثم يرتفعان، فإذا قامت الساعة انحط عليه ملك الحسنات وملك السيئات فبسطا كتابًا معقودًا في عنقه، ثم حضرا معه واحد سائق وآخر شهيد، ثم قال الله تعالى: ﴿لَّقَدْ**

(١) تفسير ابن كثير: (٤/ ١٩١).

كُنتَ فِي غَفۡلَةٖ مِّنۡ هَٰذَا فَكَشَفۡنَا عَنكَ غِطَآءَكَ فَبَصَرُكَ ٱلۡيَوۡمَ حَدِيدٞ﴾ قال رسول الله ﷺ وقول الله ﷻ ﴿لَتَرۡكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٖ﴾ ثم قال رسول الله ﷺ: «إن قدامكم أمرًا عظيمًا فاستعينوا بالله العظيم»[1].

* * *

(١) رواه ابن أبي حاتم في تفسيره: (١٠/ ٣٤١٢)، ورواه أبو نعيم في حلية الأولياء: (٣/ ١٩٠)، وقال أبو نعيم: هذا حديث غريب من حديث أبي جعفر، وحديث جابر تفرد به عنه جابر ابن يزيد الجعفي وعنه المفضل، وذكره ابن حجر الهيثمي في الفتاوى الحديثية: ص(٢٤)، والسيوطي في الدر المنثور: (٧/ ٦٠٠).

وقال ابن كثير: حديث منكر ولكن معناه صحيح. تفسير ابن كثير: (٤ / ٤١٩).

المطلب الرابع

شهادة جوارحهم عليهم

مر معنا الأشهاد الذين يشهدون على الكافر والمنافق بكفرهم وتكذيبهم بهذا اليوم، ولكن الكافر والمنافق يظل في عناده ومكابرته فيرفض شهادة هؤلاء الأشهاد عليه، ولا يقبل شهادة عليه إلا من نفسه ظنًا منه أن أعضاءه وجوارحه التي سخرها بمعصية الله والتكبر عن عبادته وتنعيمها في ملذات الحياة الدنيا أنها ستقف معه وتشهد له لكي تنجو هي وإياه من عذاب الله، ولكنها تنطق بأمر الله بما كان منه، فتشهد عليه العينان، والأذنان، والرجلان، واليدان، واللسان، والجلد قال الحق ﷻ: ﴿يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾[النور: ٢٤].

وقال تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا مَا جَآءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَـٰرُهُمْ وَجُلُودُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾[فصلت: ٢٠].

وقال تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰٓ أَفْوَٰهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَآ أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ﴾[يس: ٦٥].

فيقول لها موبخًا ومعنفًا: عنكن كنت أناضل، فانظر إلى عذابه النفسي والموقف الذي هو فيه عندما يشهد عليه أقرب قريب منه بل جوارح من جوارحه التي أراد النجاة لها فتكون سببًا في هلاكه والعياذ بالله.

قال ابن عاشور: وشهادة الأعضاء على صاحبها من أحوال حساب الكفار[1].

---

(١) التحرير والتنوير: (١٨/ ١٩٠).

وللجمع بين قوله: ﴿يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ﴾ وقوله ﴿ٱلْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰٓ أَفْوَٰهِهِمْ﴾ فالآية الأولى قبل أن يختم على أفواههم[١].

وقال السعدي: فكل جارحة تشهد عليهم بما عملته ينطقها الله الذي أنطق كل شيء فلا يمكنه الإنكار، ولقد عدل في العباد من جعل شهودهم من أنفسهم[٢].

وعن أنس بن مالك ﷺ قال: كنا عند رسول الله فضحك فقال: «هَلْ تَدْرُونَ مِمَّ أَضْحَكُ؟ قَال: قُلْنَا اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: مِنْ مُخَاطَبَةِ الْعَبْدِ رَبَّهُ، يَقُولُ: يَا رَبِّ أَلَمْ تُجِرْنِي مِنَ الظُّلْمِ؟ قَالَ: يَقُولُ بَلَى، قَالَ: فَيَقُولُ: فَإِنِّي لاَ أُجِيزُ عَلَى نَفْسِي إلاَّ شَاهِدًا مِنِّي، قَالَ فَيَقُولُ: كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ شَهِيدًا وَبِالْكِرَامِ الْكَاتِبِينَ شُهُودًا، قَالَ: فَيُخْتَمُ عَلَى فِيهِ فَيُقَالُ لأَرْكَانِهِ: انْطِقِي، قَالَ: فَتَنْطِقُ بِأَعْمَالِهِ، قَالَ: ثُمَّ يُخَلَّى بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْكَلاَمِ، قَالَ: فَيَقُولُ: بُعْدًا لَكُنَّ وَسُحْقًا، فَعَنْكُنَّ كُنْتُ أُنَاضِلُ»[٣].

وعن سعيد بن جبير[٤] قال: جاء رجل إلى ابن عباس، فقال: أشياء تختلف

---

(١) معالم التنزيل: (٦/ ٢٨).

(٢) تيسير الكريم الرحمن، ص: (٥١٣).

(٣) رواه مسلم، كتاب الزهد والرقائق، باب (قال كنا عند رسول الله فضحك)، رقم (٢٩٦٩) (٤/ ١٨٠٣).

(٤) هو سعيد بن جبير بن هشام، الأسدي الوالبي مولاهم، أبو محمد، وقيل: أبو عبدالله الكوفي، كان ابن عباس إذا أتاه أهل الكوفة يستفتونه يقول: أليس فيكم ابن أم الدهماء يعني سعيد بن جبير، وقال عمرو بن ميمون عن أبيه: لقد مات سعيد بن جبير وما على ظهر الأرض أحد إلا وهو محتاج إلى علمه، كان فقيهًا عابدًا فاضلًا ورعًا، قتله الحجاج بن يوسف في شعبان سنة خمس وتسعين وهو ابن تسع وأربعين سنة.

الثقات: (٤/ ٢٧٥)، تهذيب الكمال (٣/ ١٤١)، الكاشف: (٢٨٢)، تهذيب التهذيب: (٢/ ٩)، تقريب التهذيب، ص: (١٧٤).

علي في القرآن؟ فقال: ما هو؟ أشكٌ في القرآن؟ قال: ليس بالشك ولكنه اختلاف، قال: فهات ما اختلف عليك، قال: أسمع الله يقول: ﴿ثُمَّ لَمْ تَكُن فِتْنَتُهُمْ إِلَّآ أَن قَالُواْ وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾ [الأنعام: ٢٣] وقال: ﴿وَلَا يَكْتُمُونَ ٱللَّهَ حَدِيثًا﴾ وقد كتموا، فقال ابن عباس: أما قوله ﴿ثُمَّ لَمْ تَكُن فِتْنَتُهُمْ إِلَّآ أَن قَالُواْ وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾ فإنهم لما رأوا يوم القيامة أن الله يغفر لأهل الإسلام ويغفر الذنوب ولا يغفر شركًا ولا يتعاظمه ذنب أن يغفره جحد المشركون، فقالوا: والله ربنا ما كنا مشركين، رجاء أن يغفر لهم، فختم على أفواههم وتكلمت أيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون فعند ذلك ﴿يَوْمَئِذٍ يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَعَصَوُاْ ٱلرَّسُولَ لَوْ تُسَوَّىٰ بِهِمُ ٱلْأَرْضُ وَلَا يَكْتُمُونَ ٱللَّهَ حَدِيثًا﴾ [النساء: ٤٢][1].

وقال أبو بردة[2] قال أبو موسى: يدعى المؤمن للحساب يوم القيامة، فيعرض عليه ربه عمله فيما بينه وبينه، فيعترف فيقول: نعم أي رب عملت عملت، قال: فيغفر الله له ذنوبه، ويستره منها، فما على الأرض من خليقة ترى من تلك الذنوب شيئًا، وتبدو حسناته، فود أن الناس كلهم يرونها، ويدعى الكافر والمنافق للحساب فيعرض عليه ربه عمله فجحده، ويقول: أي رب، وعزتك لقد كتب على هذا الملك ما لم أعمل، فيقول له الملك: أما عملت كذا في يوم كذا في مكان كذا؟ فيقول: لا وعزتك أي رب ما عملته، فإذا فعل ذلك

---

(١) انظر: تفسير الطبري: (٥/ ١٢٧)، معالم التنزيل: (٢/ ٢١٨)، تفسير ابن كثير: (١/ ٤٣٩)، الدر المنثور: (٢/ ٥٤٢).

(٢) هو عامر بن أبي موسى عبدالله بن قيس، أبو بردة الأشعري، قاضي الكوفة، أخرج له البخاري في الإيمان، وقيل: اسمه الحارث، وقيل: اسمه كنيته، تابعي فقيه من أهل الكوفة، ولي القضاء بها فعزله الحجاج، وولى مكانه أخاه أبا بكر، قال محمد بن سعد: كان ثقة كثير الحديث، وقال العجلي: كوفي تابعي ثقة، مات سنة أربع ومائة.

الجرح والتعديل: (٦/ ٣٢٥)، الثقات: (٥/ ١٨٧)، مرآة الجنان: (١/ ١٧٤)، العبر: (١/ ٩٧)، شذرات الذهب: (١/ ١٢٦).

ختم على فيه، قال الأشعري: فإني أحسب أول ما ينطق منه لفخذه اليمنى، ثم تلا: ﴿ٱلْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰٓ أَفْوَٰهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَآ أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ﴾[١].

وعن الشعبي قال: يقال للرجل يوم القيامة: عملت كذا وكذا، فيقول: ما عملت فيختم على فيه، وتنطق جوارحه، فيقول لجوارحه: أبعدكن الله ما خصمت إلا فيكن[٢].

وعن قتادة قوله: ﴿ٱلْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰٓ أَفْوَٰهِهِمْ﴾ قال: قد كانت خصومات وكلام، فكان هذا آخره، وختم على أفواههم[٣].

وقال قتادة: والله إن عليك يا ابن آدم لشهودًا من ربك فراقبهم وآثر الله من سرائرك وعلانيتك، فإنه لا يخفى عليه خافية والظلمة عنده ضوء، والسر عنده علانية[٤].

وعن أبي هريرة ﷺ قال: قَالُوا يَا رَسُولَ الله: هَلْ نَرَى رَبَّنَا يَوْمَ الْقِيَامَة قَالَ: «هَلْ تُضَارُّونَ فِى رُؤْيَةِ الشَّمْسِ فِى الظَّهِيرَةِ لَيْسَتْ فِى سَحَابَةٍ»، قَالُوا: لاَ، قَالَ: «فَهَلْ تُضَارُّونَ فِى رُؤْيَةِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ لَيْسَ فِى سَحَابَةٍ»، قَالُوا: لاَ، قَالَ: «فَوَالَّذِى نَفْسِى بِيَدِهِ لاَ تُضَارُّونَ فِى رُؤْيَةِ رَبِّكُمْ إِلاَّ كَمَا تُضَارُّونَ فِى رُؤْيَةِ أَحَدِهِمَا

---

(١) تفسير ابن أبي حاتم: (١٠/ ٣١٩٨-٣١٩٩)، تفسير الطبري: (٢٣/ ٣٢)، الدر المنثور: (٧/ ٦٨).

(٢) معرفة علوم الحديث، الحاكم، ص: (١٩٧). قال الحاكم: قد أعضله الأعمش وهو عند الشعبي متصل مسند مخرج في الصحيح لمسلم بن الحجاج.

(٣) تفسير الثعلبي: (٨/ ١٣٤)، تفسير الطبري: (٢٣/ ٣٣)، تفسير ابن أبي حاتم: (١٠/ ٣١٩٩).

(٤) العظمة، لأبي الشيخ، ص: (٧٤).

- قَالَ - فَيَلْقَى الْعَبْدَ فَيَقُولُ: أَىْ فُلْ أَلَمْ أُكْرِمْكَ وَأُسَوِّدْكَ وَأُزَوِّجْكَ، وَأُسَخِّرْ لَكَ الْخَيْلَ وَالإِبلَ، وَأَذَرْكَ تَرْأَسُ وَتَرْبَعُ؟ فَيَقُولُ: بَلَى، قَالَ: فَيَقُولُ: أَفَظَنَنْتَ أَنَّكَ مُلاَقِيَّ؟ فَيَقُولُ: لاَ، فَيَقُولُ: فَإِنِّى أَنْسَاكَ كَمَا نَسِيتَنِى، ثُمَّ يَلْقَى الثَّانِىَ فَيَقُولُ: أَىْ فُلْ أَلَمْ أُكْرِمْكَ وَأُسَوِّدْكَ وَأُزَوِّجْكَ، وَأُسَخِّرْ لَكَ الْخَيْلَ وَالإِبِلَ، وَأَذَرْكَ تَرْأَسُ وَتَرْبَعُ؟ فَيَقُولُ: بَلَى أَىْ رَبِّ، فَيَقُولُ: أَفَظَنَنْتَ أَنَّكَ مُلاَقِيَّ؟ فَيَقُولُ: لاَ، فَيَقُولُ: فَإِنِّى أَنْسَاكَ كَمَا نَسِيتَنِى، ثُمَّ يَلْقَى الثَّالِثَ فَيَقُولُ لَهُ مِثْلَ ذَلِكَ، فَيَقُولُ: يَا رَبِّ آمَنْتُ بِكَ وَبِكِتَابِكَ وَبِرُسُلِكَ وَصَلَّيْتُ وَصُمْتُ وَتَصَدَّقْتُ، وَيُثْنِى بِخَيْرٍ مَا اسْتَطَاعَ، فَيَقُولُ: هَا هُنَا إِذًا - قَالَ - ثُمَّ يُقَالُ لَهُ: الآنَ نَبْعَثُ شَاهِدَنَا عَلَيْكَ، وَيَتَفَكَّرُ فِى نَفْسِهِ مَنْ ذَا الَّذِى يَشْهَدُ عَلَيَّ، فَيُخْتَمُ عَلَى فِيهِ وَيُقَالُ لِفَخِذِهِ وَلَحْمِهِ وَعِظَامِهِ: انْطِقِى فَتَنْطِقُ فَخِذُهُ وَلَحْمُهُ وَعِظَامُهُ بِعَمَلِهِ وَذَلِكَ لِيُعْذِرَ مِنْ نَفْسِهِ، وَذَلِكَ الْمُنَافِقُ وَذَلِكَ الَّذِى يَسْخَطُ اللهُ عَلَيْهِ»(١).

كما أن هناك شهادة يشهد بها الكافر ألا وهي شهادته على نفسه بالكفر، وما ذاك إلا أنه علم أنه من الهالكين وبشهادته تلك والتي فيها ما فيها من التألم والتحسر والتندم والعذاب النفسي في عدم إيمانه في دار الدنيا تنقطع حجته وتثبت شقاوته فيحق عليه العذاب الأليم.

قال تعالى: ﴿يَٰمَعۡشَرَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ أَلَمۡ يَأۡتِكُمۡ رُسُلٞ مِّنكُمۡ يَقُصُّونَ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِي وَيُنذِرُونَكُمۡ لِقَآءَ يَوۡمِكُمۡ هَٰذَاۚ قَالُواْ شَهِدۡنَا عَلَىٰٓ أَنفُسِنَاۖ وَغَرَّتۡهُمُ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا وَشَهِدُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ أَنَّهُمۡ كَانُواْ كَٰفِرِينَ﴾[الأنعام: ١٣٠].

قال الشوكاني في قوله: ﴿شَهِدۡنَا عَلَىٰٓ أَنفُسِنَاۖ﴾ هذا إقرار منهم بأن

---

(١) رواه مسلم، كتاب الزهد والرقائق، باب (قال: قالوا يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة)، رقم (٢٩٦٨)، (٤/ ١٨٠٣).

حجة الله لازمة لهم بإرسال رسله إليهم... ﴿وَشَهِدُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُواْ كَٰفِرِينَ﴾ هذه شهادة أخرى منهم على أنفسهم بأنهم كانوا كافرين في الدنيا بالرسل المرسلين إليهم والآيات التي جاءوا بها، وقد تقدم ما يفيد أن مثل هذه الآية المصرحة بإقرارهم بالكفر على أنفسهم، ومثل قولهم: ﴿وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾ محمول على أنهم يقرون في بعض مواطن يوم القيامة، وينكرون في بعض آخر لطول ذلك اليوم، واضطراب القلوب فيه وطيشان العقول، وانغلاق الأفهام وتبلد الأذهان[1].

قال مقاتل: قوله: ﴿شَهِدْنَا عَلَىٰٓ أَنفُسِنَا﴾ وذلك حين شهدت عليهم جوارحهم بالشرك والكفر[2].

قال السفاريني مصورًا شهادة الأعضاء على الإنسان: فصور نفسك أيها المغرور في ذلك المقام، وتأمل في حالتك إذا اشتد الزحام، ونطق أعضاؤك بما لمت به في غابر الأيام، فيا لها من ساعة ما أفظعها، وهتيكة ما أشنعها، شهدت عليك أعضاؤك بما عملت من الجرائم، ونطقت بذلك أبعاضك بما فعلت من المظالم، وانتهكت من المحارم، فهذه لعمري الحسرة العظيمة والمصيبة الجسيمة[3].

* * *

(١) فتح القدير: (١/ ٥٧٠).بتصرف.

(٢) معالم التنزيل: (٣/ ١٩٠)، زاد المسير: (٣/ ١٢٦).

(٣) البحور الزاخرة: ١/ ٦٩٥.

المطلب الخامس

شهادة الأرض عليهم

ومن عذاب الكافرين والمنافقين النفسي يوم القيامة شهادة الأرض عليهم ذلك المخلوق الجماد الذي وطأته أقدامهم، والتي جعلها الله سكنًا لهم واستخلفهم فيها، ينطقها الله الذي أنطق كل شيء ويجعلها تشهد عليهم بما عملوه واقترفوه من كفر وضلال وشرك بالله على ظهرها، قال تعالى: ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ۝١ وَأَخْرَجَتِ ٱلْأَرْضُ أَثْقَالَهَا ۝٢ وَقَالَ ٱلْإِنسَٰنُ مَا لَهَا ۝٣ يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا﴾[الزلزلة: ١-٤].

قال المفسرون: تخبر الأرض بما عمل عليها من خير أو شر فتقول للمؤمن يوم القيامة جد علي وصام وصلى واجتهد وأطاع ربه، فيفرح المؤمن بذلك، وتقول للكافر: أشرك علي وزنى وسرق وشرب الخمر فيوبخ بالمشهد وتشهد عليه الجوارح والملائكة من علم الله سبحانه حتى يودُّ أنه سيق إلى النار مما يرى من الفضوح[١].

وعن أبي هريرة ﷺ قال: قَرَأَ رَسُولُ الله ﷺ ﴿يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا﴾ قَالَ «أَتَدْرُونَ مَا أَخْبَارُهَا؟» قَالُوا: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: «فَإِنَّ أَخْبَارَهَا أَنْ تَشْهَدَ عَلَى كُلِّ عَبْدٍ أَوْ أَمَةٍ بِمَا عَمِلَ عَلَى ظَهْرِهَا أَنْ تَقُولَ عَمِلَ كَذَا وَكَذَا يَوْمَ كَذَا وَكَذَا قَالَ فَهَذِهِ أَخْبَارُهَا»[٢].

---

(١) تفسير الثعلبي: (١٠/ ٢٦٤).

(٢) رواه الترمذي في سننه، كتاب تفسير القرآن، باب (ومن سورة إذا زلزلت الأرض)، رقم (٣٣٥٣)، (٥/ ٤١٦). قال أبو عيسى: هذا حديث حسن صحيح، وقال الألباني في (صحيح وضعيف سنن الترمذي): ضعيف، ص: (٧٦١)، ورواه النسائي في السنن الكبرى، رقم (١١٦٩٣) (٦/ ٥٢٠)، ورواه أحمد في مسنده، رقم (٨٨٦٧)، (١٤/ ٤٥٥-٤٥٦)،....=

ذكر عن عبدالله أنه كان يقرأ ذلك: «يومئذ تُنَبِّئُ أخبارها» وقيل معنى ذلك أن الأرض تحدث أخبارها من كان على ظهرها من أهل الطاعة والمعاصي، وما عملوا عليها من خير أو شر[١].

وعن مجاهد ﴿يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا﴾ تحدث بأخبار الناس بما عملوا عليها من خير أو شر[٢].

قال السعدي: ﴿يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ﴾ الأرض ﴿أَخْبَارَهَا﴾ أي: تشهد على العاملين بما عملوا على ظهرها، من خير وشر، فإن الأرض من جملة الشهود الذين يشهدون على العباد بأعمالهم[٣].

وقال الشنقيطي: التحديث هنا صريح في الحديث وهو على حقيقته؛ لأن في ذلك اليوم تتغير أوضاع كل شيء وتظهر حقائق كل شيء وكما أنطق الله الجلود ينطق الأرض فتحدث أخبارها[٤].

* * *

= قال الأرناؤوط: إسناد ضعيف، ورواه ابن حبان في صحيحه، رقم (٧٣٦٠)، ص: (١٩٦٩)، ورواه الحاكم في مستدركه، رقم (٣٩٦٥)، (٢/ ٢٨٥)، وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، وقال الذهبي في التلخيص: يحيى هذا منكر الحديث قاله البخاري، ورواه الهيثمي في (موارد الظمآن) رقم (٢٥٨٦)، ص: (٦٤١).

(١) تفسير الطبري: (٣٠/ ٣٣٧)، تفسير عبدالرزاق الصنعاني: (٣/ ٤٥٠).

(٢) تفسير مجاهد: (٢/ ٧٧٥).

(٣) تيسير الكريم الرحمن، ص: (٨٦١).

(٤) أضواء البيان: (٩/ ٥٧).

المطلب السادس

شهادة الصحف عليهم

وزيادة في الفضيحة والخزي والعذاب النفسي على الكافرين والمنافقين يوم القيامة أن تنطق الكتب وتبسط الصحف وتشهد عليهم بما عملته أيديهم.

قال تعالى: ﴿هَٰذَا كِتَٰبُنَا يَنطِقُ عَلَيْكُم بِٱلْحَقِّ ۚ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾[الجاثية:٢٩].

قال جمهور المفسرين: ﴿يَنطِقُ عَلَيْكُم﴾ يشهد عليكم بما عملتم بالحق من غير زيادة ولا نقصان[1].

وقال تعالى: ﴿ وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ ۖ وَنُخْرِجُ لَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ كِتَٰبًا يَلْقَىٰهُ مَنشُورًا ﴿١٣﴾ ٱقْرَأْ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا﴾[الإسراء: ١٣-١٤].

قال ابن عباس: ﴿وَنُخْرِجُ لَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ كِتَٰبًا يَلْقَىٰهُ مَنشُورًا﴾ قال: هو عمله الذي عمل أحصى عليه، فأخرج له يوم القيامة ما كتب عليه من العمل فقرأه منشورًا[2].

وعن معمر عن قتادة: ﴿أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ﴾ قال: عمله، ونخرج ذلك العمل كتابًا يلقاه منشورًا، قال معمر: وتلا الحسن: ﴿عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ قَعِيدٌ﴾ يا ابن آدم بسطت لك صحيفتك ووكل بك ملكان كريمان، أحدهما عن يمينك والآخر عن يسارك، فأما الذي عن يمينك فيحفظ حسناتك، وأما الذي

(١) انظر: تفسير النسفي: (٤/ ٣٨)، البحر المحيط: (٨/ ٥١)، مفاتيح الغيب: (٢٧/ ٢٣٤)، الكشاف: (٤/ ٢٩٦)، تفسير البيضاوي: (٤/ ١٣٢).

(٢) تفسير ابن أبي حاتم: (٧/ ٢٣٢١).

عن شمالك فيحفظ سيئاتك، فاعمل ما شئت، أقلل أو أكثر حتى إذا مت طويت صحيفتك فجعلت في عنقك معك في قبرك، حتى تخرج يوم القيامة كتابًا يلقاه منشورًا اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبًا قد عدل والله عليك من جعلك حسيب نفسك[١].

قال السدي: قال الكافر يخرج له يوم القيامة كتاب فيقول: رب إنك قضيت إنك لست بظلام للعبيد، فاجعلني أحاسب نفسي، فيقال له: ﴿ ٱقْرَأْ كِتَـٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴾[٢].

* * *

(١) انظر: تفسير الطبري: (١٥/ ٦٩)، مفاتيح الغيب: (٢/ ١٣٥)، تفسير ابن كثير: (٣/ ١٨)، الدر المنثور: (٥/ ٢٥١).

(٢) تفسير ابن أبي حاتم: (٧/ ٢٣٢١)، مفاتيح الغيب: (٢٠/ ١٣٥)، الدر المنثور: (٥/ ٢٥٠).

المبحث السادس

العذاب النفسي عند منعهم من بعض الأعمال

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: العذاب النفسي عند منعهم من الكلام:

سبق أن ذكرنا أن من عذابهم النفسي تكلمهم واعترافهم بكفرهم وتحسرهم عليه، وكذلك مجادلة بعضهم بعضًا، وهنا أيضًا عذاب نفسي في منعهم من الكلام، فتارة يؤذن لهم بالكلام في مواطن من مواطن القيامة ويكون ذلك الكلام فيه تألم نفسي لهم، وتارة يمنعون من الكلام إذا احتاجوا إليه زيادة في عذابهم النفسي فهم لا يستطيعون أن يعبروا عما يخالج أنفسهم من الأعذار والحسرة والندامة.

قال تعالى: ﴿وَوَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِم بِمَا ظَلَمُوا۟ فَهُمْ لَا يَنطِقُونَ﴾[النمل: ٨٥].

وقال تعالى: ﴿هَٰذَا يَوْمُ لَا يَنطِقُونَ﴾[المرسلات:٣٥].

قال الطبري: يقول تعالى ذكره لهؤلاء المكذبين بثواب الله وعقابه: ﴿هَٰذَا يَوْمُ لَا يَنطِقُونَ﴾ أهل التكذيب بثواب الله وعقابه ﴿وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ﴾ مما اجترموا في الدنيا من الذنوب، فإن قال قائل: وكيف قيل: ﴿هَٰذَا يَوْمُ لَا يَنطِقُونَ﴾ وقد علمت بخبر الله عنهم أنهم يقولون: ﴿رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْهَا﴾ وأنهم يقولون ﴿رَبَّنَآ أَمَتَّنَا ٱثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا ٱثْنَتَيْنِ﴾ في نظائر ذلك مما أخبر الله ورسوله عنهم أنهم يقولونه؟ قيل: إن ذلك في بعض الأحوال دون بعض[1].

وقال ابن كثير عن قوله: «﴿هَٰذَا يَوْمُ لَا يَنطِقُونَ﴾ أي: لا يقدرون على

---

(١) تفسير الطبري: (٢٩/ ٢٩٥).

الكلام ولا يؤذن لهم فيه ليعتذروا بل قامت عليهم الحجة ووقع القول عليهم بما ظلموا فهم لا ينطقون، وعرصات القيامة حالات، والرب تعالى يخبر عن هذه الحالة تارة وعن هذه الحالة تارة؛ ليدل على شدة الأهوال والزلازل يومئذ[١].

وسئل ابن عباس عن قوله ﴿هَٰذَا يَوْمُ لَا يَنطِقُونَ﴾ وقوله ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِندَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ﴾ فقال: في ذلك اليوم مواقف في بعضها يختصمون وفي بعضها لا ينطقون، أو لا ينطقون بما ينفعهم فجعل نطقهم كلا نطق[٢].

وقال أبو حيان: ﴿فَهُمْ لَا يَنطِقُونَ﴾ أي: بحجة ولا عذر لما شغلهم من عذاب الله، وقيل: يختم على أفواههم فلا ينطقون، وانتفاء نطقهم يكون في مواطن من مواطن القيامة أو من فريق من الناس، لأن القرآن يقتضي أنهم يتكلمون بحجج في غير هذا الموطن[٣].

وقال قتادة: كيف ينطقون ولا حجة لهم[٤].

وقال عكرمة: تكلموا واختصموا، ثم ختم على أفواههم، فتكلمت أيديهم، وأرجلهم فحينئذ لا ينطقون بحجة تنفعهم[٥].

وقال الشنقيطي: إن نطقهم المثبت لهم خاص بما لا فائدة لهم فيه، والنطق المنفي عنهم خاص بما لهم فيه فائدة[٦].

---

(١) تفسير ابن كثير: (٦/ ٣٣٦).

(٢) تفسير النسفي: (٤/ ٣٢٣).

(٣) البحر المحيط: (٧-٩٢-٩٣).

(٤) معالم التنزيل: (٦/ ١٨١).

(٥) زاد المسير: (٨/ ٤٥١).

(٦) أضواء البيان: (٦/ ١٤٤).

وأخرج ابن مردويه عن عبدالله بن الصامت[١] قال: قلت لعبدالله بن عمرو ابن العاص أرأيت قول الله: ﴿هَٰذَا يَوْمُ لَا يَنطِقُونَ ۝٣٥ وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ﴾ قال: إن يوم القيامة يوم له حالات وتارات في حال لا ينطقون، وفي حال ينطقون وفي حال يعتذرون، لا أحدثكم إلا ما حدثنا رسول الله ﷺ قال: «**إذا كان يوم القيامة ينزل الجبار في ظل من الغمام، وكل أمة جاثية في ثلاثة حجب، مسيرة كل حجاب خمسون ألف سنة، حجاب من نور، وحجب من ظلمة، وحجاب من ماء لا يرى لذلك، فيأمر بذلك الماء فيعود في تلك الظلمة، ولا تسمع نفس ذلك القول إلا ذهبت فعند ذلك لا ينطقون**»[٢].

وعن عكرمة قال: سأل نافع بن الأزرق[٣] ابن عباس عن قوله ﴿هَٰذَا يَوْمُ لَا يَنطِقُونَ﴾ و﴿فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا﴾[طه: ١٠٨] و﴿وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ﴾[الصافات: ٢٧] و﴿هَاؤُمُ اقْرَءُوا كِتَابِيَهْ﴾[الحاقة: ١٩] فما هذا؟ قال: ويحك هل سألت عن هذا أحدًا قبلي؟ قال: لا، قال: إنك لو كنت سألت هلكت، أليس

---

(١) هو عبدالله بن الصامت الغفاري البصري، قال النسائي: ثقة، وقال أبو حاتم: يكتب حديثه، وذكره ابن حبان في الثقات، وقال العجلي: بصري تابعي ثقة، وذكره البخاري في الأوسط في فصل من مات ما بين السبعين إلى الثمانين، ونقل الذهبي عن بعضهم قال: ليس بحجة، وقال ابن حجر: ثقة من الثالثة مات بعد السبعين.

الجرح والتعديل: (٥/ ٨٤)، تاريخ الثقات، ص: (٢٦٢)، الثقات: (٥/ ٣٠)، تهذيب التهذيب: (٢/ ٣٥٨)، تقريب التهذيب، ص: (٢٥٠).

(٢) الدر المنثور: (٨/ ١٨٦).

(٣) نافع بن الأزرق من رؤوس الخوارج، وإليه تنسب طائفة الأزارقة، وكان قد خرج في أواخر دولة يزيد بن معاوية، وكان يهرق الدماء بآراء الخوارج فاشتهرت شوكته، وكان يطلب العلم، وله أسئلة عن ابن عباس. قتل سنة خمس وستين.

المنتظم: (٦/ ٤٠)، ميزان الاعتدال: (٧/ ٦)، لسان الميزان: (٦/ ١٧٣)، المغني في الضعفاء: (٢/ ٣٤٦)، البداية والنهاية: (٨/ ٢٤٦).

قال الله تعالى: ﴿وَإِنَّ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾ [الحج: ٤٧]
قال: بلى، قال: وإن لكل مقدار من الأيام لونًا من الألوان[١].

* * *

(١) رواه الحاكم في مستدركه، رقم (٨٧١)، (٤/ ٦١٧). قال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، وفيه يحيى بن راشد المازني قال الذهبي في التلخيص: يحيى ضعفه النسائي.

المطلب الثاني

العذاب النفسي عند منعهم من الاعتذار

الاعتذار من الأساليب التي يستخدمها بنو البشر فيما بينهم وتؤدي في كثير من الأحيان إلى تخفيف العتاب والملومة التي تقع منهم تجاه بعضهم البعض، وأكثر الأحيان يقبل ذلك الاعتذار، وحتى لا يطمع الكافر والمنافق في ذلك الحق فتتطاول ألسنتهم في اللهث به يحرمهم الله منه زيادة في التنكيل بهم وزيادة في عذابهم النفسي؛ إذ بالاعتذار ترتاح النفوس من تحسسها وشعورها بالذنب والخطأ، وقد يكون في تذللها بالاعتذار شفقة عند المعتذر منه فيكون منه التسامح والصفح، ولكن هؤلاء الظالمون المتكبرون المعاندون في الدنيا نسوا ما كانوا يُنذرون ويُحذرون به في الدنيا قال تعالى: ﴿ وَيَوْمَ نَبْعَثُ مِن كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا ثُمَّ لَا يُؤْذَنُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ ﴾[النحل: ٨٤].

قال السعدي: ﴿ثُمَّ لَا يُؤْذَنُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا﴾ في الاعتذار؛ لأن اعتذارهم بعدما علموا يقينًا بطلان ما هم عليه اعتذار كاذب لا يفيدهم شيئًا(١).

وقال تعالى: ﴿فَيَوْمَئِذٍ لَّا يَنفَعُ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَعْذِرَتُهُمْ وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ﴾ [الروم: ٥٧].

قال الألوسي في تفسيره: ﴿فَيَوْمَئِذٍ﴾ أي: يوم إذ يقع ذلك من أقسام الكفار وقول أولي العلم ﴿لَّا يَنفَعُ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَعْذِرَتُهُمْ﴾ أي: عذرهم ﴿وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ﴾ الاستعتاب طلب العتبى وهو الاسم من الإعتاب بمعنى إزالة العتب كالعطاء والاستعطاء أي: لا يطلب منهم إزالة عتب الله تعالى، والمراد به غضبه سبحانه عليهم بالتوبة والطاعة فإنه قد حق عليهم العذاب، وإن شئت

---

(١) تيسير الكريم الرحمن، ص: (٣٩٨).

قلت: أي لا يقال لهم ارضوا ربكم بتوبة وطاعة كما يقال ذلك في الدنيا[١].

وقال ابن عطية[٢]: هذا إخبار عن هول يوم القيامة وشدة أحواله على الكفرة بأنهم لا ينفعهم لاعتذار ولا يعطون عتبى وهي الرضى[٣].

وقال تعالى: ﴿ يَوْمَ لَا يَنفَعُ ٱلظَّٰلِمِينَ مَعْذِرَتُهُمْ ۖ وَلَهُمُ ٱللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوٓءُ ٱلدَّارِ ﴾[غافر: ٥٢].

وقال تعالى: ﴿هَٰذَا يَوْمُ لَا يَنطِقُونَ ۝٣٥ وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ ﴾[المرسلات: ٣٥-٣٦].

قال الرازي في تفسيره عن هذه الآية: اعلم أن هذا هو النوع السادس: من أنواع تخويف الكفار وتشديد الأمر عليهم، وذلك لأنه تعالى بين أنه ليس لهم عذر ولا حجة فيما أتوا به من القبائح، ولا قدرة لهم على دفع العذاب عن أنفسهم فيجتمع في حقه في هذا المقام أنواع من العذاب:

أحدها: عذاب الخجالة، فإنه يفتضح على رؤوس الأشهاد، ويظهر لكل قصوره وتقصيره وكل من له عقل سليم علم أن عذاب الخجالة أشد من القتل بالسيف والاحتراق بالنار.

وثانيها: وقوف العبد الآبق على باب المولى ووقوعه في يده مع علمه

---

(١) روح المعاني: (١١/ ٦٠).

(٢) هو عبدالحق بن غالب بن عبدالرحمن بن عطية المحاربي، من أهل غرناطة، يكنى أبا محمد، فقيه، مشهور، حافظ، محدث، أديب، نحوي، شاعر بليغ، كاتب، ألف في (التفسير) ولد سنة واحد وثمانين وأربعمائة، توفي سنة اثنين وأربعين وخمسمائة وقيل: سنة إحدى وأربعين وخمسمائة، وقيل غير ذلك، بمدينة الورقة.

الصلة، لابن بشكوال، ص: (٣١٠)، الإحاطة في أخبار غرناطة: (٣/ ٤١٢)، نفح الطيب: (٣/ ١٣٤)، الديباج المذهب، ص: (٢٧٥)، معجم المؤلفين: (٢/ ٥٩).

(٣) المحرر الوجيز، ابن عطية، (٤/ ٣٤٤).

بأنه الصادق الذي يستحيل الكذب عليه، على ما قال: ﴿مَا يُبَدَّلُ ٱلْقَوْلُ لَدَىَّ﴾ [المطففين: ١٠].

وثالثها: أنه يرى في ذلك الموقف خصماءه الذين كان يستخف بهم ويستحقرهم فائزين بالثواب والتعظيم ويرى نفسه فائزًا بالخزي والنكال، وهذه ثلاثة أنواع من العذاب الروحاني.

ورابعها: العذاب الجسماني وهو مشاهدة النار وأهوالها نعوذ بالله منها، فلما اجتمعت في حقه هذه الوجوه من العذاب بل هو مما لا يصف كنهه إلا الله لا جرم قال تعالى في حقهم: ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ﴾[المرسلات: ٣٤][(١)].

قال الألوسي: والظاهر أن نفي الاعتذار باعتبار بعض المواطن والمواقيت كنفي النطق وجواز أن يكون المنفي حقيقة الاعتذار النافع فلا منافاة بين ما هنا وقوله تعالى: ﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ ٱلظَّٰلِمِينَ مَعْذِرَتُهُمْ﴾[(٢)].

وقال الجنيد[(٣)] عن هذه الآية: أي لا عذر لمن أعرض عن منعمه وكفر بأياديه ونعمه[(٤)].

---

(١) مفاتيح الغيب: (٣٠/ ٢٤٦).

(٢) روح المعاني: (٢٩/ ١٩٦).

(٣) هو أبو القاسم الجنيد بن محمد بن الجنيد، النهاوندي ثم البغدادي القواريري، شيخ الصوفية، تفقه على أبي ثور، وسمع من السري والسقطي وصحبه، وصحب أيضًا الحارث المحاسبي، وأتقن العلم، ثم أقبل على شأنه وتأله وتعبد ونطق بالحكمة، قال ابن المناد: سمع الكثير وشاهد الصالحين وأهل المعرفة ورزق الذكاء وصواب الجواب لم ير في زمانه مثله في عفة وعزوف عن الدنيا، وكان يفتي في حلقة أبي ثور الكلبي مات سنة ثمان وتسعين ومائتين.

مرآة الجنان: (٢/ ١٧٢)، طبقات الأولياء ص: (١١٠)، آثار البلاد وأخبار العباد زكرياء القزويني، ص: (٣٢٤)، طبقات الشافعية: (١/ ٧٦)، العبر: (١/ ٤٣٥).

(٤) معالم التنزيل: (٨/ ٣٠٧).

المطلب الثالث

العذاب النفسي عند منعهم من السجود

السجود لله من أفضل القربات والعبادات التي خصها الله لنفسه فلا يشرع لأحد أن يسجد لأحد، فعن معاذ بن جبل: أَنَّهُ لَمَّا رَجَعَ مِنَ الْيَمَنِ، قَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، رَأَيْتُ رِجَالًا بِالْيَمَنِ يَسْجُدُ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ، أَفَلَا نَسْجُدُ لَكَ؟ قَالَ: «لَوْ كُنْتُ آمِرًا بَشَرًا يَسْجُدُ لِبَشَرٍ، لَأَمَرْتُ الْمَرْأَةَ أَنْ تَسْجُدَ لِزَوْجِهَا»(١).

وأخبر عن سجود مخلوقاته له قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَسْجُدُ لَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ وَٱلنُّجُومُ وَٱلْجِبَالُ وَٱلشَّجَرُ وَٱلدَّوَآبُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ ٱلنَّاسِ ۖ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ ٱلْعَذَابُ ۗ﴾[الحج: ١٨].

وقوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ مِن دَآبَّةٍ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾[النحل:٤٩].

وامتدح ملائكته بالسجود له فقال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَيُسَبِّحُونَهُۥ وَلَهُۥ يَسْجُدُونَ ۩﴾[الأعراف: ٢٠٦].

كما امتدح رسول الله ﷺ وصحابته بسجودهم له فقال: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ۖ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ۚ﴾[الفتح: ٢٩].

(١) رواه أحمد في مسنده، رقم (٢١٩٨٦)، (٣١/ ٣١١-٣١٢) قال الأرناؤوط: صحيح لغيره، ورواه الطبراني في المعجم الكبير، رقم (٥١١٦)، (٥/ ٢٠٨) ورقم (٥١١٧) (٥/ ٢٠٨-٢٠٩)، ورواه الهيثمي في مجمع الزوائد، (٤/ ٣١٠)، وقال: رواه البزار والطبراني في الكبير والأوسط، أحد إسنادي الطبراني رجاله رجال الصحيح، إلا صدقة بن عبدالله السمين، وثقة أبو حاتم وجماعة، وضعفه البخاري وجماعة، ورواه البزار في مسنده، رقم (٤٣١٨): (١٠/ ٢٢٦-٢٢٧).

كما امتدح ﷻ عباده المؤمنين بالسجود له فقال: ﴿ٱلتَّٰٓئِبُونَ ٱلۡعَٰبِدُونَ ٱلۡحَٰمِدُونَ ٱلسَّٰٓئِحُونَ ٱلرَّٰكِعُونَ ٱلسَّٰجِدُونَ ٱلۡأٓمِرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَٱلنَّاهُونَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡحَٰفِظُونَ لِحُدُودِ ٱللَّهِۗ وَبَشِّرِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ [التوبة: ١١٢].

قال المروزي[1] في «تعظيم قدر الصلاة»: إن المنافقين ميزوا يوم القيامة من المؤمنين بالسجود قال الله تعالى: ﴿يَوۡمَ يُكۡشَفُ عَن سَاقٖ وَيُدۡعَوۡنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ فَلَا يَسۡتَطِيعُونَ ۝٤٢ خَٰشِعَةً أَبۡصَٰرُهُمۡ تَرۡهَقُهُمۡ ذِلَّةٞۖ وَقَدۡ كَانُواْ يُدۡعَوۡنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ وَهُمۡ سَٰلِمُونَ﴾ وذلك أن المؤمنين لما نظروا إلى ربهم خروا له سجدًا، ودعي المنافقون إلى السجود، فأرادوه، فلم يستطيعوا حيل بينهم وبين ذلك عقوبة لتركهم السجود لله في الدنيا، قال الله: ﴿وَقَدۡ كَانُواْ يُدۡعَوۡنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ﴾ يعني في الدنيا ﴿وَهُمۡ سَٰلِمُونَ﴾ مما حدث في ظهورهم مما حال بينهم وبين السجود[2].اهـ

وقال تعالى: ﴿يَوۡمَ يُكۡشَفُ عَن سَاقٖ وَيُدۡعَوۡنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ فَلَا يَسۡتَطِيعُونَ ۝٤٢ خَٰشِعَةً أَبۡصَٰرُهُمۡ تَرۡهَقُهُمۡ ذِلَّةٞۖ وَقَدۡ كَانُواْ يُدۡعَوۡنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ وَهُمۡ سَٰلِمُونَ﴾[القلم: ٤٢-٤٣].

---

(١) هو شيخ الإسلام الإمام أبو عبدالله محمد بن نصر المروزي الفقيه، كان من أعلم الناس باختلاف الصحابة ومن بعدهم في الأحكام، قال الحاكم: إمام أهل الحديث في عصره بلا مدافعة، وقال ابن حزم: أعلم الناس من كان أجمعهم للسنن وأضبطهم لها وأذكرهم لمعانيها وأدراهم بصحتها وبما أجمع عليه الناس مما اختلفوا فيه إلى أن قال: وما نعلم هذه الصفة بعد الصحابة أتم منها في محمد بن نصر، فلو قال قائل: ليس لرسول الله ﷺ ولا أصحابه سنة إلا وهو عند محمد بن نصر لما بعد عن الصدق، من مصنفاته (القسامة) و (الصلاة) مات سنة أربع وتسعين ومائتين بسمرقند.

طبقات الشافعية الكبرى: (٢/ ٢٤٦)، الوافي بالوفيات: (٥/ ٧٥)، المنتظم: (١٣/ ٥٤)، سير أعلام النبلاء: (١٤/ ٣٣)، طبقات الحفاظ: (٢/ ١٦٥).

(٢) تعظيم قدر الصلاة محمد بن نصر المروزي ص: (١٥٨).

قال ابن تيمية: إن جميع ما في القرآن من آيات الصفات فليس عن الصحابة اختلاف في تأويلها، وقد طالعت التفاسير المنقولة عن الصحابة، وما رووه من الحديث، ووقفت من ذلك على ما شاء الله تعالى من الكتب الكبار والصغار أكثر من مائة تفسير، فلم أجد إلى ساعتي هذه عن أحد من الصحابة أنه تأول شيئًا من آيات الصفات أو أحاديث الصفات بخلاف مقتضاها المفهوم المعروف، بل عنهم تقرير ذلك وتثبيته، وبيان أن ذلك من صفات الله ما يخالف كلام المتأولين ما لا يحصيه إلا الله، وكذلك فيما يذكرونه أثرين وذاكرين عنهم شيء كثير، وتمام هذا أني لم أجدهم تنازعوا إلا في مثل قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ ﴾ فروي عن ابن عباس وطائفة أن المراد به الشدة إن الله يكشف عن شدة الآخرة، وعن أبي سعيد وطائفة أنهم عدوها في الصفات للحديث الذي رواه أبو سعيد في الصحيحين.

ولا ريب أن ظاهر القرآن لا يدل على أن هذه من الصفات فإنه قال: ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ ﴾ نكرة في الإثبات لم يضفها إلى الله، ولم يقل: عن ساقه، فمع عدم التعريف بالإضافة لا يظهر أنه من الصفات إلا بدليل آخر، ومثل هذا ليس بتأويل وصرف الآية عن مدلولها ومفهومها ومعناها المعروف[1].

والحديث الذي أشار إليه ابن تيمية والذي يدل على أن الساق من الصفات هو ما خرجه البخاري عن أبي سعيد الخدري ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «يَكْشفُ رَبُّنَا عَنْ سَاقه فَيَسْجُدُ لَهُ كُلُّ مُؤْمِن وَمُؤْمِنَة وَيَبْقَى مَنْ كَانَ يَسْجُدُ فِي الدُّنْيَا رِئَاءً وَسُمْعَةً فَيَذْهَبُ لِيَسْجُدَ فَيَعُودُ ظَهْرُهُ طَبَقًا وَاحِدًا»[2].

---

(١) مجموع الفتاوى: (٦/ ٣٧٤).

(٢) رواه البخاري، كتاب التفسير، باب (يوم يكشف عن ساق)، رقم (٤٩١٩)، ص: (١٠٦).

وروى مسلم عن أبي سعيد الخدري ﷺ في صحيحه أطول من ذلك ذكرنا فيما سبق جزءً منه، والآن نذكره بطوله إلى موضع الشاهد: أن ناسًا في زمن رسول الله قالوا: يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة؟ قال رسول الله ﷺ «نعم»، قال: «هل تضارون في رؤية الشمس بالظهيرة صحوًا ليس معها سحاب؟ وهل تضارون في رؤية القمر ليلة البدر صحوًا ليس فيها سحاب» قالوا: لا يا رسول الله، قال: «ما تضارون في رؤية الله -تبارك وتعالى- يوم القيامة إلا كما تضارون في رؤية أحدهما: إذا كان يوم القيامة أذن مؤذن: ليتبع كل أمة ما كانت تعبد، فلا يبقى أحد كان يعبد غير الله سبحانه من الأصنام والأنصاب إلا يتساقطون في النار، حتى إذا لم يبق إلا من كان يعبد الله من بر وفاجر، وغبر أهل الكتاب، فيدعى اليهود، فيقال لهم: ما كنتم تعبدون؟ قالوا: كنا نعبد عزير ابن الله، فيقال: كذبتم ما اتخذ الله من صاحبة ولا ولد، فماذا تبغون؟ قالوا: عطشنا يا ربنا فاسقنا، فيشار إليهم ألا تردون؟ فيحشرون إلى النار كأنها سراب يحطم بعضها بعضًا، فيتساقطون في النار.

ثم يدعى النصارى فيقال لهم: ما كنتم تعبدون؟ قالوا: كنا نعبد المسيح ابن الله، فيقال لهم: كذبتم، ما اتخذ الله من صاحبة ولا ولد، فيقال لهم: ماذا تبغون؟ فيقولون: عطشنا يا ربنا فاسقنا، قال: فيشار إليهم: ألا تردون؟ فيحشرون إلى جهنم كأنها سراب يحطم بعضها بعضًا، فيتساقطون في النار، حتى إذا لم يبق إلا من كان يعبد الله تعالى من بر وفاجر، أتاهم رب العالمين ﷻ في أدنى صورة من التي رأوه فيها، قال: فما تنتظرون؟ تتبع كل أمة ما كانت تعبد، قالوا: يا ربنا فارقنا الناس في الدنيا أفقر ما كنا إليهم ولم نصاحبهم، فيقول: أنا ربكم، فيقولون: نعوذ بالله منك، لا نشرك بالله شيئًا (مرتين أو ثلاثًا) حتى إن بعضهم ليكاد أن ينقلب، فيقول: هل بينكم وبينه آية فتعرفونه بها؟ فيقولون: نعم، فيكشف عن ساق، فلا يبقى من كان يسجد لله من تلقاء نفسه إلا أذن الله له بالسجود، ولا يبقى من كان

يسجد اتقاء ورياء إلا جعل الله ظهره طبقة واحدة، كلما أراد أن يسجد خر على قفاه، ثم يرفعون رؤوسهم وقد تحول في صورته التي رأوه فيها أول مرة، فقال: أنا ربكم، فيقولون أنت ربنا...» الحديث[1].

قال الشوكاني: وقد أغنانا الله سبحانه في تفسير هذه الآية بما صح عن رسول الله، كما عرفت، وذلك لا يستلزم تجسيماً ولا تشبيهًا فليس كمثله شيء[2].

وقال السعدي: إذا كان يوم القيامة وانكشف فيه من القلاقل والزلازل والأهوال ما لا يدخل تحت الوهم، وأتى الباري لفصل القضاء بين عباده، ومجازاتهم فكشف عن ساقه الكريمة، التي لا يشبهها شيء، ورأى الخلائق من جلال الله وعظمته ما لا يمكن التعبير عنه، فحينئذ يدعون إلى السجود لله، فيسجد المؤمنون الذين كانوا يسجدون لله طوعًا واختيارًا، ويذهب الفجار المنافقون ليسجدوا فلا يقدرون على السجود، وتكون ظهورهم كصياصي البقر، لا يستطيعون الانحناء.

وهذا الجزاء من جنس عملهم، فإنهم كانوا يدعون في الدنيا إلى السجود لله وتوحيده وعبادته وهم سالمون، لا علة فيهم، فيستكبرون عن ذلك ويأبون، فلا تسأل يومئذ عن حالهم، وسوء مآلهم، فإن الله سخط عليهم، وحقت عليهم كلمة العذاب، وتقطعت أسبابهم، ولم تنفعهم الندامة والاعتذار يوم القيامة[3].

وقال ابن حجر: وأما التكليف المستفاد من الأمر بالسجود فالأمر فيه على سبيل التعجيز والتوبيخ لكونهم أمروا بالسجود في الدنيا وهم قادرون على ذلك فامتنعوا فأمروا به حيث لا قدرة لهم عليه تعجيزًا وتوبيخًا وتعذيبًا[4].

---

(١) سبق تخريجه ص١٧٥.

(٢) فتح القدير: (٢/ ٨٦٧).

(٣) تيسير الكريم الرحمن، ص: (٨١٥-٨١٦).

(٤) فتح الباري: (١٢/ ٤٤٧).

وقال العيني عن بعض أهل العلم عن سبب تكليف المنافقين بالسجود يوم القيامة قال: بأن هذا ليس فيه تكليف ما لا يطاق، وإنما هو خزي وتوبيخ إذا أدخلوا أنفسهم بزعمهم في جملة المؤمنين الساجدين في الدنيا، وعلم الله منهم الرياء في سجودهم، فدعوا في الآخرة إلى السجود كما دعي المؤمنون المحقون فيتعذر السجود عليهم، وتعود ظهورهم طبقًا واحدًا ويظهر الله تعالى نفاقهم فأخبرهم، وأوقع الحجة عليهم[1].

وقال ابن تيمية: فإن مثل هذا الخطاب إنما هو خطاب تعجيز على وجه العقوبة لهم لتركهم السجود وهم سالمون يعاقبون على ترك العبادة في حال قدرتهم بأن أمروا بها حال عجزهم على سبيل العقوبة لهم، وخطاب العقوبة والجزاء من جنس خطاب التكوين لا يشترط فيه قدرة المخاطب إذ ليس المطلوب فعله[2].

وقال أيضًا: وأما عرصات القيامة فيمتحنون فيها كما يمتحنون في البرزخ فيقال لأحدهم: من ربك؟ وما دينك؟ ومن نبيك؟ وقال تعالى: ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ سَاقٍ﴾[3].

وقال في موضع آخر: والتكليف إنما تقطع بدخول دار الجزاء وهي الجنة والنار، وأما عرصة القيامة فيمتحنون فيها كما يمتحنون في البرزخ فيقال لأحدهم: من ربك؟ وما دينك؟ ومن نبيك؟ وقال تعالى: ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ﴾[4].

* * *

(١) عمدة القاري: (٢٥/ ١٢٩).

(٢) مجموع الفتاوى: (٨/ ٢٧٢).

(٣) المرجع السابق: (٤/ ٣٠٢).

(٤) المرجع السابق: (٢٤/ ٣٦٢).

المبحث السابع

العذاب النفسي عند جدالهم

وفيه أربعة مطالب:

الجدال والتخاصم بين الأتباع ومتبوعيهم مما هو واقع يوم القيامة كما أخبر الله ﷻ عنه في كتابه العزيز، فقد كان هؤلاء الأتباع ومتبوعوهم في الدنيا صفًا واحدًا يجادلون ويخاصمون أهل الإيمان، وأما في يوم القيامة فيكون التجادل والتخاصم فيما بينهم ليكون ذلك وبالًا وتوبيخًا وتبكيتًا وخزيًا وحسرة وندامة وألمًا نفسيًّا لهم في ذلك اليوم، فهذا يتهم هذا ويجعله سببًا في ضلاله وشقائه وهذا يوبخ هذا، وهذا يلعن هذا، وغير ذلك، وقد ذكر الله لنا صورًا من جدالهم منها ما يكون في عرصات القيامة، ومنها ما يكون في النار كما سيأتي إن شاء الله، وكذلك ذكر لنا أنواع المتجادلين وسبب جدالهم، وإليك بيان ذلك في أربعة مطالب:

المطلب الأول

العذاب النفسي عند جدال الضعفاء والمستكبرين

قال تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ مَوْقُوفُونَ عِندَ رَبِّهِمْ يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ ٱلْقَوْلَ يَقُولُ ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ لَوْلَآ أَنتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ ﴿٣١﴾ قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ لِلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوٓا۟ أَنَحْنُ صَدَدْنَٰكُمْ عَنِ ٱلْهُدَىٰ بَعْدَ إِذْ جَآءَكُم بَلْ كُنتُم مُّجْرِمِينَ ﴿٣٢﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ بَلْ مَكْرُ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ إِذْ تَأْمُرُونَنَآ أَن نَّكْفُرَ بِٱللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُۥٓ أَندَادًا وَأَسَرُّوا۟ ٱلنَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ وَجَعَلْنَا ٱلْأَغْلَٰلَ فِىٓ أَعْنَاقِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾[سبأ: ٣١-٣٣].

يخبر الله ﷻ نبيه محمدًا ﷺ في هاتين الآيتين عن المجادلة التي تكون بين الأتباع والقادة في عرصات يوم القيامة فيقول: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ﴾ يا محمد ﴿إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ لأنفسهم بالكفر محبوسون للحساب عند ربهم يحاور بعضهم بعضًا ويرد بعضهم على بعض، فيقول الضعفاء وهم الأتباع من الفقراء للمستكبرين من القادة والرؤساء ﴿لَوْلَآ أَنتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ﴾ فيرد عليهم القادة والرؤساء ما صددناكم وما منعناكم عن الإيمان بل كنتم مجرمين فيرد عليهم الأتباع من المستضعفين قائلين: ﴿بَلْ مَكْرُ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ﴾ أي: مكركم بنا في الليل والنهار ﴿إِذْ تَأْمُرُونَنَآ أَن نَّكْفُرَ بِٱللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُۥٓ أَندَادًا﴾ ثم ينتهي الجدال والمحاورة بينهم وتظهر بعد ذلك ندامتهم وألمهم النفسي على عدم إيمانهم وخذلان القادة لهم والعياذ بالله.

ويصور لنا ﷻ موقفًا آخرًا للمجادلة والملاومة بين الأتباع والقادة في قوله تعالى: ﴿وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَآءَلُونَ ﴿٢٧﴾ قَالُوٓا۟ إِنَّكُمْ كُنتُمْ تَأْتُونَنَا عَنِ ٱلْيَمِينِ ﴿٢٨﴾ قَالُوا۟ بَل لَّمْ تَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ ﴿٢٩﴾ وَمَا كَانَ لَنَا عَلَيْكُم مِّن سُلْطَٰنٍۭ بَلْ كُنتُمْ قَوْمًا طَٰغِينَ ﴿٣٠﴾ فَحَقَّ

عَلَيْنَا قَوْلُ رَبِّنَآ إِنَّا لَذَآئِقُونَ ﴿٣١﴾ فَأَغْوَيْنَٰكُمْ إِنَّا كُنَّا غَٰوِينَ ﴿٣٢﴾ فَإِنَّهُمْ يَوْمَئِذٍ فِى ٱلْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ ﴾[الصافات ٢٧-٣٣].

أخبر ﷻ في هذه الآيات عن إقبال بعض الكفار على بعض يتساءلون، يسأل الأتباع القادة من الجن أو الإنس سؤال توبيخ وتقريع ومخاصمة يقول الأتباع ﴿إِنَّكُمْ كُنتُمْ تَأْتُونَنَا عَنِ ٱلْيَمِينِ ﴾ قال المفسرون: أي: من جهة الحق والدين والطاعة وتصدونا عنها[1]، **فيرد عليهم القادة والرؤساء من الجن أو الإنس من وجوه:**

الأول: أنهم قالوا لهم ﴿بَل لَّمْ تَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ ﴾ يعني أنكم ما كنتم موصوفين بالإيمان حتى يقال إنا أزلناكم عنه.

الثاني: قولهم: ﴿وَمَا كَانَ لَنَا عَلَيْكُم مِّن سُلْطَٰنٍ﴾ يعني لا قدرة لنا عليكم حتى نقهركم ونجبركم.

الثالث: ﴿بَلْ كُنتُمْ قَوْمًا طَٰغِينَ﴾ أي: ضالين غالين في معصية الله.

الرابع: قولهم: ﴿فَحَقَّ عَلَيْنَا قَوْلُ رَبِّنَآ إِنَّا لَذَآئِقُونَ ﴾ والمعنى أن الله تعالى لما أخبر عن وقوعنا في العذاب فلو لم يحصل وقوعنا في العذاب لما كان خبر الله حقًا، بل كان باطلًا، ولما كان خبر الله أمرًا واجبًا لا جرم، كان الوقوع في العذاب الأليم لازمًا[2].

فهم يقولون لهم حق علينا وعليكم العذاب زيادة في تأليمهم نفسيًا ونحن ضللناكم عن الهدى ودعوناكم إلى ما كان فيه الغي وزينا لكم الكفر حتى نكون نحن وأنتم في العذاب مشتركين.

---

(١) فتح القدير: (٢/ ٥٠٢).

(٢) مفاتيح الغيب: (٢٦/ ١١٧-١١٨).

المطلب الثاني

العذاب النفسي عند جدال المشركين وشركائهم

وفيه ثلاثة فروع:

الفرع الأول: تبرؤ الشركاء من شركائهم:

قال تعالى: ﴿إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتُّبِعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَرَأَوُا الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ ﴿١٦٦﴾ وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّءُوا مِنَّا كَذَٰلِكَ يُرِيهِمُ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا هُم بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ﴾[البقرة: ١٦٦-١٦٧].

تصوير فظيع ومهول لمشهد من مشاهد البراءات التي تكون يوم القيامة بين الأتباع والقادة، إنها براءة القادة ممن تبعهم على الشرك والضلال مع أنهم كانوا في الدنيا حريصين على عبادتهم واتباعهم، واليوم يتبرءون منهم حين يرون العذاب فهل بعد ذلك عذاب نفسي يلحق بهم أشد من ذلك؟ إنهم يتخلون ويتبرءون منهم في أشد المواقف، إنهم ما تبرءوا منهم في الدنيا حتى يعودوا إلى صوابهم ويكونوا من أتباع الحق، بل تبرءوا منهم عندما تقطعت بهم الحيل وأسباب الخلاص ولم يجدوا عن النار معدلًا ولا مصرفًا ثم بعد أن يرى هؤلاء الأتباع قادتهم ورؤساءهم يتبرءون منهم يتمنون أن يعودوا إلى الدنيا فيتبرءون منهم، ولكن هيهات، فليبقوا في عذابهم النفسي وحسرتهم حتى يذوقوا العذاب الحسي ﴿كَذَٰلِكَ يُرِيهِمُ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا هُم بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ﴾ [البقرة: ١٦٧].

وينقلنا القرآن الكريم إلى موقف آخر من مواقف براءة الشركاء من شركائهم في قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا رَءَا الَّذِينَ أَشْرَكُوا شُرَكَاءَهُمْ قَالُوا رَبَّنَا

هَٰٓؤُلَآءِ شُرَكَآؤُنَا ٱلَّذِينَ كُنَّا نَدْعُواْ مِن دُونِكَ فَأَلْقَوْاْ إِلَيْهِمُ ٱلْقَوْلَ إِنَّكُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴾[النحل: ٨٦].

قال ابن جرير الطبري: يقول تعالى ذكره: ﴿ وَإِذَا رَءَا ﴾ المشركون بالله يوم القيامة ما كانوا يعبدون من دون الله من الآلهة والأوثان وغير ذلك، ﴿قَالُواْ رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ شُرَكَآؤُنَا ﴾ في الكفر بك، والشركاء (الذين كنا ندعوهم) آلهة ﴿مِن دُونِكَ ﴾، قال الله تعالى ذكره: ﴿فَأَلْقَوْاْ ﴾ يعني: شركاءهم الذين كانوا يعبدون من دون الله ﴿ٱلْقَوْلَ ﴾ يقول: قالوا لهم: إنكم لكاذبون أيها المشركون ما كنا ندعوهم إلى عبادتنا[1].

ونختم هذا الفرع بهاتين الآيتين: قال تعالى: ﴿وَٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ ءَالِهَةً لِّيَكُونُواْ لَهُمْ عِزًّا ۝٨١ كَلَّاۚ سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا ﴾ [مريم: ٨١-٨٢].

وقوله تعالى: ﴿ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ وَهُمْ عَن دُعَآئِهِمْ غَٰفِلُونَ ۝٥ وَإِذَا حُشِرَ ٱلنَّاسُ كَانُواْ لَهُمْ أَعْدَآءً وَكَانُواْ بِعِبَادَتِهِمْ كَٰفِرِينَ ﴾[الأحقاف: ٥-٦].

ودلالة هاتين الآيتين على العذاب النفسي على الكافرين والمنافقين في براءة الشركاء من شركائهم واضحة كما سبق، والله تعالى أعلم.

* * *

(١) تفسير الطبري: (١٤/ ١٩٤).

الفرع الثاني

براءة عيسى ابن مريم عليه السلام ممن عبده

بعد سؤال الله للرسل يوم القيامة، وماذا أجابتهم أقوامهم، يسأل الله ﷻ المسيح عيسى ابن مريم عليه السلام سؤالًا خاصًّا من باب التكريم له، والتقريع والتوبيخ والتبكيت والعذاب النفسي لمن عبدوه من النصارى وكذبوا وافتروا عليه أنه هو الله، أو ابن الله، أو ثالث ثلاثة، فيسأله ﷻ وهو أعلم أنه لم يقع منه ما سأله عنه، وليكون فيه براءته مما نسبوه إليه قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ قَالَ سُبْحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِيٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ ۚ إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ عَلِمْتَهُۥ ۚ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ ۚ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿١١٦﴾ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَآ أَمَرْتَنِي بِهِۦٓ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ ۚ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ ۖ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ ۚ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿١١٧﴾ إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ ۖ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [المائدة: ١١٦-١١٨].

يوجه الله ﷻ في هذه الآيات الخطاب والسؤال إلى المسيح عيسى ابن مريم عليه السلام في يوم القيامة على الصحيح من أقوال المفسرين[(١)] فيقول ﴿ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ فيجيب المسيح عليه السلام فيقول ﴿سُبْحَٰنَكَ﴾ أي: أنزهك عما لا يليق بك ﴿مَا يَكُونُ لِيٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ﴾ أي: لا ينبغي ولا يليق بي أن أدعي الألوهية فهي ليست لي بحق وإنما هي لك بحق.

عن أبي هريرة قال: «يلقَّى عيسى حجته فلقاه الله في قوله: ﴿وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾.

---

(١) انظر: مفاتيح الغيب: (١٢، ١١١)، تفسير ابن كثير: (٢/ ١٠٩)، البحر المحيط: (٤/ ٦٣)، السراج المنير: (١/ ٤٧٠).

قال أبو هريرة عن النبي، فلقاه الله: ﴿سُبْحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِيٓ أَنۡ أَقُولَ مَا لَيۡسَ لِي بِحَقٍّ﴾[(١)].

ومعنى: (فلقاه الله) أي: علمه الله[(٢)].

ثم يتأدب في الجواب وينسب العلم إلي الله فيقول ﴿إِن كُنتُ قُلۡتُهُۥ فَقَدۡ عَلِمۡتَهُۥۚ تَعۡلَمُ مَا فِي نَفۡسِي وَلَآ أَعۡلَمُ مَا فِي نَفۡسِكَۚ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلۡغُيُوبِ﴾ ثم يقرر ما دعاهم له من عبادة الله وحده فيقول: ﴿مَا قُلۡتُ لَهُمۡ إِلَّا مَآ أَمَرۡتَنِي بِهِۦٓ أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمۡۚ﴾ ثم بعدما دعوتهم إلى ذلك كنت مطلعًا عليهم مشاهدًا لهم عندما كنت حيًا ﴿وَكُنتُ عَلَيۡهِمۡ شَهِيدٗا مَّا دُمۡتُ فِيهِمۡۖ﴾ ثم ياربي لما توفيتني كنت أنت المطلع العالم بهم ﴿فَلَمَّا تَوَفَّيۡتَنِي كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيۡهِمۡۚ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدٌ﴾ ثم يعلن براءته منهم بعد ذلك فيقول ﴿إِن تُعَذِّبۡهُمۡ فَإِنَّهُمۡ عِبَادُكَۖ وَإِن تَغۡفِرۡ لَهُمۡ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ﴾.

قال ابن كثير رحمه الله: قوله ﴿إِن تُعَذِّبۡهُمۡ فَإِنَّهُمۡ عِبَادُكَۖ وَإِن تَغۡفِرۡ لَهُمۡ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ﴾ هذا الكلام يتضمن رد المشيئة إلى الله تعالى فإنه الفعال لما يشاء الذي لا يُسأل عما يفعل وهم يسألون، ويتضمن التبري من النصارى الذين كذبوا على الله وعلى رسوله، وجعلوا لله ندًا وصاحبة وولدًا تعالى الله عما

---

(١) رواه الترمذي في سننه، كتاب تفسير القرآن، باب (من سورة المائدة) رقم (٣٠٦٢) (٥/ ٢٤٣)، وقال أبو عيسى: حسن صحيح، قال الألباني في (صحيح وضعيف الترمذي): صحيح الإسناد، رقم (٣٠٦٢)، ص: (٦٨٦)، وصححه في (صحيح الجامع)، رقم (٨١٥٩) (٢/ ١٣٥٦)، وأيضًا في (سلسلة الأحاديث الصحيحة)، رقم (٢٤٥٤) (٥/ ٥٨٢)، ورواه النسائي في السنن الكبرى، كتاب التفسير، باب قوله تعالى ﴿إِن تُعَذِّبۡهُمۡ فَإِنَّهُمۡ عِبَادُكَۖ﴾ [المائدة: ١١٨]، رقم (١١١٦٢) (٦/ ٣٤٠).

(٢) تحفة الأحوذي، المباركفوري: (٨/ ٣٦٩).

يقولون علوًّا كبيرًا[١].

وقال ابن القيم رحمه الله: ويُسأل المسيح على رؤوس الأشهاد وهم يسمعون ﴿يَٰعِيسَى ٱبۡنَ مَرۡيَمَ ءَأَنتَ قُلۡتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيۡنِ مِن دُونِ ٱللَّهِۖ﴾ فيقول المسيح مكذبًا لهم ومتبرئًا منهم ﴿وَإِذۡ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبۡنَ مَرۡيَمَ ءَأَنتَ قُلۡتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيۡنِ مِن دُونِ ٱللَّهِۖ قَالَ سُبۡحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِيٓ أَنۡ أَقُولَ مَا لَيۡسَ لِي بِحَقٍّۚ إِن كُنتُ قُلۡتُهُۥ فَقَدۡ عَلِمۡتَهُۥۚ تَعۡلَمُ مَا فِي نَفۡسِي وَلَآ أَعۡلَمُ مَا فِي نَفۡسِكَۚ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلۡغُيُوبِ ١١٦ مَا قُلۡتُ لَهُمۡ إِلَّا مَآ أَمَرۡتَنِي بِهِۦٓ أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمۡۚ وَكُنتُ عَلَيۡهِمۡ شَهِيدٗا مَّا دُمۡتُ فِيهِمۡۖ فَلَمَّا تَوَفَّيۡتَنِي كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيۡهِمۡۚ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدٌ﴾[٢].

* * *

(١) تفسير ابن كثير: (٢/ ١٠٩-١١٠).

(٢) هداية الحيارى، ابن القيم، ص: (١٧٨).

الفرع الثالث

براءة الملائكة ممن عبدهم

الملائكة عباد مكرمون خلقهم الله من نور وسخرهم لعبادته ﴿لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾[التحريم: ٦] هم أيضًا يتبرءون ممن عبدهم من دون الله يوم القيامة قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ أَهَٰٓؤُلَآءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ۝٤٠ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِم ۖ بَلْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ٱلْجِنَّ ۖ أَكْثَرُهُم بِهِم مُّؤْمِنُونَ﴾[سبأ: ٤٠-٤١].

قال النحاس[١]: فالمعنى أن الملائكة صلوات الله عليهم إذ كذبتهم كان في ذلك تبكيت لهم فهو استفهام توبيخ للعابدين[٢].

قال ابن كثير: يخبر تعالى أنه يقرع المشركين يوم القيامة على رؤوس الخلائق، فيسأل الملائكة الذين كان المشركون يزعمون أنهم يعبدون الأنداد التي هي على صورهم ليقربوهم إلى الله زلفى، فيقول للملائكة ﴿أَهَٰٓؤُلَآءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ﴾ أي: أنتم أمرتم هؤلاء بعبادتكم، كما قال تعالى في سورة الفرقان ﴿أَضْلَلْتُمْ عِبَادِى هَٰٓؤُلَآءِ أَمْ هُمْ ضَلُّوا۟ ٱلسَّبِيلَ﴾ وكما يقول لعيسى

---

(١) هو العلامة إمام العربية، أبو جعفر أحمد بن محمد بن إسماعيل المصري النحوي، صاحب التصانيف، ارتحل إلى بغداد وأخذ عن الزجاج، وكان يقارن في زمانه بابن الأنباري وبنفطويه للمصريين، وكان من أذكياء العالم، من مصنفاته (إعراب القرآن) و(اشتقاق الأسماء الحسنى) و(المعاني) يقال: إنه جلس على درج المقياس يقطع عروض شعر فسمعه جاهل فقال: هذا يسحر النيل حتى ينقص، فرفسه فألقاه في النيل فغرق في ذي الحجة سنة ثمان وثلاثين وثلاثمائة.

البداية والنهاية: (١١/ ٢٣٥)، سير أعلام النبلاء: (١٥/ ٤١)، العبر: (٢/ ٥٤)، المستفاد من ذيل تاريخ بغداد، ص: (١٧٥)، شذرات الذهب: (٢/ ٣٤٦).

(٢) تفسير القرطبي: (١٤/ ٣٠٩).

عليه السلام ﴿ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ قَالَ سُبْحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِيٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ﴾ وهكذا تقول الملائكة ﴿سُبْحَٰنَكَ﴾ أي: تعاليت وتقدست عن أن يكون معك إله ﴿أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِم﴾ أي: نحن عبيدك ونبرأ إليك من هؤلاء ﴿بَلْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ٱلْجِنَّ﴾ يعنون الشياطين؛ لأنهم هم الذين زينوا لهم عبادة الأوثان وأضلوهم ﴿أَكْثَرُهُم بِهِم مُّؤْمِنُونَ﴾[1].

وقال الزمخشري: وقد علم سبحانه كون الملائكة وعيسى منزهين، براء مما وجه عليهم من السؤال الوارد على طريق التقرير، والغرض أن يقول ويقولوا، ويسأل ويجيبوا، فيكون تقريعهم أشد، وتعييرهم أبلغ، وخجلهم أعظم[2].

* * *

---

(١) تفسير ابن كثير: (٣/ ٤٧٤).

(٢) الكشاف: (٣/ ٥٩٦-٥٩٧).

المطلب الثالث

العذاب النفسي في لعن بعضهم بعضًا

تتابع اللعنات على الكافرين والمنافقين في ذلك اليوم فبعد أن حلت عليهم لعنة الله والملائكة والناس أجمعين ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَمَاتُواْ وَهُمْ كُفَّارٌ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ ٱللَّهِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾[البقرة: ١٦١].

يتم استكمال تلك اللعنات فيلعن بعضهم بعضًا، فيحصل لهم فيه من العذاب النفسي حين يسمعون الدعاء عليهم ممن كانت بينه وبينهم مودة في الدنيا بالطرد والإبعاد من رحمة الله فلا يرحم بعضهم بعضًا، قال تعالى حاكيًا عن إبراهيم الخليل عليه السلام مخاطبًا قومه: ﴿وَقَالَ إِنَّمَا ٱتَّخَذْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ أَوْثَٰنًا مَّوَدَّةَ بَيْنِكُمْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ ثُمَّ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُم بَعْضًا وَمَأْوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّٰصِرِينَ﴾ [العنكبوت: ٢٥].

* * *

المطلب الرابع

العذاب النفسي في عدم شفاعة الشركاء لهم

تتجلى وتتضح الحقائق في ذلك اليوم العظيم، ويبان فيه زيف الزائفين، وينكشف المستور، ويظهر فيه كذب الكاذبين، فهؤلاء المشركون الذين عاندوا وأصروا واستكبروا استكبارًا في الحياة الدنيا وجعلوا لله أندادًا وشركاء بزعمهم وقالوا إنها تقربهم إلى الله زلفى، قال تعالى حاكيًا عنهم: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ﴾[الزمر: ٣] وقالوا كذبًا وزورًا ﴿هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ﴾ [يونس: ١٨] ففي ذلك اليوم يظهر فيه كذبهم وزيفهم فتتبرأ منهم تلك الآلهة التي عبدوها من دون الله ولا تشفع لهم كما زعموا، بل تكون لهم أعداءً وبذلك يعذبهم الله عذابًا نفسيًّا حين يرون تلك الآلهة والشركاء الذين كانوا يؤملون في نفعهم لا تنفعهم ولا تشفع لهم، بل وتنقلب عليهم وتكفر بشركهم قال الحق ﷻ ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يُبْلِسُ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿١٢﴾ وَلَمْ يَكُن لَّهُم مِّن شُرَكَآئِهِمْ شُفَعَٰٓؤُا۟ وَكَانُوا۟ بِشُرَكَآئِهِمْ كَٰفِرِينَ﴾[الروم: ١٢-١٣].

قال الفخر الرازي: في ذلك اليوم تبين إفلاسهم ويتحقق إبلاسهم، والإبلاس يأس مع حيرة، يعني يوم تقوم الساعة يكون للمجرم يأس محير لا يأس هو إحدى الراحتين، وهذا لأن الطمع إذا انقطع باليأس فإذا كان المرجو أمرًا غير ضروري يستريح الطامع من الانتظار وإن كان ضروريًّا بالإبقاء له بوونه[1] ينفطر فؤاده أشد انفطار، ومثل هذا اليأس هو الإبلاس، ولنبين حال المجرم وإبلاسه بمثال، وهو أن نقول مثله مثل من يكون في بستان وحواليه الملاعب والملاهي، ولديه ما يفتخر به ويباهي، فيخبره صادق بمجيء عدو لا يرده راد، ولا يصده صاد، إذا جاءه لا يبلعه ريقًا، ولا يترك له إلى الخلاص

---

(١) كذا في الأصل المطبوع.

طريقًا، فيتحتم عليه الاشتغال بسلوك طريق الخلاص فيقول له طفل أو مجنون إن هذه الشجرة التي أنت تحتها لها من الخواص دفع الأعادي عمن يكون تحتها، فيقبل ذلك الغافل على استيفائه ملاذه معتمدًا على الشجرة بقول ذلك الصبي فيجيئه العدو ويحيط به، فأول ما يريه من الأهوال قلع تلك الشجرة فيبقى متحيرًا آيسًا، مفتقرًا، فكذلك المجرم في دار الدنيا أقبل على استيفاء اللذات وأخبره النبي الصادق بأن الله يجزيه، ويأتيه عذاب يخزيه، فقال له الشيطان والنفس الأمارة بالسوء إن هذه الأخشاب التي هي الأوثان دافعة عنك كل باس، وشافعة لك عند خمود الحواس، فاشتغل بما هو فيه واستمر على غيه حتى إذا جاءته الطامة الكبرى فأول ما أرته إلقاء الأصنام في النار فلا يجد إلى الخلاص من طريق، ويحق عليه عذاب الحريق، فييأس حينئذ أي إياس ويبلس أشد إبلاس، وإليه الإشارة بقوله تعالى: ﴿يُبْلِسُ ٱلْمُجْرِمُونَ ۝١٢ وَلَمْ يَكُن لَّهُم مِّن شُرَكَآئِهِمْ شُفَعَٰٓؤُاْ وَكَانُواْ بِشُرَكَآئِهِمْ كَٰفِرِينَ﴾[الروم: ١٢-١٣] يعني يكفرون بهم ذلك اليوم[1].

* * *

(١) مفاتيح الغيب: ٢٥/ ٨٩-٩٠.

الباب الثالث

العذاب النفسي عند النار وداخلها

ويشتمل على خمسة فصول:

الفصل الأول: العذاب النفسي عند النار.

الفصل الثاني: العذاب النفسي في بشاعة ملائكة النار وتقريعهم.

الفصل الثالث: العذاب النفسي في توبيخ أصحاب الأعراف وأهل الجنة لهم.

الفصل الرابع: العذاب النفسي في توبيخ أهل النار بعضهم لبعض.

الفصل الخامس: صور من العذاب النفسي في النار.

الفصل الأول
العذاب النفسي عند النار

وفيه ثلاثـة مباحـث:

المبحث الأول: العذاب النفسي عند سوقهم إلى النار.

المبحث الثاني: العذاب النفسي عند فتح أبواب جهنم أمامهم وقد كانت مغلقة.

المبحث الثالث: العذاب النفسي عند وقوفهم على النار.

المبحث الأول

العذاب النفسي عند سوقهم إلى النار

بعد أن يفصل الله بين الخليقة، وينقسم الناس إلى فريقين فريق في الجنة، وفريق في السعير، يؤمر بأولياء الله فيحشرون مكرمين مبجلين على النجب وهي الإبل إلى جنات النعيم، ويساق أعداء الله إلى النار إذلالًا وإهانة لهم كما تساق البهائم، ومع هذا الذل والهوان والعذاب النفسي الذي يجدونه يساقون عطاشًا فقد حرموا ومنعوا من الشرب من حياض الأنبياء كما سبق معنا عند الحوض.

ثم يتهكم ويسخر بهم كأنهم بالغون إلى الماء فلا يجدون أمامهم إلا النار.

يقول الحق ﷻ موضحًا هذا العذاب النفسي لهم ﴿وَنَسُوقُ ٱلْمُجْرِمِينَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وِرْدًا﴾[مريم:٨٦].

قال النسفي في قوله تعالى: ﴿وَنَسُوقُ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾: الكافرين سوق الأنعام؛ لأنهم كانوا أضل من الأنعام ﴿إِلَىٰ جَهَنَّمَ وِرْدًا﴾ عطاشًا؛ لأن من يرد الماء لا يرده إلا لعطش، وحقيقة الورد المسير إلى الماء فيسمى به الواردون... ذكر المتقون بأنهم يجمعون إلى ربهم الذي غمرهم برحمته كما يفيد الوفود على الملوك تبجيلًا لهم والكافرون بأنهم يساقون إلى النار كأنهم نعم عطاش تساق إلى الماء استخفافًا بهم[١].

وقال الفخر الرازي في قوله تعالى ﴿وَنَسُوقُ﴾: يدل على أنهم يساقون إلى النار بإهانة واستخفاف كأنهم نُعم عطاش تساق إلى الماء[٢].

---

(١) تفسير النسفي: (٣/ ٤٥-٤٦).

(٢) مفاتيح الغيب: (٢١/ ٢١٦).

وقال **الألوسي**: في لفظ الورد تهكم واستخفاف عظيم لاسيما وقد جعل المورد جهنم أعاذنا الله منها برحمته[١].

وقال **السعدي**: وأما المجرمون فإنهم يساقون إلى جهنم وردًا، أي: عطاشًا، وهذا أبشع ما يكون من الحالات سوقهم على وجه الذل والصغار إلى أعظم سجن وأفظع عقوبة، وهو جهنم، في حال ظمئهم ونصبهم، يستغيثون فلا يغاثون، ويدعون فلا يستجاب لهم، ويستشفعون فلا يشفع لهم[٢].

* * *

(١) روح المعاني: (١٦/ ١٣٦).

(٢) تيسير الكريم الرحمن: (١/ ٥٠٠).

المبحث الثاني

العذاب النفسي: عند فتح أبواب جهنم أمامهم وقد كانت مغلقة

إن للنار أبوابًا ودركات، فأبوابها سبعة، قال تعالى: ﴿ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٣﴾ لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَٰبٍ لِّكُلِّ بَابٍ مِّنْهُمْ جُزْءٌ مَّقْسُومٌ ﴾[الحجر:٤٣-٤٤]. وكل باب من هذه الأبواب في طبقة من طبقات جهنم يعني أن جهنم سبع طبقات بين كل طبقة وأخرى باب، وكل طبقة أشد عذابًا من الأخرى.

وقد جعل الله ﷻ من فتح أبواب الجنة، وغلق أبواب النار ثم فتحها نعيماً وعذابًا، نعيماً لأوليائه حين يأتون إلى الجنة فيجدون أبوابها مفتحة لهم احتفاءً بهم، وإكرامًا بحسن ضيافتهم، قال تعالى ﴿ جَنَّٰتِ عَدْنٍ مُّفَتَّحَةً لَّهُمُ ٱلْأَبْوَٰبُ ﴾ [ص:٥٠] ألا ترى أن من إكرام الضيف في الدنيا فتح الأبواب أمامه استبشارًا وسرورًا بمقدمه.

وأما أعداء الله من الكافرين والمنافقين فإنهم يأتون إلى النار فيجدون أبوابها مغلقة أمامهم، فيقفون أمامها مذهولين منكسرين ينتابهم من العذاب النفسي ومن مشاعر الهلع والخوف والحزن والذلة والصغار ما ينتابهم ثم تفتح فجأة في وجوههم ليزدادوا هلعًا وخوفًا، وهذا شبيه بسجون الدنيا، فإن المجرمين حين يُؤتى بهم إلى أبواب السجن وهم في ذل وخضوع يجدون باب السجن مغلقًا ثم يفتح لهم ويدخلونه ثم يغلق عليهم، يقول الله تعالى عن هذا المنظر الرهيب عند أبواب النار حين يقدم أعداء الله إليها ﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا ﴾[الزمر:٧١].

قال أبو حيان في قوله ﴿ فُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا ﴾: دل ذلك على أنه لا يفتح إلا إذا

جاءت كسائر أبواب السجون، فإنها لا تزال مغلقة حتى يأتي أصحاب الجرائم الذين يسجنون فيها فيفتح ثم يغلق عليهم[١].

وقال ابن عطية: قوله ﴿فُتِحَتْ﴾ الكلام هنا يقتضي أن فتحها إنما يكون بعد مجيئهم وفي وقوفهم قبل فتحها مذلة لهم، وهكذا هي حال السجون ومواضع الثقاف والعذاب، بخلاف قوله في أهل الجنة ﴿وَفُتِحَتْ﴾ فالواو مؤذنة بأنهم يجدونها مفتوحة كمنازل الأفراح والسرور[٢].

وقال ابن الجوزي[٣] في الحكمة في فتح أبواب الجنة قبل مجيء أهلها وإغلاق النار قبل مجيء أهلها:

أحدها: أن أهل الجنة جاؤوها وقد فتحت أبوابها ليستعجلوا السرور والفرح إذا رأوا الأبواب مفتحة، وأهل النار يأتونها وأبوابها مغلقة ليكون أشد لحرها.

والثاني: أن الوقوف على الباب المغلق ذل، فصين أهل الجنة عنه، وجعل في حق أهل النار.

---

(١) البحر المحيط: (٧/ ٤٢٤).

(٢) المحرر الوجيز: (٤/ ٥٤٢).

(٣) هو الحافظ أبو الفرج عبدالرحمن بن أبي الحسن علي بن محمد بن جعفر الجوزي، ويعود نسبه إلى أبي بكر الصديق، القرشي التيمي البغدادي، الفقيه الحنبلي الواعظ، كان علامة عصره وإمام وقته في الحديث، وعظ من صغره، وفاق فيه الأقران ونظم الشعر، وكتب بخطه ما لا يوصف، وكان يخص مجلسه الخليفة المستضيء من وراء الستر، له مصنفات كثيرة منها (زاد المسير في علم التفسير) و(المنتظم في تاريخ الملوك والأمم) و(صفة الصفوة)، توفي في رمضان سنة سبع وتسعين وخمسمائة ببغداد ودفن باب حرب.

وفيات الأعيان: (٢/ ٦٧)، الذيل على طبقات الحنابلة: (٣/ ٣٩٩)، مرآة الجنان: (٣/ ٣٧٠)، العبر: (٣/ ١١٨)، شذرات الذهب: (٤/ ٣٢٩).

والثالث: أنه لو وجد أهل الجنة بابها مغلقًا لأثر انتظار فتحه في كمال الكرم، ومن كمال الكرم غلق باب النار إلى حين مجيء أهلها؛ لأن الكريم يعجل المثوبة ويؤخر العقوبة[١].

وقال البرسوي: وفائدة إغلاقها إلى وقت مجيئهم تهويل شأنها، وإيقاد حرها، قال في (أسئلة الحكم): أهل النار يجدونها مغلقة الأبواب كما هي حال السجون فيقفون هناك حتى يفتح لهم إهانة لهم وتوبيخًا.

يقول الفقير: [أي البرسوي]: هذا من قبيل العذاب الروحاني، وهو أشد من العذاب الجسماني، فليس وقوفهم عند الأبواب أولى لهم من تعجيل العذاب، يؤيده أن الكافر حين يطول قيامه في شدة وزحمة وهول، يقول: يا رب أرحني ولو كان النار[٢].

وقال ابن القيم واصفًا وقوف أهل النار أمام أبوابها: فهم بمنزلة من وقف على باب لا يدري بما يفتح له من أنواع الشر إلا أنه متوقع منه شرًّا عظيمًا، ففتح في وجهه وفاجأه ما كان يتوقعه، وهذا كما تجد في الدنيا من يساق إلى السجن فإنه يساق إليه وبابه مغلق حتى إذا جاءه فتح الباب في وجهه ففاجأته روعته وألمه، بخلاف ما لو فتح له قبل مجيئه.

وهذا بخلاف أهل الجنة فإنهم لما كانوا مساقين إلى دار الكرامة وكان من تمام إكرام للمدعو الزائر أنْ يفتح له باب الدار فيجيء فيلقاه مفتوحًا فلا يلحقه ألم الانتظار[٣].

---

(١) زاد المسير: (٧/ ٢٠٠)، بتصرف.

(٢) روح البيان، البرسوي: (٨/ ١٥٨-١٥٩).

(٣) بدائع الفوائد، ابن القيم، ص: (٢٧٧).

ولا يتوهم متوهم أن ما ذكر من أن أبواب النار تكون مغلقة قبل مجيء أهلها ثم تفتح لهم أن ذلك يتعارض مع ما رواه البخاري في صحيحه عن أبي هريرة ﷺ أنه قال، قال رسول الله ﷺ: «إِذَا دَخَلَ شَهْرُ رَمَضَانَ فُتِّحَتْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَغُلِّقَتْ أَبْوَابُ جَهَنَّمَ وَسُلْسِلَتِ الشَّيَاطِينُ»(١).

فظاهر الحديث يدل على أن أبواب النار تكون مفتحة ولا تغلق إلا في رمضان، والجواب عن هذا: أنه لا يمنع أن تكون مفتحة ثم تغلق في رمضان ويوم القيامة تغلق ثم تفتح في وجوه الكافرين والمنافقين.

قال السندي(٢) في حاشيته على البخاري، معلقًا على هذا الحديث: وهذا يقتضي أن أبواب النار كانت مفتوحة ولا ينافيه، قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا فُتِحَتۡ أَبۡوَٰبُهَا﴾ لجواز أن يكون هناك غلق قبيل ذلك(٣).

* * *

---

(١) رواه البخاري، كتاب بدء الخلق، باب (صفة إبليس وجنوده) رقم (٣٢٧٧)، ص: (٦٦٩).

(٢) هو محمد بن عبدالهادي التتوي، أبو الحسن المدني الحنفي، نور الدين السندي، فقيه حنفي عالم بالحديث والتفسير والعربية، أصله من السند ومولده فيها، وتوطن بالمدينة إلى أن توفي بها، له مصنفات منها (حاشية على صحيح البخاري) و(حاشية على صحيح مسلم) و(حاشية على البيضاوي)، مات سنة ثمان وثلاثين وثلاثمائة وألف بالمدينة المنورة.

الأعلام: (٦/ ٢٥٣)، سلك الدرر محمد المرادي: (٤/ ٦٦)، فهرس الفهارس، للكتاني (١/ ١٤٨)، معجم المطبوعات: (١/ ١٠٥٦).

(٣) حاشية السندي على صحيح البخاري: (١/ ٣٨٥).

المبحث الثالث

العذاب النفسي عند وقوفهم على النار

عندما تُعرض إنسانًا وتجعله يشاهد العذاب الذي سوف يعذب فيه، فأنت تعذبه عذابًا نفسيًا، لما يجده في نفسه من خوف وجزع وهلع لما يشاهد، فيظل يفكر ما مدى شدة وقوة هذا العذاب؟ وكيف يصبر عليه؟ وكم سيستمر فيه؟ أسئلة كثيرة تجول بخاطره وهو في حسرته وحسبك بهذا عذابًا، فقد جعل الله من عذابهم النفسي يوم القيامة وقوفهم على النار ومعاينة ما فيها من الأغلال والسلاسل والحميم والحيات والعقارب، وأصناف العذاب المختلفة، ثم يلي ذلك العذاب النفسي، مواقعتها فيحل عليهم العذاب الحسي والعياذ بالله.

قال تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُوا۟ عَلَى ٱلنَّارِ فَقَالُوا۟ يَٰلَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾[الأنعام:٢٧].

وقد اختلف المفسرون في معنى (وقفوا): فذهب الجمهور إلى أنهم وقفوا عليها وعاينوها وهي تحتهم[١].

وذهب ابن جرير والزجاج وابن سيده: إلى أنهم دخلوها فعرفوا مقدار عذابها[٢]، والقول الراجح عندي ما ذهب إليه الجمهور، والله أعلم.

قال الفخر الرازي: قوله ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ﴾ يقتضي لله جوابًا، وقد حذف تفخيماً للأمر وتضمنًا للشأن، وجاز حذفه لعلم المخاطب به، وأشباهه كثيرة في القرآن والشعر ولو قدرت الجواب، كان التقدير: لرأيت سوء منقلبهم أو لرأيت سوء

---

(١) انظر: زاد المسير: (٣/ ٣٢)، وبحر العلوم في تفسير القرآن، السمرقندي (١/ ٤٧٩).

(٢) انظر: تفسير الطبري: (٧/ ٢٢٠)، زاد المسير: (٣/ ٣٢)، معاني القرآن: (٢/ ٢٣٩)، لسان العرب: (٩/ ٣٧٩).

حالهم، وحذف الجواب في هذه الأشياء أبلغ في المعنى من إظهاره.

ألا ترى: أنك لو قلت لغلامك، والله لئن قمت إليك وسكت عن الجواب، ذهب بفكره إلى أنواع المكروه من الضرب، والقتل، والكسر وعظم الخوف ولم يدر أي الأقسام تبغي، ولو قلت: والله لئن قمت إليك لأضربنك فأتيت بالجواب لعلم أنك لم تبلغ شيئًا غير الضرب ولا يخطر بباله نوع من المكروه سواه، فثبت أن حذف الجواب أقوى تأثيرًا في حصول الخوف[1].

وقال ابن كثير: يذكر تعالى حال الكفار، إذا وقفوا يوم القيامة على النار وشاهدوا ما فيها من السلاسل والأغلال، ورأوا بأعينهم تلك الأمور العظام والأهوال فعند ذلك قالوا ﴿فَقَالُواْ يَٰلَيۡتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾[2].

* * *

(١) مفاتيح الغيب: (١٢/ ١٥٧).

(٢) تفسير ابن كثير: (٢/ ١١٥).

الفصل الثاني

العذاب النفسي في بشاعة ملائكة النار وتقريعهم لهم في النار

وفيه ثلاثـة مباحـث:

المبحث الأول: العذاب النفسي في رؤية خزنة النار.

المبحث الثاني: العذاب النفسي عند ذم الملائكة لهم بسبب شركهم وكفرهم.

المبحث الثالث: العذاب النفسي في تقريع وتهديد الملائكة لهم.



المبحث الأول

العذاب النفسي في رؤية خزنة النار

جعل الله ﷻ الملائكة الموكلة بعذاب أهل النار وعلى رأسهم مالك خازن النار في صورة فظيعة مروعة مخيفة، وذلك نكاية بأهل النار وزيادة في عذابهم النفسي، فإن مناظرهم لا تنبئ عن خير يرتجى أو رحمة تؤمل بل يزيدهم رؤية صورهم خوفًا وهلعًا، فهذا خازن النار مالك ﷺ لم يضحك منذ خلق، وحق له ذلك فكيف يضحك وهو موكل بتعذيب أعداء الله فهو غضبان بغضب الله عليهم، فلا يضحك هنا، وإنما هنا العذاب الأليم.

فقد أخرج ابن أبي حاتم عن أنس بن مالك ﷺ في حديث الإسراء والمعراج والذي جاء فيه: فقال رسول الله ﷺ لجبريل: **«مالي لم آت أهل سماء إلا رحبوا بي وضحكوا إليَّ غير رجل واحد فسلمت عليه فرد علي السلام ورحب بي ولم يضحك إلي؟ قال: يا محمد ذاك مالك خازن جهنم، لم يضحك منذ خلق ولو ضحك إلى أحد لضحك إليك»**[1].

قال السهيلي[2]: وذكر أنه ﷺ لم يلقه ملك من الملائكة إلا ضاحكًا فاستبشر

---

(١) ذكره ابن حجر في الفتح: (٧/ ٢٥٧)، ورواه السيوطي في الإسراء والمعراج، ص: (٢٤) وذكره الصالحي الشامي في (سبل الهدى والرشاد) قصة الإسراء والمعراج بلفظ (ورأى مالك خازن النار، فإذا رجل عابس يعرف الغضب في وجهه) (٣/ ٩١).

وذكره أيضًا في (خلاصة الفضل الفائق في معراج خير الخلق) ص: (٣٠٥).

(٢) هو أبو القاسم، وقيل: أبو زيد عبدالرحمن بن الخطيب أبي محمد بن عبدالله بن فتوح السهيلي، العلامة الأندلسي، المالكي الضرير النحوي، الحافظ العلم صاحب التصانيف، وله أشعار كثيرة من مصنفاته (الروض الأنف) و(نتائج الفكر) و(شرح آية الوصية)،توفي بمراكش سنة إحدى وثمانين وخمسمائة وعاش اثنين وسبعين سنة.

وفيات الأعيان: (٢/ ٦٨)، مرآة الجنان: (٣/ ٣٢١)، تذكرة الحفاظ: (٢/ ٩٦)،........=

إلا مالكًا خازن جهنم وذلك أنه لم يضحك لأحد قبله ولا هو ضاحك لأحد، ومصداق هذا في كتاب الله تعالى، قال الله سبحانه: ﴿عَلَيْهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ﴾ وهم موكلون بغضب الله تعالى فالغضب لا يزايلهم أبدًا[١].

وقال الصالحي الشامي[٢] في (خلاصة الفضل) عند معراج النبي ﷺ إلى السماوات ورؤيته مالك قال: لم ير مالكًا في صورته التي يراه عليها المعذبون في الآخرة ولو رآه على تلك الصورة لما استطاع أن ينظر إليه[٣].

قال ابن كثير في قوله ﴿عَلَيْهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ﴾: أي طباعهم غليظة قد نزعت من قلوبهم الرحمة بالكافرين بالله ﴿شِدَادٌ﴾ أي: تركيبهم في غاية الشدة والكثافة والمنظر المزعج[٤].

وقال القرطبي عن هذه الآية: يعني الملائكة الزبانية غلاظ القلوب لا يرحمون إذا استرحموا، خلقوا من الغضب، وحبب إليهم عذاب الخلق كما حبب لبني آدم أكل الطعام والشراب[٥].

= الديباج المذهب ص: (٢٤٦)، شذرات الذهب: (٤/ ٣٧١).

(١) الروض الأنف، (٣/ ٤٥٩-٤٦٠).

(٢) هو محمد بن يوسف الصالحي الشامي، قال الشعراني: هو العالم الزاهد الشيخ شمس الدين محمد الشامي، المتمسك بالسنة المحمدية، نزيل التربة البرقوقية، وكان عالمًا صالحًا متفننًا في العلوم، وألف السيرة النبوية المشهورة التي جمعها من ألف كتاب، وكان عزبًا لم يتزوج، وكان حلو المنطق مهيب النظر كثير الصيام والقيام، له مصنفات منها (عقود الجمان في مناقب أبي حنيفة النعمان) و(الجامع الوجيز الخادم للغات القرآن العزيز) و(الآيات الباهرة في معراج سيد الدنيا والآخرة)، توفي سنة اثنتين وأربعين وتسعمائة.

شذرات الذهب: (٨/ ٢٥٠)، فهرس الفهارس والأثبات، للكتاني: (٢/ ١٠٦٢).

(٣) خلاصة الفضل الفائق في معراج خير الخلق، الصالحي الشامي، ص: (٣٠٤).

(٤) تفسير ابن كثير: (٤/ ٣٣٣).

(٥) تفسير القرطبي: (١٨/ ١٩٦). ....=

وقال السعدي: أي غليظة أخلاقهم، شديد انتصارهم يفزعون بأصواتهم ويزعجون بمرآهم، ويهينون أصحاب النار بقوتهم، وينفذون فيهم أمر الله، الذي حتم عليهم بالعذاب، وأوجب عليهم شدة العذاب[1].

* * *

= قلت: وقول القرطبي (خلقوا من الغضب) هذا يحتاج إلى دليل، والذي ورد فيه الدليل أن الملائكة خلقوا من نور، ولعل مراده أن الملائكة جبلوا على الغضب، والله أعلم.

(١) تيسير الكريم الرحمن، ص: (٨٠٩).

المبحث الثاني

العذاب النفسي عند ذم الملائكة لهم بسبب شركهم وكفرهم

هؤلاء المتكبرون من المشركين بعد سوقهم إلى النار تستقبلهم خزنة جهنم بالتوبيخ والتقريع لهم بسبب شركهم فبئس الاستقبال وبئست الضيافة التي تكون بالتعنيف واللوم، فيقولون لهم أين هؤلاء الشركاء الذين زعمتم من دون الله؟ فيحارون في الجواب فتراهم يكذبون ثم تجيبهم الخزنة ﴿ذَٰلِكُم بِمَا كُنتُمْ تَفْرَحُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ تَمْرَحُونَ﴾[غافر:٧٥].، ثم يبشرونهم بما لهم من الخزي والندامة والعذاب السرمدي الأبدي قال تعالى: ﴿الَّذِينَ كَذَّبُوا بِالْكِتَابِ وَبِمَا أَرْسَلْنَا بِهِ رُسُلَنَا فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٧٠﴾ إِذِ الْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَالسَّلَاسِلُ يُسْحَبُونَ ﴿٧١﴾ فِي الْحَمِيمِ ثُمَّ فِي النَّارِ يُسْجَرُونَ ﴿٧٢﴾ ثُمَّ قِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تُشْرِكُونَ ﴿٧٣﴾ مِن دُونِ اللَّهِ قَالُوا ضَلُّوا عَنَّا بَل لَّمْ نَكُن نَّدْعُو مِن قَبْلُ شَيْئًا كَذَٰلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ الْكَافِرِينَ ﴿٧٤﴾ ذَٰلِكُم بِمَا كُنتُمْ تَفْرَحُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ تَمْرَحُونَ ﴿٧٥﴾ ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ﴾[غافر:٦٩-٧٥].

قال ابن جرير: وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ قِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تُشْرِكُونَ ﴿٧٣﴾ مِن دُونِ اللَّهِ﴾ يقول: ثم قيل: أين الذين كنتم تشركون بعبادتكم إياها من دون الله من آلهتكم وأوثانكم حتى يغيثونكم فينقذونكم مما أنتم فيه من البلاء والعذاب، فإن المعبود يغيث من عبده وخدمه، وإنما يقال هذا لهم توبيخًا وتقريعًا على ما كان منهم في الدنيا من الكفر بالله وطاعة الشيطان، فأجاب المساكين عند ذلك فقالوا: ضلوا عنا: يقول: عدلوا عنا فأخذوا غير طريقنا، وتركونا في هذا البلاء، بل ما ضلوا عنا، ولكنا لم نكن ندعو من قبل في الدنيا شيئًا: أي لم نكن نعبد شيئًا،

يقول الله تعالى ذكره ﴿كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ يقول: كما أضل هؤلاء الذين ضل عنهم في جهنم ما كانوا يعبدون في الدنيا من دون الله من الآلهة والأوثان آلهتهم وأوثانهم[1].

قال ابن كثير في تفسير قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكُم بِمَا كُنتُمْ تَفْرَحُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ تَمْرَحُونَ﴾ أي: تقول لهم الملائكة هذا الذي أنتم فيه جزاء على فرحكم في الدنيا بغير حق وفرحكم وأشركم وبطركم ﴿ٱدْخُلُوٓا۟ أَبْوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۖ فَبِئْسَ مَثْوَى ٱلْمُتَكَبِّرِينَ﴾ أي: فبئس المنزل والمقيل الذي فيه الهوان والعذاب الشديد لمن استكبر عن آيات الله واتباع دلائله وحججه، والله أعلم[2].

* * *

(١) تفسير الطبري: (٢٤/ ١٠٣).

(٢) تفسير ابن كثير: (٤/ ٧٥-٧٦).

المبحث الثالث

العذاب النفسي في تقريع وتهديد الملائكة لهم

لا تكتفي خزنة جهنم بتوبيخهم وتقريعهم على شركهم فحسب بل تقوم بتهديدهم كما ذكر الله لنا في سورة الزمر في قوله تعالى: ﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَآ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا ۚ قَالُواْ بَلَىٰ وَلَٰكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ ٱلْعَذَابِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٧١﴾ قِيلَ ٱدْخُلُوٓاْ أَبْوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۖ فَبِئْسَ مَثْوَى ٱلْمُتَكَبِّرِينَ﴾[الزمر: ٧١-٧٢].

قال ابن كثير: يخبر الله تعالى عن حال الأشقياء الكفار كيف يساقون إلى النار وإنما يساقون سوقًا عنيفًا، بزجر وتهديد ووعيد كما قال تعالى: ﴿يَوْمَ يُدَعُّونَ إِلَىٰ نَارِ جَهَنَّمَ دَعًّا﴾[الطور: ١٣] أي: يدفعون إليها دفعًا، وهذا وهم عطاش ظماء كما قال جل وعلا في الآية الأخرى: ﴿يَوْمَ نَحْشُرُ ٱلْمُتَّقِينَ إِلَى ٱلرَّحْمَٰنِ وَفْدًا ﴿٨٥﴾ وَنَسُوقُ ٱلْمُجْرِمِينَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وِرْدًا﴾[مريم: ٨٥-٨٦]. وهم في تلك الحال صم وبكم وعمى منهم من يمشي على وجهه ﴿وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا ۖ مَّأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَٰهُمْ سَعِيرًا﴾ [الإسراء: ٩٧].

وقوله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا﴾ أي: بمجرد وصولهم إليها فتحت لهم أبوابها سريعًا لتعجل لهم العقوبة، ثم يقول لهم خزنتها من الزبانية الذين هم غلاظ الأخلاق شداد القوى على وجه التقريع والتوبيخ والتنكيل ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ﴾ أي: من جنسكم تتمكنون من مخاطبتهم والأخذ عنهم ﴿يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِ رَبِّكُمْ﴾ أي: يقيمون عليكم الحجج

والبراهين على صحة ما دعوكم إليه ﴿وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا﴾ أي: ويحذرونكم من شر هذا اليوم فيقول الكفار لهم ﴿بَلَىٰ﴾ أي: قد جاءونا وأنذورنا وأقاموا علينا الحجج والبراهين ﴿وَلَٰكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ ٱلْعَذَابِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ أي: ولكن كذبناهم وخالفناهم لما سبق لنا من الشقوة التي كنا نستحقها حيث عدلنا عن الحق إلى الباطل، وقوله تعالى هنا: ﴿قِيلَ ٱدْخُلُوٓا۟ أَبْوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَا﴾ أي: كل من رآهم وعلم حالهم يشهد عليهم بأنهم مستحقون للعذاب، ولهذا لم يسند هذا القول إلى قائل معين بل أطلقه ليدل على أن الكون شاهد عليهم بأنهم يستحقون ما هم فيه بما حكم العدل الخبير عليهم، ولهذا قال جل وعلا: ﴿قِيلَ ٱدْخُلُوٓا۟ أَبْوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَا﴾ أي: ماكثين فيها لا خروج لكم منها ولا زوال لكم عنها ﴿فَبِئْسَ مَثْوَى ٱلْمُتَكَبِّرِينَ﴾ أي: فبئس المصير وبئس المقيل لكم بسبب تكبركم في الدنيا وإبائكم عن إتباع الحق فهو الذي صيركم إلى ما أنتم فيه فبئس الحال وبئس المآل[1].

وفي الآيات السابقة تهديد لهم من خزنة النار بالدخول في أبواب جهنم ووعدهم بالخلود فيها فانظر إلى حالهم عندما يكونون في العذاب وخزنة جهنم تتوعدهم بمزيد من العذاب، ولسان حالهم إنما نحن فيه من العذاب لكافي فقد صُب العذاب علينا صبًّا فكيف بالمزيد والعياذ بالله.

وهنا تصوير آخر لتقريع وتوبيخ خزنة النار للكافرين والمنافقين فهم يوجهون لهم مزيدًا من التساؤلات نكايةً بهم وزيادة في عذابهم النفسي، فهاهم يسألونهم وهم في غمرات العذاب ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ﴾[تبارك: ٨] هو سؤال واحد، فيجيبون عليه ويزيدون في الجواب بتفصيل ينبئ عما تكنه مشاعرهم وأحاسيسهم من الألم والحسرة، فيقولون ﴿بَلَىٰ قَدْ جَآءَنَا نَذِيرٌ﴾[تبارك: ٩] ولكننا كذبناه واتهمناه

---

(١) تفسير ابن كثير: (٥/ ١٧٩-١٨٠) بتصرف.

بالكذب، وأنكرنا نزول الآيات عليه، وقلنا في حق هذا الرسول الناصح المنذر المبيّن لنا أنه في ضلال كبير، ثم يتجهون بالتوبيخ والتقريع لأنفسهم ﴿وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾[تبارك: ١٠] لو كان لنا سمع ينفعنا أو عقل يرشدنا ويهدينا ويدلنا على الطريق المستقيم ما كنا في هذا المكان، ثم يأتي بعد ذلك الاعتراف والإقرار الذي ليس بعده شيء ﴿فَاعْتَرَفُوا بِذَنْبِهِمْ فَسُحْقًا لِأَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾.

وقال الزجاج في قوله ﴿كُلَّمَا أُلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ﴾: هذا التوبيخ زيادة لهم في العذاب(١).

وقال الرازي: ﴿سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا﴾ بطريق التوبيخ والتقريع ليزدادوا عذابًا فوق عذاب وحسرة على حسرة(٢).

وقال أبو السعود: قوله ﴿سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا﴾ بطريق التوبيخ والتقريع ليزدادوا عذابًا فوق عذاب وحسرة على حسرة ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ﴾ يتلو عليكم آيات ربكم وينذركم لقاء يومكم هذا كما وقع في سورة الزمر ويعرب عن جوابهم أيضًا ﴿قَالُوا﴾ اعترافًا بأنه تعالى قد أزاح عللهم بالكلية ﴿بَلَى قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ﴾ جامعين بين حرف الجواب ونفس الجملة المجابة بها مبالغة في الاعتراف بمجيء النذير وتحسرًا على ما فاتهم من السعادة في تصديقهم وتمهيدًا لبيان ما وقع منهم من التفريط تندمًا واغتمامًا على ذلك أي قال كل فوج من تلك الأفواج قد جاءنا نذير أي واحد حقيقة أو حكمًا كأنبياء بني إسرائيل فإنهم في حكم نذير واحد فأنذرنا وتلا علينا ما نزل الله تعالى من آياته(٣).

---

(١) معاني القرآن: (٥/ ١٥٥).

(٢) تفسير أبي السعود: (٩/ ٥).

(٣) تفسير أبي السعود: (٩/ ٥).

وقال الألوسي: ﴿سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَآ﴾: وهم مالك وأعوانه عليهم السلام، والسائل يحتمل أن يكون واحدًا وأن يكون متعددًا، وليس السؤال سؤال استعلام بل هو سؤال توبيخ وتقريع وفيه عذاب روحاني لهم منضم إلى عذابهم الجسماني[1].

وقال البقاعي[2]: كأنه قيل: ما كان سؤالهم؟ قال: قالوا موبخين لهم مبكتين محتجين عليهم في استحقاقهم العذاب زيادة في عذابهم بتعذيب أرواحهم بعد تعذيب أحشائهم[3].

وقال البرسوي: ﴿سَأَلَهُمْ﴾ أي: ذلك الفوج، وضمير الجميع باعتبار المعنى ﴿خَزَنَتُهَآ﴾ أي: خزنة النار وهو مالك وأعوانه من الزبانية بطريق التوبيخ والتقريع ليزدادوا عذابًا فوق عذاب وحسرة أي: ليزدادوا العذاب الروحاني على العذاب الجسماني[4].

وقال أبو حيان: ﴿سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَآ﴾ سؤال توبيخ وتقريع وهو مما يزيدهم عذابًا إلى عذابهم[5].

---

(١) روح المعاني: (١٥/ ١٢).

(٢) هو الحافظ برهان الدين إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط البقاعي الشافعي، أبو الحسن، العلامة المحدث الحافظ، ولد سنة تسع وثمانمائة، وأخذ القراءات عن ابن الجزري وغيره، والحديث عن الحافظ ابن حجر، والفقه عن التقي ابن قاضي شهبة، ومهر وبرع في الفنون، له مصنفات منها: (عنوان الزمان بتراجم الشيوخ والأقران) و (الجواهروالدرر في مناسبة الآي والسور) و (النكت على شرح ألفية العراقي)، توفي سنة خمس وثمانين وثمانمائة.

نظم العقيان، ص: (٢٤٠)، شذرات الذهب: (٧/ ٣٣٩)، كشف الظنون: (٢/ ٤٣١)، معجم المؤلفين: (١/ ٤٩).

(٣) الجواهر والدرر، للبقاعي: (٢٠/ ٢٣٦).

(٤) روح البيان: (١٠/ ٩٧).

(٥) البحر المحيط: (٨/ ٢٩٤).

وقال تعالى: ﴿فَذُوقُواْ فَلَن نَّزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا﴾ [النبأ: ٢٦].

قال عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما: لم تنزل على أهل النار آية أشد من هذه: ﴿فَذُوقُواْ فَلَن نَّزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا﴾ قال: فهم في مزيد من العذاب أبدًا[١].

وعن الحسن قال: سئل أبو برزة الأسلمي رضي الله عنه عن أشد آية في القرآن فقال: قول الله ﴿فَذُوقُواْ فَلَن نَّزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا﴾ قال: فهو مقدار ساعة بساعة، ويوم بيوم، وشهر بشهر، وسنة بسنة أشد عذابًا حتى لو أن رجلًا من أهل النار أخرج من المشرق لمات أهل المغرب، ولو أخرج من المغرب لمات أهل المشرق من نتن ريحه.

قال أبو برزة: شهدت رسول الله ﷺ حين تلاها فقال: «هلك القوم بمعاصيهم ربهم، وغضب عليهم فأبى إذ غضب عليهم إلا أن ينتقم منهم»[٢].

وقال **الفخر الرازي**: دلت هذه الآية على أنه تعالى يزيد في عذاب الكافر أبدًا، فتلك الزيادة إما أن يقال: إنها كانت مستحقة لهم أو غير مستحقة، فإن كانت مستحقة لهم كان تركها في أول الأمر إحسانًا، والكريم إذا أسقط حق نفسه فإنه لا يليق به أن يسترجعه بعد ذلك، وأما إن كانت تلك الزيادة غير مستحقة كان إيصالها إليهم ظلمًا وإنه لا يجوز على الله.

الجواب: كما أن الشيء يؤثر بحسب خاصية ذاته، فكذا إذ دام ازداد تأثيره بحسب ذلك الدوام، فلا جرم كلما كان الدوام أكثر كان الإيلام أكثر، وأيضًا فتلك الزيادة مستحقة، وتركها في بعض الأوقات لا يوجب الإبراء والإسقاط

---

(١) انظر: تفسير الطبري: (٣٠/ ٢٤)، تفسير البحر المحيط: (٨/ ٤٠٧).

(٢) رواه ابن أبي حاتم: (١٠/ ٣٣٩)، وابن أبي الدنيا في (صفة النار) ص: (١٢١-١٢٢)، وذكره السيوطي في الدر المنثور: (٦/ ٥٠٤).

والله أعلم بما أراد[١].

وقال الزمخشري: وهي آية في غاية الشدة، وناهيك بـ (لن نزيدكم)، وبدلالته على أن ترك الزيادة كالمحال الذي لا يدخل تحت الصحة، وبمجيئها على طريقة الالتفات شاهدًا على أن الغضب قد تبالغ[٢].

وقال: أشد آية على أهل النار ﴿فَذُوقُواْ فَلَن نَّزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا﴾[٣].

وقال ابن عاشور: والأمر في ﴿فَذُوقُواْ﴾ مستعمل في التوبيخ والتقريع، وفرع على ﴿فَذُوقُواْ﴾ ما يزيد تنكيدهم وتحسيرهم بإعلامهم بأن الله سيزيدهم عذابًا فوق ما هم فيه[٤].

وقال أيضًا: وفي هذا الأسلوب ابتداء مطمع بانتهاء مؤيس وذلك أشد حزنًا وغمًا بما يوهمهم أن ما ألقوا فيه هو منتهى التعذيب حتى إذا ولج ذلك أسماعهم فحزنوا له، أتبع بأنهم ينتظرهم عذاب آخر أشد، فكان ذلك حزنًا فوق حزن، فهذا منوال هذا النظم وهو مؤذن بشدة الغضب[٥].

وهنا أيضًا لون آخر من التهديد والتقريع عندما يقال لهم بعد دخولهم النار ﴿أَفَسِحْرٌ هَٰذَآ أَمْ أَنتُمْ لَا تُبْصِرُونَ ۝١٥ ٱصْلَوْهَا فَٱصْبِرُوٓاْ أَوْ لَا تَصْبِرُواْ سَوَآءٌ عَلَيْكُمْ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾[الطور: ١٥-١٦].

قال ابن الجوزي: قال مقاتل: تغل أيديهم إلى أعناقهم وتجمع نواصيهم إلى أقدامهم ثم يدفعون إلى جهنم على وجوههم حتى إذا دنوا منها قالت لهم خزنتها:

---

(١) مفاتيح الغيب: (٣١/ ١٩).

(٢) الكشاف: (٤/ ٦٩٠).

(٣) أسباب النزول، للواحدي، ص: (١٣)، الإتقان في علوم القرآن، ص: (٨١٨).

(٤) التحرير والتنوير، (٣٠/ ٣٧).

(٥) المرجع السابق: (٣٠/ ٣٨).

﴿هَٰذِهِ ٱلنَّارُ ٱلَّتِي كُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ﴾[الطور: ١٤] في الدنيا ﴿أَفَسِحْرٌ هَٰذَآ﴾ العذاب الذي ترون؟ فإنكم زعمتم أن الرسل سحرة ﴿أَمْ أَنتُمْ لَا تُبْصِرُونَ﴾ النار؟ فلما ألقوا فيها قال لهم خزنتها ﴿ٱصْلَوْهَا﴾.

وقال غيره: لما نسبوا محمدًا ﷺ إلى أنه ساحر يغطي على الأبصار بالسحر، وبخوا عند رؤية النار بهذا التوبيخ.

وقيل: ﴿ٱصْلَوْهَا﴾ أي: قاسوا شدتها ﴿فَٱصْبِرُوٓا۟﴾ على العذاب ﴿أَوْ لَا تَصْبِرُوا۟ سَوَآءٌ عَلَيْكُمْ﴾ الصبر والجزع ﴿إِنَّمَا تُجْزَوْنَ﴾ جزاء ﴿مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ من الكفر والتكذيب[١].

* * *

(١) زاد المسير: (٨/ ٤٩).

الفصل الثالث

العذاب النفسي في توبيخ أصحاب الأعراف وأهل الجنة لهم

وفيه مبحثـــان:

المبحث الأول: العذاب النفسي في توبيخ أصحاب الأعراف لهم في النار.

المبحث الثاني: العذاب النفسي في توبيخ المؤمنين لهم في النار.

المبحث الأول

العذاب النفسي في توبيخ أصحاب الأعراف لهم في النار

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: تعريف الأعراف:

الأعراف في اللغة: جمع عُرْف وهو كل عال مرتفع[(١)].

قال الزجاج: الأعراف أعالي السور[(٢)].

الأعراف في الاصطلاح:

هو السور الذي بين الجنة والنار وله باب[(٣)].

* * *

المطلب الثاني

المراد بأصحاب الأعراف

اختلفت عبارات المفسرين في أصحاب الأعراف من هم؟ وكلها قريبة ترجع إلى معنى واحد وهو أنهم قوم استوت حسناتهم وسيئاتهم[(٤)].

* * *

(١) لسان العرب: (٦/ ١٩٨).

(٢) معاني القرآن: (٢/ ٢٧٧).

(٣) تفسير الطبري: (٨/ ٢٤١)، مفاتيح الغيب: (١٤/ ٧٢)، تفسير ابن كثير: (٢/ ١٩١)، تفسير النسفي: (٢/ ٥٤)، الدر المنثور: (٣/ ٤٦٠).

(٤) تفسير ابن كثير: (٢/ ١٩١).

المطلب الثالث

العذاب النفسي في توبيخ أصحاب الأعراف لهم في النار

في هذا المكان المخيف الرهيب على السور الذي بين الجنة والنار تأتي عبارات التقريع والتوبيخ والتأليم النفسي لأهل النار من أصحاب الأعراف الذين عرفوهم في الدنيا بجرمهم وكفرهم أو بعلامات ظهرت عليهم في ذلك اليوم، ينادونهم نداء التوبيخ والتقريع ينادونهم نداء يقرع أسماعهم وسياطًا يؤجج سويداء قلوبهم فيدخل به الفزع في نفوسهم ﴿مَآ أَغْنَىٰ عَنكُمْ جَمْعُكُمْ﴾ ما فائدة كثرتكم وجمعوكم الكبيرة التي كنتم بها تحادون الله وتشاقونه.

فها أنتم في العذاب والنكال، ثم يزيدون في عذابهم النفسي ويذكرونهم بمن كانوا يزدرونهم ويسخرون منهم في الحياة الدنيا والذين وصموهم بالأراذل وقولهم ﴿فَقَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَوْمِهِۦ مَا نَرَىٰكَ إِلَّا بَشَرًا مِّثْلَنَا وَمَا نَرَىٰكَ ٱتَّبَعَكَ إِلَّا ٱلَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِىَ ٱلرَّأْىِ وَمَا نَرَىٰ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍۭ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَٰذِبِينَ﴾[هود:٢٧] تحقيرًا واستهزاءً من أتباع الأنبياء ﴿أَهَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَقْسَمْتُمْ لَا يَنَالُهُمُ ٱللَّهُ بِرَحْمَةٍ﴾ أهؤلاء الذين حلفتم وتعاليتم على الله أن لا يرحمهم ولا يدخلهم الجنة انظروا بعيونكم إن كنتم تبصرون أين هم الآن؟ وأين أنتم الآن من الذل والخزي؟ ومن هم الأراذل من الفريقين؟.

قال الحق ﷻ عن ذلك النداء الرهيب من أصحاب الأعراف لأهل النار ﴿وَنَادَىٰٓ أَصْحَٰبُ ٱلْأَعْرَافِ رِجَالًا يَعْرِفُونَهُم بِسِيمَىٰهُمْ قَالُواْ مَآ أَغْنَىٰ عَنكُمْ جَمْعُكُمْ وَمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ ﴿٤٨﴾ أَهَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَقْسَمْتُمْ لَا يَنَالُهُمُ ٱللَّهُ بِرَحْمَةٍ ۚ ٱدْخُلُواْ ٱلْجَنَّةَ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ وَلَآ أَنتُمْ تَحْزَنُونَ﴾[الأعراف: ٤٨-٤٩].

* * *

المبحث الثاني

العذاب النفسي في توبيخ المؤمنين لهم في النار

تتوالى نداءات التوبيخ والتقريع والعذاب النفسي على أهل النار، فكما أنهم نالوا نصيبًا من التقريع والتوبيخ من الجبار جل وعلا وملائكته وأصحاب الأعراف يناهم نصيب من التوبيخ والتقريع من أهل الجنة قال تعالى: ﴿وَنَادَىٰٓ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ أَصْحَٰبَ ٱلنَّارِ أَن قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا فَهَلْ وَجَدتُّم مَّا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا﴾[الأعراف:٤٤]، فيجيبون بندم وتحسرٍ وألمٍ نفسي (نعم) قد وجدنا ما وعد ربنا من الخزي والعذاب الأليم.

فعن ابن عباس قال: قوله ﴿وَنَادَىٰٓ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ أَصْحَٰبَ ٱلنَّارِ أَن قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا فَهَلْ وَجَدتُّم مَّا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا﴾ وذلك أن الله وعد أهل الجنة النعيم والكرامة وكل خير علمه الناس أو لم يعلموه، ووعد أهل النار كل خزي وعذاب علمه الناس أو لم يعلموه فذلك قوله: ﴿وَءَاخَرُ مِن شَكْلِهِۦٓ أَزْوَٰجٌ﴾ [ص:٥٨] قال: ﴿وَنَادَىٰٓ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ أَصْحَٰبَ ٱلنَّارِ أَن قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا﴾ فهل وجدتم ما وعدنا ربنا حقًا من النعيم والكرامة[١].

قال أبو حيان عن هذه الآية: عبر بالماضي عن المستقبل لتحقق وقوعه وهذا النداء فيه تقريع وتوبيخ وتوقيف على ما آل الفريقين وزيادة في كرب أهل النار بأن شرفوا عليهم وبخلق إدراك أهل النار لذلك النداء في أسماعهم[٢].

وقال الرازي: والغرض من هذا السؤال إظهار أنه وصل إلى السعادات الكاملة وإيقاع الحزن في قلب العدو[٣].

---

(١) تفسير الطبري: (٨/ ٢٣٨).

(٢) البحر المحيط: (٤/ ٣٠٢).

(٣) مفاتيح الغيب: (١٤/ ١٩).

وقال البيضاوي[١] في هذه الآية: وإنما قالوه تبجحًا بحالهم وشماتة بأصحاب النار وتحسيرًا لهم[٢].

وقال الزمخشري: وإنما قالوا لهم ذلك اغتباطًا بحالهم وشماتة بأصحاب النار، وزيادة في غمهم[٣].

وقال الشوكاني: مناداة أصحاب الجنة لأصحاب النار لم تكن لقصد الإخبار لهم بما نادوهم به، بل لقصد تبكيتهم وإيقاع الحسرة في قلوبهم، و﴿أَن قَدْ وَجَدْنَا﴾ هو نفس النداء: أي إنا قد وصلنا إلى ما وعدنا الله به من النعيم، فهل وصلتم إلى ما وعدكم الله به من العذاب الأليم، والاستفهام هو للتقريع والتوبيخ[٤].

وقال ابن عاشور في قوله ﴿أَن قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا﴾: مستعمل في لازم معناه وهو الاغتباط بحالهم، وتنغيص أعدائهم بعلمهم برفاهية حالهم[٥].

وموقف آخر لنداء التوبيخ والتقريع وهو لرجل مؤمن من أهل الجنة

---

(١) هو القاضي العلامة عبدالله بن عمر بن محمد بن علي قاضي القضاة، ناصر الدين أبو الخير البيضاوي، صاحب التصانيف وعالم أذربيجان وشيخ تلك الناحية، ولي قضاء شيراز، قال السبكي: كان إمامًا مبرزًا نظارًا خيرًا صالحًا متعبدًا، من مصنفاته (شرح المصابيح) و(شرح المحصول) و(أنوار التنزيل وأسرار التأويل)، توفي في تبريز سنة إحدى وتسعين وستمائة، وقيل: سنة خمس وثمانين وستمائة، وقيل غير ذلك.

طبقات الشافعية: (٢/ ٢٨)، البداية والنهاية: (١٣/ ٣٤٤)، مرآة الجنان: (٤/ ١٦٥)، شذرات الذهب: (٥/ ٣٩٢)، كشف الظنون: (١/ ٢٥٠).

(٢) تفسير البيضاوي: (٢/ ٨٠).

(٣) الكشاف: (٢/ ١٠١).

(٤) فتح القدير: (٢/ ٦٠٥-٦٠٦).

(٥) التحرير والتنوير: (٨/ ١٠٤).

ينادي صديقًا له من أهل النار كان يعرفه في الدنيا رآه في سواء الجحيم وقد قص الله علينا هذا الحوار عن هذا الرجل المؤمن حين يخبر أهل الجنة حين يتقابلون في الجنة عن صديقه في الدنيا ﴿قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ ۝٥١ يَقُولُ أَءِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُصَدِّقِينَ﴾ هل أنت مصدق بيوم الدين ﴿أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَدِينُونَ﴾ أي: مبعوثون ومحاسبون، ثم يقول لأهل الجنة ﴿قَالَ هَلْ أَنتُم مُّطَّلِعُونَ﴾ أي: لأهل النار ﴿فَٱطَّلَعَ﴾ هذا الرجل المؤمن ﴿فَرَءَاهُ فِي سَوَآءِ ٱلْجَحِيمِ﴾ رأى صاحبه الذي كان حريصًا على إغوائه وضلاله رآه في النار، فقال له توبيخًا وتقريعًا وإيلامًا نفسيًّا له ﴿تَٱللَّهِ إِن كِدتَّ لَتُرْدِينِ﴾ يقسم له أنك كدت تهلكني، ثم يذكره بما أنعم الله عليه إذ نجاه الله من إغوائه ﴿وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّي لَكُنتُ مِنَ ٱلْمُحْضَرِينَ﴾[الصافات: ٥٧].

ثم وبخه ﴿أَفَمَا نَحْنُ بِمَيِّتِينَ ۝٥٨ إِلَّا مَوْتَتَنَا ٱلْأُولَىٰ﴾ التي كانت في الدنيا ﴿وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ﴾ كالكفار.

أخرج ابن أبي حاتم عن قتادة قال: ذكر لنا أن كعب[١] الأحبار رَحِمَهُ ٱللَّهُ قال: في الجنة كوى، فإذا أراد أحد من أهلها أن ينظر إلى عدوه في النار، اطلع فازداد شكرًا[٢].

---

(١) هو كعب بن مانع الحميري، أبو إسحاق المعروف بكعب الأحبار، تابعي مشهور أدرك النبي ﷺ ولم يره، وأسلم في خلافة عمر، وكان على دين يهود فأسلم، وقدم المدينة ثم خرج إلى الشام فسكن حمص حتى توفي بها، كان خبيرًا بكتب اليهود، له ذوق في معرفة صحيحها من باطلها في الجملة، قال النووي: واتفقوا على كثرة علمه وتوثيقه، وكان قبل إسلامه على دين يهود، وكان يسكن اليمن، توفي بها سنة اثنين وثلاثين في خلافة عثمان وقد بلغ مائة سنة وأربع سنين.

أسد الغابة: (٣/ ٥٣٧)، الثقات: (٥/ ٣٣٣)، تهذيب الأسماء واللغات، ص: (٥٣٨)، تهذيب الكمال: (٦/ ١٦٩)، الإصابة: (٥/ ٤٨١).

(٢) تفسير ابن أبي حاتم: (١٠/ ٣٢١٦).

وأخرج عبدالرزاق[1] في تفسيره عن قتادة رحمه الله في قوله ﴿قَالَ هَلْ أَنتُم مُّطَّلِعُونَ﴾ قال: سأل ربه أن يطلعه ﴿فَاطَّلَعَ فَرَءَاهُ فِي سَوَآءِ الْجَحِيمِ﴾ يقول: في وسطها فرأى جماجمهم تغلي فقال: فلا...! فلولا أن الله عرفه إياه لما عرفه لقد تغير خبره وسبره[2].

وهناك نوع آخر من التوبيخ والتقريع والعذاب النفسي لأهل النار وهو السخرية والاستهزاء والضحك منهم، فطالما سخروا واستهزءوا وضحكوا من المؤمنين في الحياة الدنيا، فالجزاء من جنس العمل قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا يَضْحَكُونَ ۝ وَإِذَا مَرُّوا بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ ۝ وَإِذَا انقَلَبُوا إِلَى أَهْلِهِمُ انقَلَبُوا فَكِهِينَ ۝ وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوا إِنَّ هَؤُلَاءِ لَضَالُّونَ ۝ وَمَا أُرْسِلُوا عَلَيْهِمْ حَافِظِينَ ۝ فَالْيَوْمَ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ﴾[المطففين: ٢٩-٣٤].

قال ابن عباس رضي الله عنه: إن السور الذي بين الجنة والنار يفتح فيه أبواب، فينظر كيف يعذبون، فيضحكون منهم، فيكون ذلك مما أقر الله به أعينهم، كيف ينتقم الله منهم[3].

وقال كعب: بين الجنة والنار كوى، فإذا أراد المؤمن أن ينظر إلى عدو له كان

---

(١) هو أبو بكر عبدالرزاق بن همام بن نافع الصنعاني، مولى حمير، قال السمعاني: ما رحل الناس إلى أحد بعد رسول الله ﷺ مثل ما رحلوا إليه، قال النسائي: فيه نظر لمن كتب عنه بآخره روى عنه أحاديث مناكير، وقال الدارقطني: ثقة لكنه يخطئ على معمر في أحاديث، وقال البخاري: ما حدث عنه عبدالرزاق من كتابه فهو أصح. مات سنة إحدى عشرة ومائتين باليمن.

وفيات الأعيان: (٢/ ١٠٣)، تهذيب الكمال: (٤/ ٤٩٨)، ميزان الاعتدال: (٤/ ٣٤٢)، الكاشف: (٢/ ١٧١)، تهذيب التهذيب: (٢/ ٥٧٢).

(٢) تفسير عبدالرزاق: (٣/ ٩٣-٩٤) ورواه ابن أبي حاتم في تفسيره: (١٠/ ٣٢١٦).

(٣) تفسير الطبري: (٣٠/ ١٣٩).

في الدنيا اطلع عليه من تلك الكوى كما قال: ﴿فَٱطَّلَعَ فَرَءَاهُ فِي سَوَآءِ ٱلْجَحِيمِ﴾، فإذا اطلعوا من الجنة إلى أعدائهم وهم يعذبون في النار ضحكوا، فذلك قوله ﷻ ﴿فَٱلْيَوْمَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنَ ٱلْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ﴾[١].

وقيل في أسباب هذا الضحك وجوه:

أحدها: أن الكفار كانوا يضحكون على المؤمنين في الدنيا بسبب ما هم فيه من الضرر والبؤس وفي الآخرة يضحك المؤمنون على الكافرين بسبب ما هم فيه من أنواع العذاب والبلاء، ولأنهم علموا أنهم كانوا في الدنيا على غير شيء، وأنهم قد باعوا باقيًا بفانٍ ويرون أنفسهم قد فازوا بالنعيم المقيم ونالوا بالتعب اليسير راحة الأبد، ودخلوا الجنة فأجلسوا على الأرائك ينظرون إليهم كيف يعذبون في النار وكيف يصطرخون فيها ويدعون بالويل والثبور ويعلن بعضهم بعضًا.

الثاني: يقال لأهل النار وهم فيها اخرجوا وتفتح لهم أبوابها، فإذا رأوها قد فتحت أقبلوا إليها يريدون الخروج، والمؤمنون ينظرون إليهم على الأرائك، فإذا انتهوا إلى أبوابها غلقت دونهم، فذاك هو سبب الضحك[٢].

وقال ابن القيم: وتأمل كيف قابل سبحانه ما قاله الكفار في أعدائهم في الدنيا وسخروا به منهم، بضده في القيامة، فإن الكفار كانوا إذا مر بهم المؤمنون يتغامزون ويضحكون منهم ﴿وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوٓاْ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَضَآلُّونَ﴾ فقال تعالى: ﴿فَٱلْيَوْمَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنَ ٱلْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ﴾ مقابلة لتغامزهم وضحكهم منهم[٣].

---

(١) معالم التنزيل: (٨/ ٣٦٩).

(٢) مفاتيح الغيب: (٣١/ ٩٣)، تفسير لباب التأويل: (٦/ ٣٨٩)، الجواهر والدرر: (٢١/ ٣٣٣).

(٣) إغاثة اللهفان، ابن القيم (١/ ٣٦).

وحسبك بعد هذا كله أن نظر أهل النار لأهل الجنة ورؤية ما هم فيه من النعيم هو نوع من العذاب النفسي حينما يقيسون ما هم فيه من العذاب والنكال والخزي وما فيه أهل الجنة من النعيم والرضوان والسعادة الأبدية.

قال الفخر الرازي في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى ظِلَٰلٍ وَعُيُونٍ ﴿٤١﴾ وَفَوَٰكِهَ مِمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٤٢﴾ كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ هَنِيٓـًٔۢا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٤٤﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ﴾ [المرسلات: ٤١-٤٥].

قال: اعلم أن هذا هو النوع الثامن: من أنواع تهديد الكفار وتعذيبهم، وذلك لأن الخصومة الشديدة والنفرة العظيمة كانت في الدنيا قائمة بين الكفار والمؤمنين، فصارت تلك النفرة بحيث إن الموت كان أسهل على الكافر من أن يرى للمؤمن دولة وقوة، فلما بين الله تعالى في هذه السورة اجتماع أنواع العذاب والخزي والنكال على الكفار، بين في هذه الآية اجتماع أنواع السعادة والكرامة في حق المؤمنين حتى إن الكافر حال ما يرى نفسه في غاية الذل والهوان والخزي والخسران، ويرى خصمه في نهاية العز والكرامة والرفعة والمنقبة تتضاعف حسرته وتتزايد غمومه وهمومه، وهذا أيضًا من جنس العذاب الروحاني، فلهذا قال في هذه الآية ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ﴾[1].

* * *

(١) مفاتيح الغيب: (٣١/ ٩٣).

الفصل الرابع

العذاب النفسي في توبيخ أهل النار بعضهم لبعض

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: العذاب النفسي في تبرؤ إبليس منهم في النار.

المبحث الثاني: العذاب النفسي في لعن بعضهم بعضًا في النار.

المبحث الثالث: العذاب النفسي في تخاصم وعتاب أهل النار.

المبحث الأول

العذاب النفسي في تبرؤ إبليس منهم في النار

إن الشيطان هو العدو الأول والأخطر على بني آدم، فعداوته ممتدة من زمن الأبوين آدم وحواء عليهما السلام، ومستمرة إلى قيام الساعة، فقد كنَّ لهما العداء، فكان سببًا في إغوائهما وإخراجهما من الجنة، مع أن الله ﷻ أخبرهما بعداوته فقال: ﴿ فَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ إِنَّ هَٰذَا عَدُوٌّ لَّكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ ٱلْجَنَّةِ فَتَشْقَىٰٓ ﴾[طه: ١١٧].

ثم هذا الخبيث اللعين حينما أطرد من الجنة توعد أبناء آدم عليه السلام بالإغواء وأقسم على ذلك فقال ﴿ قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴾[ص:٨٢-٨٣] وقال ﴿ قَالَ أَرَءَيْتَكَ هَٰذَا ٱلَّذِى كَرَّمْتَ عَلَىَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلًا ﴾[الإسراء: ٦٢].

ورحمة ببني آدم أخبرهم ﷻ بعداوته ونهاهم عن طاعته فقال: ﴿ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا ۚ إِنَّمَا يَدْعُوا۟ حِزْبَهُۥ لِيَكُونُوا۟ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴾ [فاطر: ٦].

وقال محذرًا من وساوسه ﴿ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ كَمَآ أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ ٱلْجَنَّةِ ﴾[الأعراف: ٢٧].

بل نهاهم عن اتباع خطواته فقال: ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴾[البقرة: ٢٠٨].

وقال مُنكرًا على من والاه: ﴿أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِى وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ ۚ﴾[الكهف: ٥٠]، ثم بين لعباده كيفية عداوته فقال: ﴿ وَلَقَدْ

أَضَلَّ مِنكُمْ جِبِلًّا كَثِيرًا﴾[يس: ٦٢] فأي عداوة أشد من عداوته وقد شهد اللعين على نفسه بعداوته لبني آدم فقال ﴿فَبِمَآ أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝١٦ ثُمَّ لَءَاتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَٰنِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْ ۖ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَٰكِرِينَ﴾[الأعراف: ١٦-١٧].

وأي عداوة أشد من عداوته وهو يحزن بعبادة وطاعة بني آدم لربهم، فقد روى أبو هريرة ﷺ أنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إذا قرأ ابن آدم السجدة فسجد، اعتزل الشيطان يبكي، يقول: يا ويلهُ** وفي رواية أبي كريب[1] **يا ويلي، أمر ابن آدم بالسجود فسجد فله الجنة، وأمرت بالسجود فأبيت فلي النار**»[2].

ومع هذا التحذير الرباني لبني آدم من اتباع الشيطان إلا أنه تسلط عليهم بالإغواء والإضلال فأزهم إلى المعاصي والكفر أزًا، فكانوا من حزبه وأوليائه في الدنيا والآخرة، ولكن هذا اللعين بعد إضلالهم وإغوائهم يتبرأ منهم ﴿كَمَثَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ إِذْ قَالَ لِلْإِنسَٰنِ ٱكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيٓءٌ مِّنكَ إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾[الحشر:١٦] هذا في الدنيا.

فقد روى علي ابن أبي طالب ﷺ قال: كَانَ رَاهِبٌ يَتَعَبَّدُ فِي صَوْمَعَةٍ وَامْرَأَةٌ

---

(١) هو محمد بن العلاء بن كريب أبو كريب الهمذاني الكوفي، أخرج له البخاري قال أبو حاتم الرازي: صدوق، قال الحسن بن سفيان: سمعت ابن نمير يقول: ما بالعراق أكثر حديثًا من أبي كريب، ولا أعرف بحديث بلدنا منه، وقال أبو عمرو الخفاف: ما رأيت من المشائخ بعد إسحاق بن إبراهيم أحفظ منه، وقال مسلمة بن قاسم: كوفي ثقة، ونعته الذهبي بالحافظ الثقة الإمام شيخ المحدثين، مات في جمادى الآخرة سنة ثمان وأربعين ومائتين.

الجرح والتعديل: (٨/ ٥٢)، الثقات: (٩/ ١٠٥)، تهذيب الكمال: (٦/ ٤٦٦)، تهذيب التهذيب: (٣/ ٦٦٧)، تقريب التهذيب، ص: (٤٣٥).

(٢) رواه مسلم، كتاب الإيمان، باب (إطلاق اسم الكفر على من ترك الصلاة) رقم (٨١) (١/ ٨٥).

زَيَّنَتْ لَهُ نَفْسَهَا فَوَقَعَ عَلَيْهَا فَحَمَلَتْ فَجَاءَهُ الشَّيْطَانُ، فَقَالَ: اقْتُلْهَا فَإِنَّهُمْ إِنْ ظَهَرُوا عَلَيْكَ افْتَضَحْتَ فَقَتَلَهَا فَدَفَنَهَا، فَجَاؤُوهُ فَأَخَذُوهُ فَذَهَبُوا بِه فَبَيْنَمَا هُمْ يَمْشُونَ إِذْ جَاءَهُ الشَّيْطَانُ، فَقَالَ: أَنَا الَّذِي زَيَّنْتُ لَكَ فَاسْجُدْ لِي سَجْدَةً أُنْجِيكَ فَسَجَدَ لَهُ، فَأَنْزَلَ اللهُ ﷻ: ﴿كَمَثَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ إِذْ قَالَ لِلْإِنسَٰنِ ٱكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيٓءٌ مِّنكَ﴾[1].

وأما في الآخرة فإنه بعد دخول أهل الجنة الجنة، وأهل النار النار يقوم في أهل النار خطيبًا فيُعلن براءته منهم فيزيدهم غمًّا على غم، وحزنًا على حزن، وألمًا نفسيًّا والعياذ بالله قال تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلشَّيْطَٰنُ لَمَّا قُضِيَ ٱلْأَمْرُ إِنَّ ٱللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ ٱلْحَقِّ وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ ۖ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَٰنٍ إِلَّآ أَن دَعَوْتُكُمْ فَٱسْتَجَبْتُمْ لِي ۖ فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوٓا۟ أَنفُسَكُم ۖ مَّآ أَنَا۠ بِمُصْرِخِكُمْ وَمَآ أَنتُم بِمُصْرِخِيَّ ۖ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَآ أَشْرَكْتُمُونِ مِن قَبْلُ ۗ إِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[إبراهيم: ٢٢].

وعن عقبة بن عامر ﷺ عن النبي ﷺ: «**يقول الكافر: هذا قد وجد المؤمنون من يشفع لهم، فمن يشفع لنا؟ ما هو إلا إبليس هو الذي أضلنا، فيأتون إبليس فيقولون: هذا قد وجد المؤمنون من يشفع لهم، ثم يقول الكافرون: فقم أنت واشفع لنا فإنك أضللتنا، فيثور مجلسه من أنتن ريح شمها أحد قط، ثم يعظم لجهنم، فيقول الشيطان لما قضي الأمر ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ ٱلْحَقِّ وَوَعَدتُّكُمْ**

(١) رواه الحاكم في المستدرك، تفسير سورة الحشر، حكاية إغواء الشيطان راهبًا، رقم (٥٤٥٣) (٢/٥٢٦)، وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي فقال في التخليص: صحيح، ورواه البيهقي في شعب الإيمان، رقم (٥٤٥٣)، (٤/١٩٠٧-١٩٠٨)، وذكره ابن حجر في (المطالب العالية) (٨/ ٢٨٩).

قلت: ولعلهم أرادوا أن الآية تتناوله بعمومها أو إن هذا المعنى داخل في حكمها، وإلا فالأصل في السببية ما نزلت الآية زمن حدوثها، والله أعلم.

﴿فَأَخْلَفْتُكُمْ﴾ وذكر النبي ﷺ قراءة المنافقين والفجار فبين ما يتأكلون بقراءتهم فلا يرتابن أحد في خلق المنافقين أصحاب الجحيم وأعمالهم»[١].

وعن عامر[٢] في هذه الآية: ﴿مَّآ أَنَا۠ بِمُصْرِخِكُمْ وَمَآ أَنتُم بِمُصْرِخِيَّ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَآ أَشْرَكْتُمُونِ مِن قَبْلُ﴾ قال: خطيبان يقومان يوم القيامة: إبليس، وعيسى ابن مريم، فأما إبليس فيقوم في حزبه فيقول هذا القول، وأما عيسى عليه السلام فيقول: ﴿مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَآ أَمَرْتَنِي بِهِۦٓ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾[٣].

وعن الشعبي أيضًا في قوله: ﴿مَّآ أَنَا۠ بِمُصْرِخِكُمْ وَمَآ أَنتُم بِمُصْرِخِيَّ﴾ قال: خطيبان يقومان يوم القيامة فأما إبليس فيقول هذا، وأما عيسى فيقول: ﴿مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَآ أَمَرْتَنِي﴾[٤].

وعن الحسن في قوله: ﴿وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَٰنٍ﴾ قال: إذا كان يوم القيامة قام إبليس خطيبًا على منبر من نار، فقال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ ٱلْحَقِّ وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ﴾ إلى قوله ﴿وَمَآ أَنتُم بِمُصْرِخِيَّ﴾ قال: بناصري ﴿إِنِّي كَفَرْتُ بِمَآ أَشْرَكْتُمُونِ مِن قَبْلُ﴾، قال: بطاعتكم إياي

---

(١) رواه البخاري في (خلق أفعال العباد)، باب قول الله جل ذكره عن أهل النار (ونادوا يا مالك) (٢/ ٣٠٧-٣٠٨)، ورواه الطبراني في الكبير، رقم (٧٨٨) (١٧/ ٣٢٠-٣٢١)، ورواه الدارمي في سننه، رقم (٢٨٣٨)، ص: (٤٠٢)، ورواه الهيثمي في مجمع الزوائد (١٠/ ٣٧٦) وقال: رواه الطبراني وفيه عبدالرحمن بن زياد بن أنعم وهو ضعيف.

(٢) هو الشعبي وقد سبقت ترجمته.

(٣) تفسير الطبري: (١٣/ ٢٠٥).

(٤) المرجع السابق: (١٣/ ١٥٢).

في الدنيا[(١)].

وقال محمد بن كعب القرظي في قوله: ﴿ وَقَالَ ٱلشَّيْطَٰنُ لَمَّا قُضِيَ ٱلْأَمْرُ إِنَّ ٱللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ ٱلْحَقِّ ﴾، قال: قام إبليس يخطبهم فقال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ ٱلْحَقِّ ﴾، إلى قوله: ﴿مَّآ أَنَا۠ بِمُصْرِخِكُمْ ﴾ يقول: بمغن عنكم شيئا، ﴿وَمَآ أَنتُم بِمُصْرِخِيَّ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَآ أَشْرَكْتُمُونِ مِن قَبْلُ ﴾ قال: فلما سمعوا مقالته مقتوا أنفسهم، قال فنودوا ﴿لَمَقْتُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ مِن مَّقْتِكُمْ أَنفُسَكُمْ ﴾[غافر: ١٠][(٢)].

وقال عبدالرحمن بن زيد: خطيب السوء إبليس الصادق، أفرأيتم صادقًا لم ينفعه صدقه ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ ٱلْحَقِّ وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَٰنٍ ﴾ أقهركم به، ﴿إِلَّآ أَن دَعَوْتُكُمْ فَٱسْتَجَبْتُمْ لِي ﴾ قال: أطعتموني ﴿فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوٓا۟ أَنفُسَكُم ﴾حين أطعتموني ﴿مَّآ أَنَا۠ بِمُصْرِخِكُمْ ﴾ ما أنا بناصركم ولا مغيثكم ﴿وَمَآ أَنتُم بِمُصْرِخِيَّ ﴾ وما أنتم بناصري ولا مغيثي لما بي ﴿إِنِّي كَفَرْتُ بِمَآ أَشْرَكْتُمُونِ مِن قَبْلُ إِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾[(٣)].

قال ابن كثير: فقام فيهم إبليس لعنه الله يومئذ خطيبًا ليزيدهم حزنًا إلى حزنهم، وغبنًا إلى غبنهم، وحسرة إلى حسرتهم[(٤)].

وقال الشوكاني: ولقد قام لهم الشيطان في هذا اليوم مقامًا يقصم ظهورهم ويقطع قلوبهم، فأوضح لهم:

---

(١) المرجع السابق: (١٣/ ٢٥١-٢٥٢).

(٢) تفسير الطبري: (١٣/ ٢٥٢).

(٣) المرجع السابق: (١٣/ ٢٥٣).

(٤) تفسير ابن كثير: (٢/ ٤٥٤).

أولًا: أن مواعيده التي كان يعدهم بها في الدنيا باطلة معارضة لوعد الحق من الله سبحانه، وأنه أخلفهم ما وعدهم من تلك المواعيد ولم يف لهم بشيء منها.

ثم أوضح لهم ثانيًا: بأنهم قبلوا قوله بما لا يوجب القبول، ولا ينفق على عقل عاقل لعدم الحجة التي لابد للعاقل منها في قبول غيره.

ثم أوضح ثالثًا: بأنه لم يكن منه إلا مجرد الدعوة العاطلة عن البرهان الخالية عن أيسر شيء مما يتمسك به العقلاء.

ثم نعى عليهم رابعًا: ما وقعوا فيه، ودفع لومهم له وأمرهم بأن يلوموا أنفسهم، لأنهم هم الذين قبلوا الباطل البحت الذي لا يلتبس بطلانه على من له أدنى عقل.

ثم وضح لهم خامسًا: بأنه لا نصر عنده ولا إغاثة ولا يستطيع لهم نفعًا ولا يدفع عنهم ضرًا، بل هو مثلهم في الوقوع في البلية والعجز عن الخلوص عن هذه المحنة.

ثم صرح لهم سادسًا: بأنه قد كفر بما اعتقدوه فيه وأثبتوه له فتضاعفت عليهم الحسرات، وتوالت عليهم المصائب، وإذا كان جملة ﴿إِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ من تتمة كلامه كما ذهب إليه البعض فهو نوع سابع من كلامه الذي خاطبهم به، فأثبت لهم الظلم، ثم ذكر ما هو جزاؤهم عليه من العذاب الأليم[1].

انظر إلى ما سبق من صور الخزي والوخز والطعن الأليم النافذ، حيث لا يملكون أي الكفار والمنافقين أن يردّوها على الشيطان وقد قضي الأمر وفات الأوان فيتخلى عنهم الشيطان وينفض يده منهم، ويوبخهم، ويحسرهم وهو الذي وعدهم من قبل ونهاهم ووسوس لهم أن لا غالب لهم، فأما الساعة فما هو بملبيهم إذا صرخوا، كما أنهم لن يُنجدوه إذا صرخ.

---

(١) فتح القدير: (١/ ٩٤٩-٩٥٠).

المبحث الثاني

العذاب النفسي في لعن بعضهم بعضًا في النار

حسرات أهل النار وعذابهم النفسي في النار لا تنتهي فعندما يرى بعضهم بعضًا يتراشقون بالسباب والتلاعن فيما بينهم وتنقطع بينهم أواصر المودة والرحمة، فكل يرى أن صاحبه هو سبب إغوائه وشقائه، فكل أمة تلعن أختها، فاليهود يلعنون اليهود، والنصارى يلعنون النصارى، والصابئون يلعنون الصابئين، والمشركون يلعنون المشركين وهكذا كما قال تعالى: ﴿قَالَ ادْخُلُوا فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُم مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ فِي النَّارِ كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَّعَنَتْ أُخْتَهَا﴾ [الأعراف:٣٨].

قال ابن عباس: يلعنون من كان قبلهم[١].

قال السدي: ﴿كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَّعَنَتْ أُخْتَهَا﴾ يقول: كلما دخلت أهل ملة لعنوا أصحابهم على ذلك الدين يلعن المشركون المشركين واليهود اليهود والنصارى النصارى والصائبون الصابئين والمجوس المجوس، تلعن الآخرة الأولى[٢].

وقال مقاتل: يعني لعنوا أهل ملتهم يلعن المشركون المشركين والنصارى النصارى[٣].

قال أبو حيان: (كلما) للتكرار، ولا يستوي ذلك في الأمة الأولى فاللاحقة تلعن السابقة، أو يلعن بعض الأمة الداخلة بعضها، إلى أن يقول: والمعنى أن

---

(١) زاد المسير: (٣/ ١٩٤).

(٢) انظر: تفسير الطبري: (٨/ ٢٠٥)، لباب التأويل: (٢/ ٥٠٥)، الدر المنثور: (٣/ ٤٥١).

(٣) تفسير السمرقندي: (١/ ٥٣٩)

أهل النار يلعن بعضهم بعضًا ويعادى بعضهم بعضًا ويكفر بعضهم ببعض[١].

وقال الألوسي: فتلعن التابعة المتبوعة التي أضلتها وتلعن المتبوعة التابعة التي زادت في ضلالها.

وعن أبي مسلم[٢] يلعن الأتباع القادة، يقولون أنتم أوردتمونا هذه الموارد فلعنكم الله تعالى[٣].

* * *

---

(١) البحر المحيط: (٤/ ٢٩٨) بتصرف.

(٢) هو أبو مسلم محمد بن بحر، الأصفهاني المعتزلي، الملقب بالحافظ، الكاتب المترسل البليغ المتكلم الجدلي، مولده سنة أربع وخمسين ومائتين، له مصنفات منها (جامع التأويل المحكم التنزيل) على مذهب المعتزلة، وكتاب (جامع رسائله) و(الناسخ والمنسوخ)، مات سنة اثنتين وعشرين وثلاثمائة وهو ابن سبعين سنة.

الوافي بالوفيات: (٢/ ١٧٥)، لسان الميزان: (٥/ ١٠٢)، طبقات المعتزلة، أحمد المرتضى، ص(٩١)، بغية الوعاة: (١/ ٥٩)، معجم الأدباء: (١٨/ ٣٥)، الأعلام: (٦/ ٥٠).

(٣) روح المعاني: (٤/ ٣٥٦).

المبحث الثالث

العذاب النفسي في تخاصم وعتاب أهل النار

المطلب الأول: العذاب النفسي في تخاصمهم في النار

سبق الحديث عن تخاصم وتجادل الرؤساء والأتباع في عرصات يوم القيامة، وهل تظن أن ذلك التخاصم والتجادل فيما بينهم في ذلك الموضع فحسب؟ لا، بل يستمر التخاصم والتجادل والحوارات والتوبيخ والتقريع فيما بينهم وهم في النار والعياذ بالله قال تعالى ﴿ إِنَّ ذَٰلِكَ لَحَقٌّ تَخَاصُمُ أَهْلِ ٱلنَّارِ ﴾ [ص:٦٤].

فيخبرنا ﷻ في كتابه عن الحوارات والمخاصمات التي ستكون بين أهل النار وهم فيها، وما يحصل لهم من العذاب النفسي من تلك المخاصمات، فتارة يعترفون بأنهم كانوا سببًا في هلاك أنفسهم، وتارة يلقون باللوم على الرؤساء والقادة الذين كانوا سببًا في هلاكهم وضلالهم، وتارة يدعون على هؤلاء الرؤساء والقادة بأن يضاعف لهم الله العذاب ويلعنهم لعنًا كبيرًا، **وإليك توضيح ذلك:**

أولًا: تخاصم أهل النار واعترافهم بأنهم كانوا سببًا في هلاك أنفسهم:

قال تعالى: ﴿ فَكُبْكِبُوا۟ فِيهَا هُمْ وَٱلْغَاوُۥنَ ﴿٩٤﴾ وَجُنُودُ إِبْلِيسَ أَجْمَعُونَ ﴿٩٥﴾ قَالُوا۟ وَهُمْ فِيهَا يَخْتَصِمُونَ ﴿٩٦﴾ تَٱللَّهِ إِن كُنَّا لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٩٧﴾ إِذْ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٨﴾ وَمَآ أَضَلَّنَآ إِلَّا ٱلْمُجْرِمُونَ ﴾[الشعراء:٩٤-٩٥].

قال أبو السعود في قوله ﴿ فَكُبْكِبُوا۟ فِيهَا ﴾ أي: أُلقوا في الجحيم على وجوههم مرة بعد أخرى إلى أن يستقروا في قعرها ﴿هُمْ﴾ أي آلهتهم ﴿وَٱلْغَاوُۥنَ﴾ الذين كانوا يعبدونهم، وفي تأخير ذكرهم عن ذكر آلهتهم رمز إلى أنهم يؤخرون عنها في الكبكبة ليشاهدوا سوء حالها فيزدادوا غمًا ﴿ وَجُنُودُ إِبْلِيسَ أَجْمَعُونَ ﴾

أي: شياطينه الذين كانوا يغوونهم ويوسوسون إليهم ويسولون لهم ما هم عليه من عبادة الأصنام وسائر فنون الكفر والمعاصي ليجتمعوا في العذاب حسبما كانوا مجتمعين فيما يوجبه، وقيل: متبعون من عصاة الثقلين، والأول هو الأوجه ﴿أَجْمَعُونَ﴾ تأكيد للضمير ما عطف عليه(١).

وقال البيضاوي في قوله ﴿قَالُوا وَهُمْ فِيهَا يَخْتَصِمُونَ ﴿٩٦﴾ تَاللَّهِ إِن كُنَّا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٩٧﴾ إِذْ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾: والخطاب للمبالغة في التحسر والندامة، والمعنى أنهم مع تخاصمهم في مبدأ ضلالهم معترفون بانهماكهم في الضلالة متحسرون عليها(٢).

وقال ابن عاشور: وضمير الخطاب في ﴿نُسَوِّيكُم﴾ موجه إلى الأصنام وهو من توجيه المتندم الخطاب إلى الشيء الذي لا يعقل ويسمع، والمقصود من ذلك المبالغة في توبيخ نفسه(٣).

ثانيًا: تخاصم أهل النار وتقريع وتوبيخ الضعفاء للرؤساء الذين كانوا سببًا في ضلالهم وهلاكهم:

قال تعالى: ﴿وَإِذْ يَتَحَاجُّونَ فِي النَّارِ فَيَقُولُ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ عَنَّا نَصِيبًا مِّنَ النَّارِ ﴿٤٧﴾ قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُلٌّ فِيهَا إِنَّ اللَّهَ قَدْ حَكَمَ بَيْنَ الْعِبَادِ﴾[غافر:٤٧-٤٨].

قال الفخر الرازي: ﴿وَإِذْ يَتَحَاجُّونَ فِي النَّارِ﴾ والمعنى اذكر يا محمد لقومك ﴿وَإِذْ يَتَحَاجُّونَ﴾ أي يحاجج بعضهم بعضًا، ثم شرح خصومتهم

(١) تفسير أبي السعود: (٦/ ٢٥١-٢٥٢).
(٢) أنوار التنزيل، (٢/ ١٥٩).
(٣) التحرير والتنوير: (١٩/ ١٦٣).

وذلك أن الضعفاء يقولون للرؤساء ﴿إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا﴾ في الدنيا.

قال صاحب «الكشاف»: ﴿تَبَعًا﴾ كخدم في جمع خادم، أو ذوي تبع أي أتباع أو وصفًا بالمصدر ﴿فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ عَنَّا نَصِيبًا مِّنَ النَّارِ﴾ أي: فهل تقدرون على أن تدفعوا أيها الرؤساء عنا نصيبًا من العذاب، واعلم أن أولئك الأتباع يعلمون أن أولئك الرؤساء لا قدرة لهم على ذلك التخفيف، وإنما مقصودهم من هذا الكلام المبالغة في تخجيل أولئك الرؤساء وإيلام قلوبهم؛ لأنهم هم الذين سعوا في إيقاع هؤلاء الأتباع في أنواع الضلالات فعند هذا يقول الرؤساء ﴿إِنَّا كُلٌّ فِيهَا﴾ يعني أن كلنا واقعون في العذاب فلو قدرت على إزالة العذاب عنك لدفعته عن نفسي، ثم يقولون ﴿إِنَّ اللَّهَ قَدْ حَكَمَ بَيْنَ الْعِبَادِ﴾ يعني يوصل إلى كل واحد مقدار حقه من النعيم أو من العذاب[1].

وقال البقاعي في «تفسيره»: ولما أتى بكلام الضعفاء على الأصل، وإشارة مع تصوير الحال؛ لأنه أقطع إلى طول خصامهم لأنه أشد في إيلامهم، فتشوق السامع إلى جوابهم استأنف الخبر عنه بصيغة الماضي تأكيدًا لتحقيق وقوعه ردًّا لما قد يتوهمه الضعيف أن المتكبر له قوة المدافعة وإباء الأنفة فقال ﴿قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُلٌّ فِيهَا إِنَّ اللَّهَ قَدْ حَكَمَ بَيْنَ الْعِبَادِ﴾[2].

وقال ابن عاشور: ويحتمل أن قول الضعفاء ليس مستعملًا في حقيقة الحث على التخفيف عنهم ولكنه مستعمل في التوبيخ[3].

وقال أيضًا: ومعنى قولهم ﴿إِنَّا كُلٌّ فِيهَا﴾ نحن وأنتم مستوون في الكون في النار فكيف تطمعون أن ندفع عنكم شيئًا من العذاب وعلى وجه أن يكون

---

(١) مفاتيح الغيب: (٢٧/ ٦٥).

(٢) الجواهر والدرر: (١٧/ ٨٣-٨٤) بتصرف.

(٣) التحرير والتنوير: (٢٤/ ٢١٠).

قول الضعفاء ﴿إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا﴾ إلى آخره توبيخًا ولومًا لزعمائهم يكون قول الزعماء ﴿إِنَّا كُلٌّ فِيهَا﴾ اعتراف بالغلط، أي: دعوا لومنا وتوبيخنا فقد كفانا أنا معكم في النار وتأكيد الكلام بـ (إن) للاهتمام بتحقيقه أو التنزيل ممن طالبوهم بالغناء عنهم من عذاب النار مع مشاهدتهم أنهم في العذاب مثلهم، منزلة من يحسبهم غير واقعين في النار، وفي هذا التنزيل ضرب من التوبيخ يقولون: ألستم ترونا في النار مثلكم فكيف عنكم[1].

ثالثًا: تخاصم أهل النار ودعاء الضعفاء على الرؤساء بمضاعفة العذاب عليهم ولعنهم لعنًا كبيرًا:

أ- قال تعالى: ﴿يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ يَقُولُونَ يَا لَيْتَنَا أَطَعْنَا اللَّهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولَا ﴿٦٦﴾ وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلَا ﴿٦٧﴾ رَبَّنَا آتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ الْعَذَابِ وَالْعَنْهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا﴾[الأحزاب:٦٦-٦٨].

قال ابن جرير الطبري: يقول تعالى ذكره: وقال الكافرون يوم القيامة في جهنم: ﴿رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا﴾ أئمتنا في الضلالة ﴿وَكُبَرَاءَنَا﴾ في الشرك ﴿فَأَضَلُّونَا السَّبِيلَا﴾ يقول: فأزالونا عن محجة الحق، وطريق الهدى، والإيمان بك، والإقرار بوحدانيتك وإخلاص طاعتك في الدنيا ﴿رَبَّنَا آتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ الْعَذَابِ﴾ يقول: عذبهم من العذاب مثلي عذابنا الذي تعذبنا ﴿وَالْعَنْهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا﴾ يقول: واخزهم خزيًا كبيرًا[2].

ب- قال تعالى: ﴿هَٰذَا فَوْجٌ مُقْتَحِمٌ مَعَكُمْ ۖ لَا مَرْحَبًا بِهِمْ ۚ إِنَّهُمْ صَالُو النَّارِ ﴿٥٩﴾ قَالُوا بَلْ أَنْتُمْ لَا مَرْحَبًا بِكُمْ ۖ أَنْتُمْ قَدَّمْتُمُوهُ لَنَا ۖ فَبِئْسَ الْقَرَارُ ﴿٦٠﴾ قَالُوا رَبَّنَا مَنْ قَدَّمَ لَنَا هَٰذَا فَزِدْهُ عَذَابًا ضِعْفًا فِي النَّارِ﴾[ص:٥٩-٦١].

---

(١) المرجع السابق: (٢٤/ ٢١١).

(٢) تفسير الطبري: (٢٢/ ٦٠).

في هذه الآيات أيضًا مخاصمة ومجادلة بين الرؤساء والأتباع، فهؤلاء الرؤساء بعد دخولهم النار يؤتي بالأتباع فيدخلونها، فتقول خزنة النار للرؤساء ﴿هَٰذَا فَوْجٌ﴾ أي: جماعة داخلة معكم، فيقول الرؤساء لهؤلاء الفوج من الأتباع ﴿لَا مَرْحَبًا بِهِمْ﴾ يدعون عليهم بأن لا تتسع عليهم منازلهم في النار، وهذا من سوء الاستقبال لهؤلاء الأتباع فالأصل أن يرحبوا بهم فقد أطاعوهم في الحياة الدنيا، وأيضًا الترحيب بالقادم من مكارم الأخلاق والذي فيه إشعار للقادم بالبشر والسرور بلقائه، ولكن كان هذا الاستقبال بالدعاء عليهم بالسوء وهذا فيه ما فيه من العذاب النفسي بتلك العبارات السيئة.

قال أبو عبيدة[١]: تقول العرب للرجل: لا مرحبًا بك أي: لا رحبت عليك أي: لا اتسعت[٢].

وقال ابن عاشور في قوله ﴿هَٰذَا فَوْجٌ مُّقْتَحِمٌ مَّعَكُمْ لَا مَرْحَبًا بِهِمْ إِنَّهُمْ صَالُوا النَّارِ﴾: ابتداء كلام حكى به تخاصم المشركين في النار فيما بينهم إذا دخلوها كما دل عليه قوله تعالى في آخره ﴿إِنَّ ذَٰلِكَ لَحَقٌّ تَخَاصُمُ أَهْلِ النَّارِ﴾.

وبه فسر قتادة، وابن زيد، وجريانه بينهم ليزدادوا مقتًا بأن يضاف إلى عذابهم الجسماني عذاب أنفسهم برجوع بعضهم على بعض بالتنديم وسوء المعاملة[٣].

فيرد الأتباع على الرؤساء بعد هذا الاستقبال السيء ﴿بَلْ أَنتُمْ لَا مَرْحَبًا بِكُمْ﴾ أي: أنتم أحق بما قلتم لنا ﴿أَنتُمْ قَدَّمْتُمُوهُ لَنَا﴾ أنتم كنتم سببًا في شقائنا بما زينتموه لنا من العقائد الفاسدة والأعمال السيئة ﴿فَبِئْسَ الْقَرَارُ﴾ تقريع

(١) سبقت ترجمته وهو معمر بن المثنى.
(٢) مجاز القرآن، لأبي عبيدة، ص: (٢٤٤).
(٣) التحرير والتنوير: (٢٣/ ١٧٩).

وتوبيخ وعذاب نفسي أي: بئس المقر في النار لنا ولكم، ثم قال الأتباع من الحنق والغيظ على هؤلاء الرؤساء ﴿رَبَّنَا مَن قَدَّمَ لَنَا هَٰذَا فَزِدْهُ عَذَابًا ضِعْفًا فِي ٱلنَّارِ﴾ أي: يا ربنا من كان سببًا فيها نحن فيه من العذاب فزده عذابًا مضاعفًا في النار والعياذ بالله.

* * *

المطلب الثاني

العذاب النفسي في عتاب الأمة اللاحقة للسابقة في النار

سبق معنا في المطلب السابق الحديث عن مخاصمات ومجادلات الأتباع للرؤساء والرؤساء للأتباع في النار وما يحصل فيها من العذاب النفسي لهم، والآن نتحدث عن مجادلة ومعاتبة الأمم السابقة للأمم اللاحقة، على ما اختاره الإمام الطبري وغيره من المفسرين وهو قول ابن عباس رضي الله عنهما عند تفسيره لهذه الآيات.

قال تعالى: ﴿قَالَ ٱدْخُلُواْ فِىٓ أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُم مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ فِى ٱلنَّارِ ۖ كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَّعَنَتْ أُخْتَهَا ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا ٱدَّارَكُواْ فِيهَا جَمِيعًا قَالَتْ أُخْرَىٰهُمْ لِأُولَىٰهُمْ رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ أَضَلُّونَا فَـَٔاتِهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِّنَ ٱلنَّارِ ۖ قَالَ لِكُلٍّ ضِعْفٌ وَلَٰكِن لَّا تَعْلَمُونَ ﴿٣٨﴾ وَقَالَتْ أُولَىٰهُمْ لِأُخْرَىٰهُمْ فَمَا كَانَ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ فَذُوقُواْ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ﴾[الأعراف:٣٨-٣٩].

ويقول ﷻ: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا ٱدَّارَكُواْ فِيهَا جَمِيعًا﴾ أي: حتى إذا تلاحقوا وتتابعوا واستقروا في النار ﴿قَالَتْ أُخْرَىٰهُمْ لِأُولَىٰهُمْ﴾.

قال ابن عباس: آخر أمة لأول أمة[1]، ﴿رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ أَضَلُّونَا﴾ أي: يا ربنا هؤلاء كانوا سبب إغوائنا وضلالنا في الدنيا ﴿فَـَٔاتِهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِّنَ ٱلنَّارِ﴾ تدعوا الأمة السابقة على الأمة اللاحقة بأن يضاعف الله عليها العذاب، فيجيبهم سبحانه ﴿قَالَ لِكُلٍّ ضِعْفٌ وَلَٰكِن لَّا تَعْلَمُونَ﴾ ثم تجيب الأمة السابقة الأمة اللاحقة فيقولون لهم توبيخًا وتقريعًا وتخجيلًا وزيادة في عذابهم النفسي

(١) زاد المسير:(٣/ ١٩٤).

﴿فَمَا كَانَ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ﴾ فقد ضللتم كما ضللنا وعبدتم من دون الله كما عبدنا، ثم يجيب الله الجميع ﴿فَذُوقُواْ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ﴾.

* * *

الفصل الخامس

صور من العذاب النفسي في النار

وفيه أحد عشر مبحثًا:

المبحث الأول: العذاب النفسي عند احتجاب الله عنهم في النار.

المبحث الثاني: العذاب النفسي في ذبح الموت وتمنيهم له.

المبحث الثالث: طلبهم تخفيف العذاب في النار.

المبحث الرابع: العذاب النفسي في طلبهم الخروج من النار.

المبحث الخامس: العذاب النفسي في محاولتهم الخروج من النار.

المبحث السادس: العذاب النفسي في رؤيتهم لنعيم أهل الجنة وطلبهم من ذلك النعيم.

المبحث السابع: العذاب النفسي في بكاء أهل النار.

المبحث الثامن: العذاب النفسي في الطعام والشراب في النار.

المبحث التاسع: العذاب النفسي في تقييدهم بالأغلال والسلاسل في النار.

المبحث العاشر: العذاب النفسي في لباسهم في النار.

المبحث الحادي عشر: العذاب النفسي في رؤيتهم لبعض ظواهر الدنيا في النار.

المبحث الأول

العذاب النفسي عند احتجاب الله عنهم في النار

سبق أن تحدثنا عن عذابهم النفسي في احتجاب الله عنهم في عرصات يوم القيامة، ونتحدث الآن عن الاحتجاب الأعظم وهو أشد عذاب نفسي يعذب به الكافر والمنافق يوم القيامة وفي النار، بل هو أشد وأعظم من العذاب الحسي.

قال ابن تيمية: فعذاب الحجاب أعظم أنواع العذاب[١].

وقال ابن القيم: فعذاب الحجاب من أعظم أنواع العذاب الذي يعذب به أعداؤه ولذة النظر إلى وجه الله الكريم أعظم أنواع اللذات التي يتنعم بها أولياؤه ولا تقوم حظوظهم من سائر المخلوقات مقام حظهم من رؤيته وسماع كلامه والدنو منه وقربه[٢].

كما أن أعظم نعيم لأهل الجنة هو رؤية الله في الجنة فهؤلاء الكفار والمنافقون يحتجب الله عنهم في النار فلا يرونه قال تعالى: ﴿كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ﴾ [المطففين:١٥].

قال الحسن عن هذه الآية: يكشف الحجاب فينظر إليه المؤمنون والكافرون، ثم يحجب عنه الكافرون وينظر إليه المؤمنون كل يوم غدوة وعشية[٣].

قال الزجاج: وفي هذه الآية دليل على أن الله يُرى في الآخرة، لولا ذلك لما كان في هذه الآية فائدة، ولا خصصت منزلة الكفار بأنهم يحجبون عن

---

(١) مجموع الفتاوى، (١/ ٢٠).

(٢) طريق الهجرتين، ابن القيم ص: (٥٣).

(٣) تفسير ابن كثير: (٤/ ٤١٥).

الله ﷻ، وقال تعالى في المؤمنين: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝٢٢ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ فأعلم الله ﷻ أن المؤمنين ينظرون إلى الله، وأن الكفار يحجبون عنه[1].

وقال الحسين بن الفضل[2]: كما حجبهم في الدنيا عن توحيده حجبهم في الآخرة عن رؤيته[3].

وقال مالك بن أنس: لما حجب أعداءه فلم يروه تجلى لأوليائه حتى رأوه[4].

وقال الشافعي: لما حجب قومًا بالسخط دل على أن قومًا يرونه بالرضى[5].

وقال ابن النجار[6]: فالحجاب عذاب فلا يحجب من لا يعذب، ولو حجب

---

(١) معاني القرآن: (٥/ ٢٩٩).

(٢) هو الحسين بن الفضل بن عمير، البجلي الكوفي، ثم النيسابوري، أبو علي العلامة المفسر الإمام اللغوي المحدث، عالم عصره، ولد قبل الثمانين ومائة، قال الحاكم: كان إمام عصره في معاني القرآن، قال محمد بن القاسم: لو كان الحسين بن الفضل في بني إسرائيل لكان ممن يذكر في عجائبهم، وقال محمد بن يعقوب الحافظ: ما رأيت أفصح لسانًا من الحسين بن الفضل، توفي سنة اثنتين ومائتين، وهو ابن مائة وأربع سنين.

سير أعلام النبلاء: (١٣/ ٤١٤)، العبر: (١/ ٤٠٦)، الوافي بالوفيات: (١٣/ ١٨)، لسان الميزان: (٢/ ٣٧٥)، شذرات الذهب: (٢/ ١٧٨).

(٣) معالم التنزيل: (٨/ ٣٦٦)، تفسير النسفي: (٤/ ٣١٥).

(٤) شرح الكواكب المنيرة، لابن النجار (٣/ ٥١٢).

(٥) المرجع السابق: (٣/ ٥١٢).

(٦) هو العلامة تقي الدين أحمد بن شهاب الدين، الفتوحي المصري الحنبلي المعروف بابن النجار، صاحب «المنتهى»، قال الشعراوي: صحبته أربعين فما رأيت عليه ما يشينه في دينه بل نشأ في عفه وصيانة ودين وعلم وأدب وديانة، يتحرى في العلوم حتى انتهت إليه الرياسة في مذهبه، وأجمع الناس أنه إذا انتقل إلى رحمة الله تعالى مات بذلك فقه الإمام أحمد من مصر، له مصنفات منها (منتهى الإرادات) و(شرح الكوكب المنير)، توفي سنة ثلاث وستين=

الجميع لكان عذابًا[1].

وقال عبدالله بن المبارك[2]: ما حجب الله ﷻ أحدًا عنه إلا عذبه، ثم قرأ ﴿كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴿١٥﴾ ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُوا۟ ٱلْجَحِيمِ ﴿١٦﴾ ثُمَّ يُقَالُ هَٰذَا ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ﴾ قال: بالرؤية[3].

وقال أبو عمران الجوني[4]: إن الله لم ينظر إلى إنسان قط إلا رحمه، ولو نظر

=وتسعمائة.

السحب الوابلة على ضرائح الحنابلة: (١/ ١٥٦)، المدخل إلى مذهب الإمام أحمد بن حنبل، عبدالقادر بدران ص: (٤٦١٦)، مختصر طبقات الحنابلة، ص: (٩٠)، الأعلام: (٦/ ٦)، معجم المؤلفين: (٣/ ٧٣).

(١) انظر: شرح الكواكب المنيرة: (٣/ ٥١٢)، المسودة، أحمد العلاني الحراني، ص: (١٤٨).

(٢) هو الإمام العالم أبو عبدالرحمن عبدالله بن المبارك، الحنظلي مولاهم المروزي الفقيه الحافظ الزاهد العابد ذو المناقب العديدة والسيرة الحميدة، تفقه بسفيان الثوري ومالك بن أنس، وروى عنه الموطأ، وكان كثير الانقطاع محبًا للخلوة شديد الورع، قال أحمد بن حنبل: لم يكن في زمانه ابن المبارك أطلب للعلم منه، وقال شعبة: ما قدم علينا مثله، وقال أبو إسحاق الفزاري: ابن المبارك إمام المسلمين، وعن شعيب بن حرب: ما لقي ابن المبارك مثل نفسه، توفي سنة إحدى وثمانين ومائة.

تهذيب الأسماء واللغات: (١/ ٣٨١)، تاريخ بغداد: (١/ ١٥١)، سير أعلام النبلاء: (٨/ ٣٧٨)، مرآة الجنان: (١/ ٢٩٤)، الديباج المذهب، ص: (٢١٢).

(٣) شرح أصول الاعتقاد، (١/ ٢٨٠).

(٤) هو عبدالله بن حبيب الأزدي، ويقال: الكندي، أبو عمران الجوني البصري، أحد العلماء، روى عن أنس وجندب وربيعة بن كعب صاحب النبي ﷺ، قال يحيى بن معين: ثقة، وقال عبدالرحمن: سألت أبي عن أبي عمران الجوني فقال: صالح، وقال النسائي: ليس به بأس، وقال ابن سعد: كان ثقة وله أحاديث، مات سنة ثلاث وعشرين ومائة، وقيل: سنة ثمانية وعشرين ومائة.

الجرح والتعديل: (٥/ ٣٤٦)، الثقات: (٥/ ١١٧)، تهذيب الكمال: (٤/ ٥٥٠)،........=

إلى أهل النار لرحمهم، ولكن قضى ألا ينظر إليهم[١].

وقال الخازن: والذي ذهب إليه أكثر المفسرين أنهم محجوبون عن رؤية الله، وهذا هو الصحيح، واحتج بهذه الآية من أثبت الرؤية للمؤمنين قالوا: لولا ذلك لم يكن للتخصيص فائدة، ووجه آخر وهو أنه تعالى ذكر الحجاب في معرض الوعيد والتهديد للكفار، وما يكون وعيدًا وتهديدًا للكفار لا يجوز حصوله في حق المؤمنين، فوجب أن لا يحصل هذا الحجاب في حق المؤمنين[٢].

وقال البيهقي: فلما عاقب الكفار بحجبهم عن رؤيته دل على أنه يثيب المؤمنين برفع الحجاب لهم عن أعينهم حتى يروه[٣].

وقال أبو سعيد الدارمي[٤]: إن الكفار كلهم محجوبون عن النظر إلى

= الكاشف: (٢/ ١٨٣)، تهذيب التهذيب: (٢/ ٦٠٩).

(١) السنة لعبدالله بن أحمد (٢/ ٤٦٥)، قال محقق الكتاب محمد بن سعيد القحطاني: إسناده حسن.

تفسير الثعلبي: (٢/ ٨٩)، حلية الأولياء: (٢/ ٣١٤)، صفة النار، لابن أبي الدنيا، ص: (١٥٧).

(٢) لباب التأويل: (٦/ ٣٨٦).

(٣) الاعتقاد، للبيهقي، ص: (١٢٧).

(٤) هو الإمام العلامة الحافظ أبو سعيد عثمان بن سعيد بن خالد بن سعيد، التميمي الدارمي السجستاني، محدث هراة، صاحب المستدرك الكبير، ولد قبل المائتين بيسير، طاف الأرض في طلب الحديث، وأخذ علم الحديث وعلله عن علي ويحيى وأحمد، وفاق أهل زمانه، وكان لهجًا بالسنة بصيرًا بالمناظرة، قال أبو الفضل يعقوب بن إسحاق: ما رأينا مثل عثمان بن سعيد، ولا رأى عثمان مثل نفسه، صنف كتبًا منها (الرد على بشر المريسي) و(الرد على الجهمية) قال أبو زرعة: رزق حسن التصنيف، توفي سنة ثمانين ومائتين، الجرح والتعديل: (٦/ ١٥٣)، طبقات الحنابلة: (١/ ٢٢١)، سير أعلام النبلاء: (١٣/ ٣١٩)، تذكرة الحفاظ: (٢/ ١٤٦)، شذارت الذهب: (٢/ ١٧٦).

الرحمن عزوعلا، وأن أهل الجنة غير محجوبين عنه[١].

وقال البقاعي: ولما بين ما لهم من العذاب الذي هو عذاب القلب الذي لا عذاب أشد منه؛ لأنه يتفرع عنه جميع العذاب، شرع يبين بعض ما تفرع عنه من عذاب القالب مؤكدًا لأجل إنكارهم معبرًا بأداة التراخي إعلامًا بعلو رتبته في أنواع العذاب فقال: ﴿ثُمَّ إِنَّهُمْ﴾ أي: بعد ما شاء من إمهالهم ﴿لَصَالُوا الْجَحِيمِ﴾[٢].

وقال أبو حامد الغزالي: فبالنزوع إلى الدنيا يحجب عن لقاء الله تعالى وعند الحجاب تتسلط عليه نار جهنم، إذ النار غير مسلطة إلا على محجوب.

قال الله تعالى: ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ۝١٥ ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُوا الْجَحِيمِ﴾ فرتب العذاب بالنار على ألم الحجاب، وألم الحجاب كافٍ من غير علاوة النار، فكيف إذا أضيفت العلاوة إليه؟[٣].

وقال أيضًا: فما حال من لا يفرح إلا بالدنيا فتؤخذ منه وتسلم إلى أعدائه؟ ثم يضاف إلى هذا العذاب تحسره على ما فاته من نعيم الآخرة والحجاب عن الله تعالى فإن حب غير الله يحجبه عن لقاء الله والتنعيم به، فيتوالى عليه ألم فراق جميع محبوباته وحسراته من نعيم الآخرة أبد الآباد وذل الرد والحجاب عن الله تعالى، وذلك هو العذاب الذي يعذب به إذا لا يتبع نار الفراق إلا نار جهنم[٤].

وقال ابن القيم: إن غاية الجسد إذا فقد روحه أن يصير معطلًا ميتًا، وكذلك العين تصير معطلة، وأما النفس إذا فقدت كمالها المذكور فإنها تبقى

(١) الرد على الجهمية، للدارمي، ص: (١٠٦).
(٢) الجواهر والدرر: (٢١/ ٣٢٤).
(٣) إحياء علوم الدين: (٤/ ١٦٨٠).
(٤) المرجع السابق: (٤/ ١٩٨٦).

معذبة متألمة، وكلما اشتد حجابها اشتد عذابها وألمها، وشاهد هذا ما يجده المحب الصادق المحبة من العذاب والألم عند احتجاب محبوبه عنه، ولاسيما إذا يئس من قربه وحظي غيره بحبه ووصله هذا مع إمكان التعوض عنه بمحبوب آخر نظيره أو خير منه فكيف بروح فقدت محبوبها الحق الذي لم تخلق إلا لمحبته ولا كمال لها ولا صلاح أصلًا، إلا بأن يكون أحب إليها من كل ما سواه وهو محبوبها الذي لا تعوض منه سواه بوجه ما كما قال القائل:

من كل شيء إذا ضيعته عوض وما من إليه إن ضيعته عوض

ولو لم يكن احتجابه سبحانه عن عبده أشد أنواع العذاب عليه لم يتوعد به أعداءه كما قال تعالى: ﴿كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴿١٥﴾ ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُوا۟ ٱلْجَحِيمِ﴾ فأخبر أن لهم عذابين: أحدهما عذاب الحجاب عنه، والثاني صلي الجحيم، وأحد العذابين أشد من الآخر[١].

وقال في «مدارج السالكين»: وكذلك النار أعاذنا الله منها فإن لأربابها من عذاب الحجاب عن الله وإهانته وغضبه وسخطه والبعد عنه أعظم من التهاب النار في أجسامهم وأرواحهم بل التهاب هذه النار في قلوبهم هو الذي أوجب التهابها في أبدانهم ومنها سرت إليها[٢].

وقال ابن رجب الحنبلي[٣]: أعظم عذاب أهل النار حجابهم عن الله ﷻ

---

(١) مفتاح دار السعادة، ابن القيم، ص: (٤١٥-٤١٦).

(٢) مدارج السالكين: (٢/ ٨١).

(٣) هو الإمام الحافظ المحدث الفقيه الواعظ، زين الدين عبدالرحمن بن أحمد بن رجب بن الحسن، السلامي البغدادي ثم الدمشقي الحنبلي، ولد في بغداد سنة ست وثلاثين وسبعمائة، سمع من أبي الفتح الميدومي وغيره، وأكثر الاشتغال حتى مهر، وكان صاحب عبادة وتهجد، قال ابن حجي: أتقن الفن وصار أعرف أهل عصره بالعلل وتتبع الطرق، وكان لا يخالط أحدًا ولا يتردد إلى أحد، له مصنفات كثيرة منها (شرح الترمذي) و(شرح علل الترمذي) و (طبقات الحنابلة)، مات في رمضان سنة خمس وتسعين وسبعمائة..........=

وإبعادهم عنه وإعراضه عنهم كما أن رضوان الله على أهل الجنة أفضل من كل نعيم الجنة وتجليه لهم ورؤيتهم إياه أعظم من جميع أنواع نعيم الجنة[١].

* * *

= الدرر الكامنة، (٢/ ٣٢٢)، إنباء الغمر: (٣/ ١٧٥)، ذيل طبقات الحفاظ (٥/ ٢٤٣)، شذرات الذهب: (٦/ ٣٣٩)، معجم المؤلفين: (٢/ ٣٢٢).

(١) التخويف من النار، ص: (١٣٣).

المبحث الثاني

العذاب النفسي في ذبح الموت وتمنيهم إياه

وفيه مطلبان:

المطلب الأول

العذاب النفسي في ذبح الموت بين الجنة والنار

قبل أن نشرع في الحديث عن العذاب النفسي على الكافرين والمنافقين في النار بذبح الموت بين الجنة والنار يحسن بنا الحديث عن حقيقة الموت، وسيكون تقسيم هذا المطلب إلى فرعين:

الفرع الأول: حقيقة الموت:

اختلف أهل العلم في حقيقة الموت إلى عدة أقوال:

القول الأول: ذهب القاضي أبو بكر بن العربي[1]، والمازري[2]، وابن

---

(١) هو الحافظ المتبحر ختام علماء الأندلس وآخر أئمتها وحفاظها، محمد بن عبدالله بن محمد ابن صالح الأشبيلي، أبو بكر الفقيه المالكي، له تصانيف في شرح مذهب مالك، وانتهت إليه رياسة مذهب مالك، له مصنفات كثيرة منها (عارضة الأحوذي في شرح الترمذي) و(الجامع لأحكام القرآن)، توفي في فاس سنة ثلاث وأربعين وخمسمائة، وقيل غير ذلك.

وفيات الأعيان: (٢/ ٣٧٠)، الصلة، ص: (٤٥٩)، الديباج المذهب، ص: (٣٧٦)، تذكرة الحفاظ: (٤/ ٦١)، العبر: (٢/ ٤٦٨).

(٢) هو أبو عبدالله محمد بن علي بن عمر، التميمي المازري المالكي، يعرف بالإمام، كان إمام أهل إفريقية وما وراءها من المغرب، وكان آخر المشتغلين من شيوخ إفريقية بتحقيق الفقه، ورتبة الاجتهاد ودقة النظر، مع ما كان يتميز به من حسن الخلق مليح المجلس، له مصنفات منها (شرح كتاب التلقين) و(إيضاح المحصول من برهان الأصول) و(نظم الفرائد في علم العقائد)، مات سنة ست وثلاثين وخمسمائة، وله من العمر ثلاث وثمانون سنة.........=

حجر، والرازي وغيرهم إلى أن الموت عرض من الأعراض[(١)].

القول الثاني: ذهبت المعتزلة إلى أنه عدم محض، وبه قال الزمخشري[(٢)].

القول الثالث: ذهب طائفة من أهل الحديث: إلى أن الموت جسم لا عرض، وأنه مخلوق في صورة كبش، وبه قال أبو الحسن الأشعري، والسفاريني وغيرهما[(٣)].

والذي يترجح عندي والعلم عند الله هو القول الثالث: أن الموت جسم لا عرض وأنه مخلوق في صورة كبش، وإن كنا لا نشاهد حقيقته عند قبض أرواح الموتى فهذا أمر غيبي، قد صح فيه الحديث على ما سيأتي إن شاء الله، وأيضًا ما روى عن ابن عباس والكلبي[(٤)] ومقاتل: أن الموت خلق في صورة كبش لا يمر على أحد إلا مات، وخلق الحياة في صورة فرس لا يمر على شيء إلا حي.

= وفيات الأعيان: (٢/ ٣٦٦)، مرآة الجنان: (٣/ ٢٠٤)، الوافي بالوفيات: (٤/ ١١٠)، الديباج المذهب، ص: (٣٧٤)، شذرات الذهب: (٤/ ١١٤).

(١) انظر: شرح النووي: (١٧/ ١٨٢)، تحفة الأحوذي: (٧/ ٢٧٨)، الفتاوى الحديثية، ابن حجر الهيثمي، ص: (١٣٦)، الحاوي للفتاوى السيوطي: (٢/ ١٨٢).

(٢) انظر: شرح النووي: (١٧/ ١٨٢)، تحفة الأحوذي: (٧/ ٢٧٨)، الحاوي للفتاوى: (٢/ ١٨٢).

(٣) حواشي الشرواني على تحفة المحتاج: (١/ ٣٠٥)، لومع الأنوار البهية: (٢/ ٢٣٦).

(٤) هو محمد بن السائب بن بشر الكلبي، أبو النظر الكوفي، النسابة المفسر، قال البخاري: تركه القطان وابن مهدي، أخرج له أبو داود في المراسيل، والترمذي وابن ماجه في التفسير، له مصنفات منها (التفسير) و(تفسير الآي الذين نزل على قوام بأعيانهم) و(ناسخ القرآن ومنسوخه)، مات سنة ست وأربعين ومائة.

تهذيب الكمال: (٦/ ٣١٨)، وفيات الأعيان: (٢/ ٣٧٦)، التاريخ الصغير: (٢/ ٤٨)، ميزان الاعتدال: (٦/ ١٥٩)، سير أعلام النبلاء: (٦/ ٢٤٨).

وأخرج ابن أبي حاتم في «تفسيره» عن قتادة في قوله تعالى ﴿خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ﴾ قال: الحياة فرس جبريل والموت كبش أملح[١].

قال السفاريني: الذي نذهب إليه أن الموت أمر وجودي وأنه جسم لا عرض، وأنه مخلوق في صورة كبش أملح، وأن الحياة في صورة فرس كما صحت بذلك الأخبار عن النبي المختار، ونقلها الأئمة ودونها الجهابذة الأخيار، على أن كثيرًا من العلماء أشار إلى جميع المعاني المعقولة عندنا مصورة عند الله تعالى بصور الأجسام ومشخصة بهيئة الأشخاص وإن كنا لا نحس ذلك لكوننا محجوبين عنه، والأحاديث النبوية ناطقة بذلك شاهدة له، فإنه قد وردت عدة أخبار أن الأعمال تعرض في صورة أشخاص: الإسلام والصلاة، والصيام، والمعروف، والذكر، فهذا كله يدل على ما ذكرنا وبالله التوفيق[٢].

الفرع الثاني: العذاب النفسي في ذبح الموت بين الجنة والنار:

لا يزال أهل النار في رجاء الفرج والخلاص مما هم فيه من العذاب حتى يذبح الموت بين الجنة والنار فحينها يوقنون باستمرار العذاب، فلو رأيت حالهم عندما يذبح الموت وينادي المنادي: يا أهل النار خلود فلا موت، وما يعتريهم بعد ذلك من الحزن والألم النفسي، وتحقق قول الله فيهم ﴿وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْحَسْرَةِ إِذْ قُضِىَ ٱلْأَمْرُ وَهُمْ فِى غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾[مريم:٣٩].

قال الشنقيطي: ﴿ٱلْحَسْرَةِ﴾: أشد الندم، والتلهف على الشيء الذي فات ولا يمكن تداركه[٣].

---

(١) انظر: لوامع الأنوار البهية: (٢/ ٢٣٦)، الحاوي للفتاوى: (٢/ ١٨٢-١٨٣)، السيرة الحلبية،: (١/ ٥٥٤)، تفسير ابن أبي حاتم: (١٠/ ٣٣٦٣)، مفاتيح الغيب: (٣٠/ ٤٨).

(٢) لوامع الأنوار البهية: (٢/ ٢٣٦).

(٣) أضواء البيان: (٣/ ٤٢٢).

نعم إنه يوم الندم والحزن الذي لا فرح فيه ولا سرور، وكيف يكون فيه فرح وسرور والأمل الذي كانوا يؤملون فيه الخلاص مما هم فيه من العذاب قد ذبح بين الجنة والنار، فليس لهم فيها إلا الخلود الأبدي.

ويوم الحسرة هو وقت ذبح الموت بين الجنة والنار كما جاءت بذلك الأحاديث.

فعن أبي سعيد الخدري ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «يؤتى بِالْمَوْتِ كَهَيْئَةِ كَبْشٍ أَمْلَحَ فَيُنَادِي مُنَادٍ: يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ! فَيَشْرَئِبُّونَ وَيَنْظُرُونَ، فَيَقُولُ: هَلْ تَعْرِفُونَ هَذَا؟ فَيَقُولُونَ: نَعَمْ هَذَا الْمَوْتُ، وَكُلُّهُمْ قَدْ رَآهُ، ثُمَّ يُنَادِي: يَا أَهْلَ النَّارِ! فَيَشْرَئِبُّونَ وَيَنْظُرُونَ، فَيَقُولُ: هَلْ تَعْرِفُونَ هَذَا؟ فَيَقُولُونَ: نَعَمْ هَذَا الْمَوْتُ، وَكُلُّهُمْ قَدْ رَآهُ، فَيُذْبَحُ، ثُمَّ يَقُولُ: يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ خُلُودٌ فَلَا مَوْتَ، وَيَا أَهْلَ النَّارِ خُلُودٌ فَلَا مَوْتَ، ثُمَّ قَرَأَ ﴿وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْحَسْرَةِ إِذْ قُضِىَ ٱلْأَمْرُ وَهُمْ فِى غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾»[1].

وعن عبدالله بن عمر أن رسول الله ﷺ قال: «إِذَا صَارَ أَهْلُ الْجَنَّةِ إِلَى الْجَنَّةِ، وَصَارَ أَهْلُ النَّارِ إِلَى النَّارِ، أُتِيَ بِالْمَوْتِ حَتَّى يُجْعَلَ بَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ، ثُمَّ يُذْبَحُ، ثُمَّ يُنَادِي مُنَادٍ: يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ لَا مَوْتَ، وَيَا أَهْلَ النَّارِ لَا مَوْتَ، فَيَزْدَادُ أَهْلُ الْجَنَّةِ فَرَحًا إِلَى فَرَحِهِمْ وَيَزْدَادُ أَهْلُ النَّارِ حُزْنًا إِلَى حُزْنِهِمْ»[2].

وعن أبي سعيد الخدري ﷺ قال: قرأ رسول الله ﷺ: ﴿وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْحَسْرَةِ﴾ قال: «يُؤْتَى بِالْمَوْتِ كَأَنَّهُ كَبْشٌ أَمْلَحُ حَتَّى يُوقَفَ عَلَى السُّورِ بَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ، فَيُقَالُ: يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ! فَيَشْرَئِبُّونَ، وَيُقَالُ: يَا أَهْلَ النَّارِ! فَيَشْرَئِبُّونَ، فَيُقَالُ:

---

(١) رواه البخاري، كتاب التفسير سورة مريم، باب ﴿وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْحَسْرَةِ﴾، رقم (٤٧٣٠)، ص: (٩٩٦-٩٩٧).

(٢) رواه مسلم، كتاب الجنة، باب (النار يدخلها الجبارون) رقم (٢٨٥٠) (٤/ ١٧٣٦).

هَلْ تَعْرِفُونَ هَذَا؟ فَيَقُولُونَ: نَعَمْ هَذَا الْمَوْتُ، فَيُضْجَعُ فَيُذْبَحُ، فَلَوْلاَ أَنَّ اللهَ قَضَى لأَهْلِ الْجَنَّةِ الْحَيَاةَ فِيهَا وَالْبَقَاءَ لَمَاتُوا فَرَحًا وَلَوْلاَ أَنَّ اللهَ قَضَى لأَهْلِ النَّارِ الْحَيَاةَ فِيهَا وَالْبَقَاءَ لَمَاتُوا تَرَحًا»[١].

وعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «يُؤْتَى بِالْمَوْتِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَيُوقَفُ عَلَى الصِّرَاطِ، فَيُقَالُ: يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ فَيَطَّلِعُونَ خَائِفِينَ وَجِلِينَ أَنْ يُخْرَجُوا مِنْ مَكَانِهِمُ الَّذِي هُمْ فِيهِ، ثُمَّ يُقَالُ: يَا أَهْلَ النَّارِ فَيَطَّلِعُونَ مُسْتَبْشِرِينَ فَرِحِينَ أَنْ يُخْرَجُوا مِنْ مَكَانِهِمُ الَّذِي هُمْ فِيهِ، فَيُقَالُ: هَلْ تَعْرِفُونَ هَذَا؟ قَالُوا: نَعَمْ، هَذَا الْمَوْتُ، قَالَ: فَيُؤْمَرُ بِهِ فَيُذْبَحُ عَلَى الصِّرَاطِ، ثُمَّ يُقَالُ لِلْفَرِيقَيْنِ كِلاَهُمَا: خُلُودٌ فِيمَا تَجِدُونَ، لاَ مَوْتَ فِيهَا أَبَدًا»[٢].

وعن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما أنه كان يقول: يجاء بالموت يوم القيامة كأنه كبش أملح حتى يُجعل بين الجنة والنار، فينادي مناد يسمع أهل الجنة وأهل النار فيقول: هذا الموت قد جئنا ونحن مهلكوه، فأيقنوا يا أهل الجنة وأهل النار أن الموت قد هلك[٣].

---

(١) رواه الترمذي في سننه، كتاب التفسير، باب (ومن سورة مريم) رقم (٣١٥٦)، (٥/ ٢٩٥-٢٩٦) قال أبو عيسى: هذا حديث حسن صحيح، وقال الألباني في (صحيح وضعيف سنن الترمذي) رقم (٣١٥٦) ص: (٧٠٩-٧١٠): صحيح دون قوله (فلولا أن الله قضى).

(٢) رواه أحمد في مسنده، رقم (٧٥٤٦)، (١٢/ ٥٠٨-٥٠٩)، قال الأرناؤوط: صحيح وهذا إسناد حسن، ورواه ابن ماجه في سننه، كتاب الزهد، باب (صفة النار) رقم (٤٣٢٧)، (٢/ ١٤٤٧)، ورواه الحاكم في مستدركه، رقم (٢٧٨)، (١/ ١٥٦) وقال: هذا حديث صحيح على شرط مسلم، وقال الذهبي في التلخيص: على شرط مسلم، وعلته أن يزيد بن هارون رفعه وأوقفه الفضل، ورواه ابن حبان في صحيحه، رقم (٧٤٥٠) ص: (١٩٩٧) قال محققه الأرناؤوط: إسناده قوي.

(٣) تفسير الطبري: (١٥/ ١٢٣).

وكان عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما يقول: إن الله يجيء بالموت يوم القيامة، وقد صار أهل الجنة وأهل النار إلى منازلهم، كأنه كبش أملح، فيقف بين الجنة والنار، فينادى أهل الجنة وأهل النار هذا الموت ونحن ذابحوه، فأيقنوا بالخلود[١].

وعن عبدالرزاق عن معمر[٢] عن الحسن وقتادة: يؤتى بالموت يوم القيامة في صورة كبش، فيقال: يا أهل الجنة هل تعرفون من هذا؟ فيقولون: نعم، ثم يقال: يا أهل النار هل تعرفون من هذا؟ فيقولون: يارب هذا الموت، فيسحط سحطًا (يعني يذبح ذبحًا) ثم يقال: خلود لا موت فيه[٣].

قال ابن حجر: قال القاضي أبو بكر بن العربي: استشكل هذا الحديث لكونه يخالف صريح العقل؛ لأن الموت عرض والعرض ينقلب جسمًا فكيف يذبح؟ فأنكرت طائفة صحة هذا الحديث ودفعته، وتأولته طائفة فقالوا: هذا تمثيل ولا ذبح هناك حقيقة، وقالت طائفة: بل الذبح على حقيقته، والمذبوح متولي الموت وكلهم يعرفه؛ لأنه الذي تولى قبض أرواحهم.

---

(١) المرجع السابق: (١٥/ ١٢٣).

(٢) هو معمر بن سليمان النخعي، أبو عبدالله الرقي، قال الميموني: كناه أحمد وذكر من فضله وهيبته، وقال يحيى بن معين: ثقة، وقال النسائي: ليس به بأس، وقال الآجري عن أبي داود: ثقة، وقال أبوعبيد بن سلام: جلست إلى معمر بن سليمان بالرقة وكان خير من رأيت، وكانت له حاجة إلى بعض الملوك فقيل له: لو أتيته فكلمته فقال: قد أردت إتيانه ثم ذكرت العلم والقرآن فأكبرتهما عن ذلك، قال أبو حاتم: مات في شعبان سنة إحدى وتسعين ومائة.

الثقات: (٩/ ١٩٢)، تهذيب الكمال: (٧/ ١٨٦)، الكاشف: (٣/ ١٤٦)، تهذيب التهذيب: (٤/ ١٢٨)، تقريب التهذيب، ص: (٤٧٣).

(٣) تفسير عبدالرزاق الصنعاني (٣/ ٣٢٥).

قلت [أي ابن حجر]: وارتضى هذا بعض المتأخرين وحمل قوله (هو الموت الذي وكل بنا) على أن المراد به ملك الموت؛ لأنه هو الذي وكل بهم في الدنيا كما قال تعالى في سورة (الم السجدة) واستشهد له من حيث المعنى بأن ملك الموت لو استمر حيًّا لنغص عيش أهل الجنة، وأيده بقوله في حديث الباب «فيزداد أهل الجنة فرحًا إلى فرحهم، ويزداد أهل النار حزنًا إلى حزنهم» وتعقب بأن الجنة لا حزن فيها البتة، وما وقع في رواية ابن حبان «أنهم يطلعون خائفين» إنما هو توهم لا يستقر، ولا يلزم من زيادة الفرح ثبوت الحزن، بل التعبير بالزيادة إشارة إلى الفرح لم يزل، كما أن أهل النار يزداد حزنهم ولم يكن عندهم فرح إلا مجرد التوهم الذي لم يستقر[1].

* * *

(١) فتح الباري: (١١/ ٤٢٨).

المطلب الثاني

تمنيهم الموت في النار

إن أشد من الموت ما يتمنى له الموت، فإن أعداء الله في النار، لما نظروا فلم يجدوا شيئًا بعد الموت إلا والموت أهون منه، سألوا مالكًا متوسلين به أن يسأل ربه أن يقضي عليهم بالموت فيستريحوا من العذاب مع أنهم أيقنوا بالخلود في النار بعد ذبح الموت بين الجنة والنار كما سبق إلا أنهم يعاودون المحاولة لعلهم يجابون إلى ما يطلبون، فيتوجهون إلى مالك خازن النار قال تعالى: ﴿وَنَادَوْا يَٰمَٰلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ ۖ قَالَ إِنَّكُم مَّٰكِثُونَ ﴾[الزخرف:٧٧].

عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى: ﴿وَنَادَوْا يَٰمَٰلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ ﴾ قال: مكث عنهم ألف سنة، ثم قال: ﴿إِنَّكُم مَّٰكِثُونَ ﴾[1].

وعن عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما في قوله تعالى: ﴿وَنَادَوْا يَٰمَٰلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا ﴾ قال: يخلي عنهم أربعين عامًا لا يجيبهم ثم أجابهم: ﴿إِنَّكُم مَّٰكِثُونَ ﴾ فيقولون: ﴿رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَٰلِمُونَ ﴾ قال: فيخلى عنهم مثل الدنيا ثم أجابهم ﴿قَالَ ٱخْسَـُٔوا۟ فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ ﴾ قال: فوالله ما ينبس القوم بعد هذه الكلمة إن كان إلا الزفير والشهيق[2].

قال أبو بكر ابن أبي الدنيا: كان بعض الواعظين يقول إذا حدث بهذا: أنت تحتمل محاورة مالك؟ ومالك المسلط على ما هنالك، في بعد تلك المهالك لست

---

(١) رواه الحاكم في مستدركه، رقم (٣٦٧٧)، (٢/ ٤٨٧) وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي فقال في التلخيص: صحيح.

(٢) رواه الحاكم في مستدركه، رقم (٨٧٧٠)، (٤/ ٦٤٠). وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، ورواه ابن أبي شيبة في مصنفه، رقم (٣٤١١١) (٧/ ٧٢)، ورواه ابن أبي الدنيا في (صفة النار) ص: (١١٢).

عندي كذلك! مالك إن زجر النار التهبت حريقًا لزجره، وتوقدت مستعرة انصياعًا لأمره، واحتدمت تلظيًا على العصاة من غضبه، ومتى يرضى من غضب عليهم لغضب ربه؟ إذ غضب مالك على النار أكل بعضها بعضًا، ولم تَخْبُ من الاستعار على المعذبين خيفة غضبه، أو يرضى؟ ومتى يرضى من فطره الله على طَوَال الغضب عليهم، ومن تعبد الله بما يوصل من أليم الهوان إليهم؟ استغاثوا بمن لا يرحمهم من ضر أصابهم، ولا يرثي لهم من جهد بلاءٍ نزل بهم، ولا يأوي لهم أوي متوجع من نار اطلعت بحرها عليهم، يدعون مالكًا وقد شوهتهم النار غير مرة فأنضجتهم، ثم جددوا لها خلقًا مستأنفًا فأكلتهم.

ليست لمالك همة أيها المستغيث به إلا أن يُري فيها سوءَ مصرعك على الصفا الزلال المحمى عليه بقايا لحم وجهك، ومواقع شُعَبِ الكلاليب انتشبت بحواشي جلدك، واستباق دخانها إذا أخذ بمجامع نفسك ويلك أيها المستغيث بمالك!

إن مالكًا اشتدت سَوْرَةُ غضبه، فهو دائب يشتفى ممن أقدم صراخًا على معصية ربه[1].

* * *

(١) صفة النار، ص: (١١٢-١١٤).

المبحث الثالث

طلبهم تخفيف العذاب من النار

قال محمد بن كعب القرظي: بلغني أو ذكر لي أن أهل النار استغاثوا بالخزنة فقال الله تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ فِى ٱلنَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ٱدْعُوا۟ رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِّنَ ٱلْعَذَابِ﴾[غافر:٤٩].

فسألوا يومًا واحدًا يخفف عنهم فيه العذاب، فردت عليهم: ﴿قَالُوٓا۟ أَوَلَمْ تَكُ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ ۚ قَالُوا۟ فَٱدْعُوا۟ ۗ وَمَا دُعَٰٓؤُا۟ ٱلْكَٰفِرِينَ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ﴾[غافر:٥٠] قال: فلما يئسوا مما عند الخزنة نادوا مالكًا وهو عليهم وله مجلس في وسطها، وجسور تمر عليها ملائكة العذاب، فهو يرى أقصاها كما يرى أدناها فقالوا: ﴿وَنَادَوْا۟ يَٰمَٰلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ ۖ﴾ قال: سألوا الموت، قال: فسكت عنهم لا يجيبهم ثمانين سنة، قال: والسنة ستون وثلاثمائة يوم، والشهر ثلاثون يومًا، واليوم كألف سنة مما تعدون، ثم لحظ إليهم بعد الثمانين فقال إنكم ماكثون[١].

انظر كم مكثوا ينتظرون الجواب وهم في العذاب النفسي من الكرب والهم، ماذا سيرد عليهم مالك؟ ينتظرون جوابًا يفرحهم بالموت، ثم بعد كل هذا الانتظار يأتي الجواب من مالك ﷺ الجواب الذي تمنوا أن لم يكونوا سمعوه ﴿إِنَّكُم مَّٰكِثُونَ﴾ إنكم لابثون في العذاب لا تتخلصون عنه بموت ولا فتور.

قال ابن الجوزي: وفي سكوته عن جوابهم هذه المدة قولان:

أحدها: أنه سكت حتى أوحى الله إليه أن أجبهم، قاله مقاتل.

---

(١) تفسير القرطبي: (١٦/ ١١٧).

والثاني: لأن بعد ما بين النداء والجواب أخزى لهم وأذل[1].

وقال البرسوي: إن تراخي الجواب أحزن لهم[2].

وقال السعدي في قوله: ﴿إِنَّكُم مَّٰكِثُونَ﴾: فلم يحصل لهم ما قصدوه، بل أجابهم بنقيض مقصدهم، وزادهم غمًّا إلى غمهم[3].

* * *

(١) زاد المسير: (٧/ ٣٣٠).

(٢) روح البيان: (٨ / ٤٣٧).

(٣) تيسير الكريم الرحمن، ص: (٧١٥).

المبحث الرابع

العذاب النفسي في طلبهم الخروج من النار

عندما يئس أعداء الله من مالك خازن النار حين سألوه أن يدعو ربه أن يميتهم في النار، فلم يجدوا منه إلا التقريع والتوبيخ والتوعد بالمكث في العذاب الأليم، ولما يئسوا أن يخفف عنهم العذاب توجّهوا بالدعاء إلى الرب جل ثناؤه بأن يخلصهم مما هم فيه، فيدعونه أن يخرجهم من النار، لعله يجيبهم إلى ما طلبوه.

قال الله عنهم: ﴿وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَٰلِحًا غَيْرَ ٱلَّذِى كُنَّا نَعْمَلُ ۚ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَآءَكُمُ ٱلنَّذِيرُ ۖ فَذُوقُوا۟ فَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِن نَّصِيرٍ﴾[فاطر:٣٧] يقول الله عنهم وهم في النار يصيحون من شدة الألم، وكأنهم بصوت واحدٍ قالوا: ربنا أخرجنا من النار وأعدنا إلى الدنيا لكي نعمل الصالحات ونؤمن بك ولا نكذب رسلك، ونعمل أعمالًا غير تلك التي كنا نعملها في الدنيا من الشرك والمعاصي، فيأتيهم التقريع والتوبيخ والعذاب النفسي من الجبار جل وعلا ﴿أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ﴾ أي: جاءتكم الرسل أو النذر التي أرسلتها إليكم من الأمراض أو الشيب أو موت أقاربكم فلم تتعظوا بذلك وتؤمنوا ﴿فَذُوقُوا۟ فَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِن نَّصِيرٍ﴾ فذوقوا العذاب فليس لكم اليوم هاهنا معين وناصر ومخلص لكم من هذا العذاب.

ثم يقص الله علينا سؤالهم الخروج من النار في آية أخرى وما رد الله عليهم فقال ﴿قَالُوا۟ رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَآلِّينَ ﴿١٠٦﴾ رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَٰلِمُونَ ﴿١٠٧﴾ قَالَ ٱخْسَـُٔوا۟ فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ﴾ [المؤمنون:١٠٦-١٠٨].

يقول الله عنهم: ﴿قَالُواْ رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا﴾ يقول هؤلاء الظلمة يا ربنا غلبت علينا لذاتنا وشهواتنا فكانت سببًا في شقائنا، ثم يعترفون اعترافًا صريحًا فيقولون ﴿وَكُنَّا قَوْمًا ضَآلِّينَ﴾ أي: منحرفين عن الحق والإيمان، ثم يتوجهون بالدعاء إلى المولى ﷻ بأن يخرجهم من النار، ومع سؤالهم ذلك إلا أنهم ليسوا متأكدين وجادين من عدم معاودة ما كانوا عليه، فقالوا ﴿رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَٰلِمُونَ﴾.

وهم كاذبون في قولهم ذلك، فإنه تعالى وهو أعلم بهم قال عنهم ﴿وَلَوْ رُدُّواْ لَعَادُواْ لِمَا نُهُواْ عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ﴾[الأنعام:٢٨].

ثم لا يزالون في عذاب نفسي ينتظرون جواب الله بقدر الدنيا مرتين، ثم يأتيهم الجواب بعد ذلك فيقال لهم أعظم أنواع الإهانة ﴿اخْسَـُٔواْ فِيهَا﴾ أي: انزجروا فيها انزجار الكلب.

قال المبرد: الخسئ إبعاد بمكروه[١].

وقال الزجاج: تباعدوا تباعد سخط، يقال: خسئت الكلب أخسئوه إذا زجرته ليتباعد[٢].

وقال القرطبي: أي ابعدوا في جهنم، كما يقال للكلب: اخسأ، أي: ابعد، خسئت الكلب خسئًا طردته[٣].

وقال الشنقيطي: أي امكثوا فيها خاسئين، أي: أذلاء صاغرين حقيرين؛ لأن لفظة اخسأ إنما تقال للحقير الذليل، كالكلب ونحوه[٤].

---

(١) فتح القدير: (٢/ ١٨٩).

(٢) معاني القرآن، (٤/ ٢٤).

(٣) تفسير القرطبي: (١٢/ ١٥٣).

(٤) أضواء البيان: (٥/ ٣٥٩).

﴿وَلَا تُكَلِّمُونِ﴾ فأنتم لستم أهلًا لتكليمي فما يتكلمون بعد ذلك.

عن أبي الدرداء[١] قال: قال رسول الله ﷺ: يلقى على أهل النار الجوع فيعدل ما هم فيه من العذاب، فيستغيثون فيغاثون بطعام من ضريع، لا يسمن ولا يغني من جوع، فيستغيثون بالطعام فيغاثون بطعام ذي غصة، فيذكرون أنهم كانوا يجيزون الغصص في الدنيا بالشراب فيستغيثون بالشراب فيدفع إليهم الحميم بكلاليب الحديد، فإذا دنت من وجوههم شوت وجوههم، فإذا دخلت بطونهم قطعت ما في بطونهم، فيقولون: ادعوا خزنة جهنم، فيقولون: ﴿أَوَلَمْ تَكُ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُم بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا بَلَىٰ قَالُوا فَادْعُوا وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ﴾ قال: فيقولون ادعوا مالكًا، فيقولون ﴿وَنَادَوْا يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ﴾ قال: فيجيبهم ﴿إِنَّكُم مَّاكِثُونَ﴾.

قال الأعمش[٢]: نبئت أن بين دعائهم، وبين إجابة مالك إياهم ألف

---

(١) هو الصحابي الجليل مشهور بكنيته، واختلف في اسمه فقيل: عامر، وقيل: عويمر، وقال بعضهم: عويمر لقب، واختلف في اسم أبيه فقيل: عامر أو مالك أو ثعلبة وغير ذلك، الخزرجي الأنصاري، أسلم يوم بدر وشهد أحدًا وأبلى فيها، ولاه معاوية قضاء دمشق في خلافة عثمان، وكان آخر أهل داره إسلامًا وحسن إسلامه وكان فقيهًا عاقلًا حكيمًا، مات لسنتين بقيتا من خلافة عثمان.

معرفة الصحابة: (٣/ ٤٧٤)، الاستيعاب: (٢/ ١٢٢)، أسد الغابة: (٣/ ٤٣٣)، الإصابة: (٣/ ٤٦٧)، سير أعلام النبلاء: (٢/ ٣٣٥).

(٢) هو سليمان بن مهران الأسدي الكاهلي، أبو محمد مولاهم الكوفي الأعمش، ولد سنة إحدى وستين، قال ابن عيينة: كان الأعمش أقرأهم لكتاب الله وأحفظهم للحديث وأعلمهم بالفرائض، وقال أبو حفص الفلاس: كان الأعمش يسمى المصحف من صدقه، وقال يحيى القطان: هو علامة الإسلام، وقال وكيع: بقي سبعين سنة لم تفته تكبيرة الإحرام، وقال الخريبي: ما خلف الأعمش أعبد منه وكان صاحب سنة، قال العجلي: كان الأعمش ثقة ثبتًا، توفي في ربيع الأول سنة ثمان وأربعين ومائة. ....=

عام، قال: فيقولون ادعوا ربكم فلا أحد خير من ربكم، فيقولون ﴿قَالُوا۟ رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَآلِّينَ﴾ قال: فيجيبهم ﴿ٱخْسَـُٔوا۟ فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ﴾ قال: فعند ذلك يئسوا من كل خير وعند ذلك يأخذون في الزفير والحسرة والويل[1].

وعن عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما قال: إن أهل النار يدعون مالكًا فلا يجيبهم أربعين عامًا، ثم يقول: ﴿إِنَّكُم مَّـٰكِثُونَ﴾ ثم يدعون ربهم فيقولون: ﴿رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَـٰلِمُونَ﴾ فلا يجيبهم مثل الدنيا، ثم يقول: ﴿قَالَ ٱخْسَـُٔوا۟ فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ﴾ ثم ييأس القوم فما هو إلا الزفير والشهيق تشبه أصواتهم أصوات الحمير أولها شهيق وآخرها زفير[2].

= الجرح والتعديل: (٤/ ١٤٦)، تهذيب الكمال: (٣/ ٣٠٠)، الثقات، للعجلي ص: (٢٠٤)، معرفة القراء الكبار، للذهبي: (١/ ٢١٤)، تهذيب التهذيب: (٢/ ١٠٩).

(١) رواه الترمذي في سننه، كتاب صفة جهنم، باب (ما جاء في صفة طعام أهل النار) رقم (٢٥٨٦) (٤/ ٦٠٩-٦١٠). قال أبو عيسى: إنما نعرف هذا الحديث عن الأعمش عن شمر بن عطية عن شهر بن حوشب عن أم الدرداء عن أبي الدرداء، قوله: وليس بمرفوع، وقطبة بن عبدالعزيز هو ثقة عند أهل الحديث، وضعفه الألباني في (صحيح وضعيف سنن الترمذي) رقم (٢٥٨٦) ص: (٥٨٢)، وفي (تخريج مشكاة المصابيح)، رقم (٥٦٨٦)، (٣/ ١٥٨٢-١٥٨٣)، وفي (ضعيف الجامع الصغير) رقم (٦٤٤٤)، ص: (٩٣٦)، وذكره المنذري في الترغيب والترهيب، رقم (٢١٦٠)، (٣/ ١٣٤١)، قال الألباني في تخريجه للترغيب والترهيب (٣/ ١٣٤١): ضعيف، ورواه ابن أبي شيبة في مصنفه رقم (٣٤١١٨)، (٧/ ٧٣)، قال الزيلعي في (تخريج الأحاديث والآثار): رواه الترمذي وسكت عنه لكن ذكر عن بعضهم أنهم لا يرفعونه) رقم (١١٦٨) (٣/ ٢٥٦)، وقال ابن رجب في (التخويف من النار): خرجه الترمذي مرفوعًا وموقوفًا على أبي الدرداء. ص: (١٣٨).

(٢) رواه الحاكم في مستدركه، رقم (٣٤٩٢)، (٢/ ٤٢٩) وقال: (هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه) ووافقه الذهبي في التلخيص فقال: صحيح، ورواه ابن أبي شيبة في مصنفه، رقم (٣٤١١)، (٧/ ٧٢)، ورواه البيهقي في البعث والنشور، رقم (٦٤٨) ص(٣١٢)،.....=

وعن ابن عباس رضي الله عنهما: أن لهم ست دعوات إذا دخلوا النار قالوا ألف سنة ﴿رَبَّنَآ أَبۡصَرۡنَا وَسَمِعۡنَا فَٱرۡجِعۡنَا﴾ فيجابون ﴿حَقَّ ٱلۡقَوۡلُ مِنِّي﴾ فينادون ألف سنة ثانية ﴿رَبَّنَآ أَمَتَّنَا ٱثۡنَتَيۡنِ وَأَحۡيَيۡتَنَا ٱثۡنَتَيۡنِ﴾ فيجابون: ﴿ذَٰلِكُم بِأَنَّهُۥٓ إِذَا دُعِيَ ٱللَّهُ وَحۡدَهُۥ كَفَرۡتُمۡ﴾، فينادون ألفًا ثالثة: ﴿وَنَادَوۡاْ يَٰمَٰلِكُ لِيَقۡضِ عَلَيۡنَا رَبُّكَ﴾، فيجابون: ﴿إِنَّكُم مَّٰكِثُونَ﴾ فينادون ألفًا رابعة: ﴿رَبَّنَآ أَخۡرِجۡنَا مِنۡهَا﴾، فيجابون: ﴿أَوَلَمۡ تَكُونُوٓاْ أَقۡسَمۡتُم مِّن قَبۡلُ مَا لَكُم مِّن زَوَالٖ﴾ فينادون ألفًا خامسة: ﴿أَخۡرِجۡنَا نَعۡمَلۡ صَٰلِحًا﴾، فيجابون: ﴿أَوَلَمۡ نُعَمِّرۡكُم﴾ فينادون ألفًا سادسة: ﴿رَبِّ ٱرۡجِعُونِ﴾، فيجابون: ﴿ٱخۡسَـُٔواْ فِيهَا﴾(١).

وعن محمد بن كعب القرظي قال: لأهل النار خمس دعوات يجيبهم الله تعالى في أربعة فإذا كانت الخامسة لم يتكلموا بعدها أبدًا يقولون: ﴿رَبَّنَآ أَمَتَّنَا ٱثۡنَتَيۡنِ وَأَحۡيَيۡتَنَا ٱثۡنَتَيۡنِ فَٱعۡتَرَفۡنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلۡ إِلَىٰ خُرُوجٖ مِّن سَبِيلٖ﴾ [غافر:١١] فيجيبهم الله تعالى: ﴿ذَٰلِكُم بِأَنَّهُۥٓ إِذَا دُعِيَ ٱللَّهُ وَحۡدَهُۥ كَفَرۡتُمۡ وَإِن يُشۡرَكۡ بِهِۦ تُؤۡمِنُواْۚ فَٱلۡحُكۡمُ لِلَّهِ ٱلۡعَلِيِّ ٱلۡكَبِيرِ﴾[غافر:١٢]، ثم يقولون ﴿رَبَّنَآ أَبۡصَرۡنَا وَسَمِعۡنَا فَٱرۡجِعۡنَا نَعۡمَلۡ صَٰلِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ﴾[السجدة:١٢]، ثم يقولون ﴿رَبَّنَآ أَخِّرۡنَآ إِلَىٰٓ أَجَلٖ قَرِيبٖ نُّجِبۡ دَعۡوَتَكَ وَنَتَّبِعِ ٱلرُّسُلَۗ﴾[إبراهيم:٤٤] فيجيبهم الله تعالى: ﴿أَوَلَمۡ تَكُونُوٓاْ أَقۡسَمۡتُم مِّن قَبۡلُ مَا لَكُم مِّن

= ورواه ابن أبي الدنيا في صفة النار ص: (١١٢)، وذكره الهيثمي في مجمع الزائد: (١٠/ ٣٩٦)، وقال: رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح.

وذكره المنذري في (الترغيب والترهيب) رقم (٥٣٢٨)، (٣/ ١٣٤٨) وقال: رواه الطبراني موقوفًا ورواته محتج بهم في الصحيح والحاكم وقال: صحيح على شرطهما، وقال الألباني في تخريج الترغيب والترهيب، رقم (٣٦٩١) (٣/ ١٣٤٨): صحيح.

(١) الكشاف: (٣/ ٢٠٧).

زَوَالٍ ﴾[إبراهيم:٤٤] ثم يقولون: ﴿رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَٰلِحًا غَيْرَ ٱلَّذِى كُنَّا نَعْمَلُ﴾[فاطر:٣٧] فيجيبهم الله تعالى: ﴿أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَآءَكُمُ ٱلنَّذِيرُ فَذُوقُوا۟ فَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِن نَّصِيرٍ ﴾[فاطر:٣٧] ثم يقولون: ﴿ قَالُوا۟ رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَآلِّينَ ﴿١٠٦﴾ رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَٰلِمُونَ ﴾ فيجيبهم الله تعالى: ﴿ قَالَ ٱخْسَـُٔوا۟ فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ ﴾[المؤمنون:١٠٦-١٠٧] فلا يتكلمون بعدها أبدًا[١].

قال الحسن: هو آخر كلام يتكلم به أهل النار ثم لا يتكلمون بعدها إلا الشهيق والزفير ويصير لهم عواء كعواء الكلاب لا يَفهمون ولا يُفهمون[٢].

وقال السعدي في قوله ﴿ قَالَ ٱخْسَـُٔوا۟ فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ ﴾: وهذا القول نسأله تعالى العافية أعظم قول على الإطلاق يسمعه المجرمون في التخييب، والتوبيخ والذل، والخسارة والتأييس من كل خير، والبشرى بكل شر، وهذا الكلام والغضب من الرب الرحيم، أشد عليهم وأبلغ في نكايتهم من عذاب الجحيم[٣].

* * *

(١) انظر: يقظة أولي الاعتبار، ص: (١٠٦)، الأسماء والصفات، للبيهقي، ص: (٣٥٦)، البعث والنشور، ص: (٣١٧-٣١٨)، التذكرة، ص: (٣٥٤).

(٢) معالم التنزيل: (٥/ ٤٣٠-٤٣١)، لباب التأويل: (٤/ ٣٩٣).

(٣) تيسير الكريم الرحمن، ص: (٥٠٩).

المبحث الخامس

العذاب النفسي في محاولتهم الخروج من النار

إن أهل النار عندما يلحقهم الهم والغم والكرب مما يعانونه من العذاب، يحاولون الخروج من النار، فإن لهب النار حين ترفعهم إلى أعلى النار فيصلون إلى أبوابها يطمعون في الفرج والخروج من النار، فتردهم الملائكة وتضربهم بمقامع من حديد فيهوون إلى قعرها، فيرجعون بألم الخيبة والهوان والعذاب النفسي والعياذ بالله.

ولا يزال هذا دأبهم في النار، فإن (كلما) من معانيها في لغة العرب أنها تفيد التكرار[1] قال تعالى: ﴿ كُلَّمَآ أَرَادُوٓاْ أَن يَخۡرُجُواْ مِنۡهَا مِنۡ غَمٍّ أُعِيدُواْ فِيهَا وَذُوقُواْ عَذَابَ ٱلۡحَرِيقِ ﴾[الحج:٢٢]، وقال تعالى: ﴿ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فَسَقُواْ فَمَأۡوَىٰهُمُ ٱلنَّارُۖ كُلَّمَآ أَرَادُوٓاْ أَن يَخۡرُجُواْ مِنۡهَآ أُعِيدُواْ فِيهَا وَقِيلَ لَهُمۡ ذُوقُواْ عَذَابَ ٱلنَّارِ ٱلَّذِي كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ﴾[السجدة:٢٠].

عن أبي ظبيان[2] عن سلمان[3] ﷺ قال: النار سوداء لا يضيء لهيبها ولا

---

(١) انظر: البحر المحيط: (٤/ ٢٩٨).

(٢) هو حصين بن جندب، أبو ظبيان الجنبي المذحجي الكوفي، وهو مشهور بكنيته، قال ابن معين، والعجلي، وأبو زرعة، والنسائي، والدارقطني: ثقة، وقال ابن سعد: كان ثقة وله أحاديث، وقال أحمد بن حنبل: كان شعبة ينكر أن يكون سمع من سلمان مات سنة تسعين، وقيل غير ذلك.

تهذيب الكمال: (٨/ ٢١٠)، الثقات: (٤/ ١٥٦)، تاريخ الثقات، للعجلي ص: (١٢٢)، جامع التحصيل، ص: (١٦٦)، تهذيب التهذيب: (١/ ٤٤١).

(٣) هو سلمان الفارسي، أبو عبدالله، سابق الفرس إلى الإسلام، يقال: إنه مولى رسول الله ﷺ ويعرف بسلمان الخير، أول مشاهده الخندق، وهو الذي أشار بحفره، ولم يفته بعد ذلك مشهدٌ مع رسول الله ﷺ، وكان خيرًا، فاضلًا، حبرًا، عالمًا، زاهدًا، متقشفًا، وكان يأكل من=

جمرها ثم قرأ هذا الآية ﴿ كُلَّمَآ أَرَادُوٓاْ أَن يَخۡرُجُواْ مِنۡهَا مِنۡ غَمٍّ أُعِيدُواْ فِيهَا ﴾ [الحج:٢٢].

قال الحسن: إن النار ترميهم بلهبها، حتى إذا كانوا في أعلاها ضربوا بمقامع فهووا فيها سبعين خريفًا، فإذا انتهوا إلى أسفلها، ضربهم زفير لهبها، فلا يستقرون ساعة[١].

وقال مقاتل: إذا جاشت جهنم، ألقتهم في أعلاها، فيريدون الخروج فتتلقاهم خزنة جهنم بالمقامع، فيضربونهم، فيهوى أحدهم من تلك الضربة إلى قعرها[٢].

وقال ابن كثير: فلا يزالون يريدون الخروج مما هم فيه من شدته وأليم مسه ولا سبيل لهم إلى ذلك، وكلما رفعهم اللهب فصاروا في أعالي جهنم ضربتهم الزبانية بالمقامع الحديد فيردوهم إلى أسلفاها[٣].

وقيل: إذا اشتد غمهم فيها فروا، فمن خلص منهم إلى شفيرها أعادته الملائكة فيها بالمقامع[٤].

وقال ابن عاشور: إنهم لشدة ما يغمهم، أي يمنعهم من التنفس، يحاولون الخروج فيعادون فيها فيحصل لهم ألم الخيبة، ويقال لهم ذوقوا عذاب الحريق[٥].

=عمل يده، توفي ﷺ في آخر خلافة عثمان ﷺ سنة خمس وثلاثين، وقيل غير ذلك.

الاستيعاب: (١/ ٣٨٠)، أسد الغابة: (٢/ ٣٤٧)، تهذيب الأسماء واللغات: (١/ ٣١٧)، صفة الصفوة: (١/ ٢٦٩)، الإصابة: (٣/ ٢٣٩).

(١) الكشاف: (٣/ ١٥١)، مفاتيح الغيب: (٢٣/ ٢٠)، تفسير النسفي: (٣/ ٩٧)، زاد المسير: (٥/ ٤١١٧).

(٢) زاد المسير: (٥/ ٤١٧-٤١٨).

(٣) تفسير ابن كثير: (٢/ ٥١).

(٤) تفسير القرطبي: (١٢/ ٢٨).

(٥) التحرير والتنوير: (١٧/ ١٦٧).

وقال الحليمي[1] في «المنهاج»: إن سأل سائل عن قول الله ﷻ: ﴿كُلَّمَآ أَرَادُوٓاْ أَن يَخۡرُجُواْ مِنۡهَآ أُعِيدُواْ فِيهَا﴾ فقال: إذا لم تكن الدار إلا الجنة والنار، وكانت الجنة عالية والنار سافلة، وليس في السفل شيء إلا النار، قال أين يريد أهل النار أن يخرجوا؟

قيل له: يحتمل أن يكون المعنى المعذبين منهم في جب من جهنم أو موضع أغم من غيره إن قصدوا أن يخرجوا إلى ضحضاح يكون الغم والألم فيه أقل، لم يتركوا وأعيدوا إن كانوا قد رجعوا قليلًا إليه، وقد قال ﷻ في آية ﴿كُلَّمَآ أَرَادُوٓاْ أَن يَخۡرُجُواْ مِنۡهَا مِنۡ غَمٍّ أُعِيدُواْ فِيهَا﴾ فيقرب أن يكون هذا معنى الآية، والله أعلم[2].

وكما أنهم يهانون بالعذاب النفسي فعلًا فهم يهانون بالعذاب النفسي قولًا فالملائكة حين تردهم وتقمعهم بمقامع الحديد تقول لهم إهانة وإذلالًا وغيظًا وحنقًا عليهم ﴿ذُوقُواْ عَذَابَ ٱلنَّارِ ٱلَّذِي كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ﴾.

قال ابن كثير: ومعنى الكلام أنهم يهانون بالعذاب قولًا وفعلًا[3].

* * *

---

(١) هو القاضي أبو عبدالله الحسين بن الحسن بن محمد بن حليم، البخاري الحليمي الفقيه الشافعي، صاحب وجه في المذهب الشافعي، وكان متفننًا فاضلًا، له مصنفات مفيدة نقل منها الحافظ أبو بكر البيهقي كثيرًا، وكان رجلًا عظيم القدر، من تصانيفه (المنهاج في شعب الإيمان) و (آيات الساعة) و (أحوال القيامة) مات سنة ثلاث وأربعمائة وفيات الأعيان: (١/ ٢٥٩)، الوافي بالوفيات: (١٢/ ٢١٧)، سير أعلام النبلاء: (١٧/ ٢٣١)، تذكرة الحفاظ: (٣/ ١٥٦)، شذرات الذهب: (٣/ ١٦٧).

(٢) المنهاج: (١/ ٤٨٢).

(٣) تفسير ابن كثير: (٣/ ١٩٠).

المبحث السادس

العذاب النفسي في رؤيتهم لنعيم أهل الجنة وطلبهم من ذلك النعيم

عندما ينزل البلاء والشقاء بأهل النار فيشتد عليهم حرها، يصابون فيها بالجوع والظمأ، ثم ينظرون فإذا أهل الجنة يتنعمون فيها يأكلون من أطيارها وثمارها ويشربون من أنهارها فتزداد تعاستهم وحسرتهم وألمهم النفسي، فحينها يستغيثون بهم، وفيها من هو قريب، أو صديق يطلبون منهم أن يعطوهم شيئًا من الماء أو الطعام قال تعالى: ﴿وَنَادَىٰٓ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِ أَصۡحَٰبَ ٱلۡجَنَّةِ أَنۡ أَفِيضُواْ عَلَيۡنَا مِنَ ٱلۡمَآءِ أَوۡ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُۚ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾ [الأعراف: ٥٠].

فيرد عليهم أهل الجنة بما يقطع رجاءهم وطمعهم في ذلك ﴿قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾ [الأعراف: ٥٠] فيعدون بألم الخيبة والعياذ بالله.

قال ابن عباس رضي الله عنهما: ينادي الرجل الرجل فيقول: إني قد احترقت فأفض علي من الماء، قال: فيقال: أجبه، فيقول: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾[1].

وقال سعيد بن جبير: ينادي الرجل أخاه: يا أخي قد احترقت فأغثني فيقول: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾[2].

---

(١) رواه ابن أبي شيبة في مصنفه، رقم (٣٤٦٢)، (٧/ ١٤٩-١٥٠) ورواه هناد في الزهد، رقم (٢٩٣)، (١/ ٣٧٥).

(٢) تفسير الطبري: (٨/ ٢٥٥)، تفسير ابن كثير (٢/ ١٩٤).

وقال أبو بكر بن عبدالله[١]: ينادي أهل النار أهل الجنة فلا يجيبونهم ما شاء الله، ثم يقول: أجيبوهم وقد قطع الرحم والرحمة، فيقول أهل الجنة: يا أهل النار عليكم غضب الله، يا أهل النار عليكم لعنة الله، يا أهل النار لا لبيكم ولا سعديكم، ماذا تقولون؟ فيقولون: ألم نك في الدنيا آباءكم وأبناءكم وإخوانكم وعشيرتكم؟ فيقولون: بلى، فيقولون: ﴿وَنَادَىٰٓ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِ أَصۡحَٰبَ ٱلۡجَنَّةِ أَنۡ أَفِيضُواْ عَلَيۡنَا مِنَ ٱلۡمَآءِ أَوۡ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُۚ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾[٢].

وروي أن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما شرب ماء باردًا فبكى فاشتد بكاؤه، فقيل: ما يبكيك؟ قال: تذكرت آية في كتاب الله عز وجل ﴿وَحِيلَ بَيۡنَهُمۡ وَبَيۡنَ مَا يَشۡتَهُونَ﴾ فعرفت أن أهل النار لا يشتهون إلا الماء البارد، وقد قال الله عز وجل: ﴿أَفِيضُواْ عَلَيۡنَا مِنَ ٱلۡمَآءِ أَوۡ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُۚ﴾[٣].

وعن سلام بن أبي مطيع[٤] قال: أتي الحسن بكوز من ماء ليفطر عليه، فلما

---

(١) هو سلمة، وقيل: سلمي بن عبدالله، أبو بكر الهذلي، كان عالمًا بأيام العرب وسيرها وأحد أصحاب الحديث، ولقي الزهري والحسن البصري ومحمد بن سيرين، وكان بصريًا، كان في أصحاب المنصور وكان أخباريًا علامة، وأما في الحديث فقد ضعفوه فلم يرضه يحيى القطان، وقال يحيى بن معين: ليس بشيء، وقال أحمد: ضعيف، وقال البخاري: ليس بالحافظ، وقال أبو زرعة: ضعيف، وقال أبو حاتم: لين الحديث يكتب حديثه ولا يحتج بحديثه، وقال النسائي: ليس بثقة ولا يكتب حديثه، روى ابن ماجه له، توفي سنة تسع وخمسين ومائة.

الجرح والتعديل: (٤/ ٣١٣)، الكامل في ضعفاء الرجال: (٤/ ٣٣٩)، الوافي بالوفيات: (١٥/ ٢٠٢)، لسان الميزان: (٣/ ٨٦)، المغني في الضعفاء: (١/ ٣٩٧).

(٢) تفسير الطبري: (١٨/ ٧١).

(٣) شعب الإيمان، البيهقي (٤ / ١٦٧٥-١٦٧٦).

(٤) هو سلام بن أبي مطيع، واسمه سعد الخزاعي مولاهم، أبو سعيد البصري، قال أحمد: ثقة صاحب سنة، وقال أبو حاتم: صالح الحديث، وقال أبو داود: سلام ثقة، وقال النسائي:=

أدناه إلى فيه بكى وقال: ذكرت أمنية أهل النار، قولهم: ﴿أَنْ أَفِيضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ﴾ وذكرت ما أجيبوا ﴿إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى الْكَافِرِينَ﴾[1].

قال أبو حيان في قوله ﴿وَنَادَىٰ أَصْحَابُ النَّارِ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ﴾: وهذا يقتضي سماع كل من الفريقين كلام الآخر وهذا جائز عقلًا على بعد المسافة بينهما من العلو والسفل وجائز أن يكون ذلك مع رؤية واطلاع من الله وذلك أخزى وأنكى للكفار[2].

وقال ابن عطية: قال القاضي أبو محمد[3]: والأشنع على الكافرين في هذه المقالة أن يكون بعضهم يرى بعضًا فإنه أخزى وأنكى للنفس[4].

وقال أبو محمد الأشبيلي[5] في كتابه «العاقبة»: ولعلك تقول: كيف يرى

=ليس به بأس، وهو يعد من خطباء أهل البصرة وعقلائهم، وكان كثير الحج، مات في طريق مكة سنة أربع وستين ومائة.

الجرح والتعديل: (٤/ ٢٥٨)، التاريخ الصغير: (٢/ ١٤٧)، الكامل في الضعفاء، لابن عدي (٤/ ٣١٧)، ميزان الاعتدال: (٣/ ٢٥٩)، سير أعلام النبلاء: (٧/ ٤٢٨).

(١) حلية الأولياء، لأبي نعيم (٦/ ١٨٩).

(٢) البحر المحيط: (٤/ ٣٠٦).

(٣) المراد به ابن عطية نفسه.

(٤) المحرر الوجيز: (٢/ ٤٠٦).

(٥) هو أبو محمد عبدالحق بن عبد الرحمن بن عبدالله، الأزدي الأندلسي الإشبيلي المعروف في زمانه بابن الخراط، سكن مدينة بجاية وقت الفتنة التي زالت فيها الدولة اللمتونية بالدولة المؤمنية فنشر بها علمه، واشتهر اسمه، وكان يزاحم فحول الشعراء، له مصنفات منها (العاقبة) و(الأحكام الصغرى) و(الجمع بين الصحيحين) مات ببجاية بعد محنة نالته من قبل الدولة سنة إحدى وثمانين وخمسمائة.

تهذيب الأسماء واللغات: (١/ ٣٨٩)، تذكرة الحفاظ: (٤/ ٩٧)، سير أعلام النبلاء: (٢١/ ١٩٨)، العبر: (٣/ ٨٢)، الديباج المذهب ص: (٢٧٦).

أهل الجنة أهل النار وأهل النار أهل الجنة؟ وكيف يسمع بعضهم كلام بعض وبينهم من المسافة وغلظ الحجاب؟ فيقال لك: لا تقل هذا، فإن الله تعالى يُقوى أبصارهم وأسماعهم حتى يرى بعضهم بعضًا ويسمع بعضهم بعضًا، وهذا قريب في القدرة جدًّا وإذا تأملته وجدته[1].

وقال الفخر الرازي: رأيت في بعض الكتب: أن قارئًا قرأ قوله تعالى حكاية عن الكفار ﴿أَفِيضُواْ عَلَيْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ﴾ في تذكرة الأستاذ أبي علي الدقاق[2]، فقال الأستاذ: هؤلاء كانت رغبتهم وشهوتهم في الدنيا في الشرب والأكل، وفي الآخرة بقوا على هذه الحالة[3].

* * *

(١) العاقبة، ص: (٢٩٢).

(٢) هو الحسن بن علي بن محمد بن إسحاق، الأستاذ أبو علي الدقاق، شيخ الأستاذ أبي القاسم القشيري، قال عبدالغافر: هو لسان وقته وإمام عصره بنيسابوري الأصل، تعلم العربية وحصل على علم الأصول، وخرج إلى مرو وتفقه بها على الخضري، وبرع في الفقه، وسلك طريق التصوف، وصحب الأستاذ أبا القاسم النصرأباذي، توفي في ذي الحجة سنة خمس وأربعمائة.

طبقات الشافعية الكبرى، (٤/ ٣٢٩)، مرآة الجنان: (٣/ ١٤)، النجوم الزاهرة: (٤/ ٢٥٦)، شذرات الذهب: (٣/ ٧٠)، العبر: (٢/ ٢١٢).

(٣) مفاتيح الغيب: (١٤/ ٧٧).

المبحث السابع

العذاب النفسي في بكاء أهل النار

جعل الله ﷻ البكاء وسيلة من وسائل التنفيس، يفرغ به الإنسان ما يجده من مشاعر الألم والحزن والندم.

قال الراغب الأصفهاني: بكى يبكى بكا وبكاء بالمد: سيلان الدمع عن حزن، وعويل، ويقال إذا كان الصوت أغلب، كالرغاء والثغاء وسائر هذه الأبنية الموضوعة للصوت، وبالقصر يقال إذا كان الحزن أغلب، وجمع الباكي باكون وبكى، وبكى يقال في الحزن وإسالة الدمع معًا، ويقال في كل واحدٍ منهما منفردًا عن الآخر[1].

وقد ذكر ابن القيم رحمه الله عشرة أنواع للبكاء:

أحدها: بكاءُ الرحمة والرقة.

والثاني: بكاءُ الخوف والخشية.

والثالث: بكاء المحبة والشوق.

والرابع: بكاء الفرح والسرور.

والخامس: بكاء الجزع من ورود المؤلم وعدم احتماله.

والسادس: بكاء الحزن.

والسابع: بكاء الخور والضعف.

والثامن: بكاء النفاق، وهو أن تدمع العين والقلب قاسٍ.

(١) مفردات ألفاظ القرآن، ص: (١٤١)، بتصرف.

والتاسع: بكاء المستعار والمتأجر عليه، كبكاء النائحة بالأجرة.

والعاشر: بكاء الموافقة، وهو أن يرى الرجل الناس يبكون لأمر ورد عليهم فيبكي معهم لا يدري لأي شيء يبكون[١].

فأهل النار يبكون بكاء الحزن على ما فرطوا في جنب الله وتحسرًا على حالهم التعيس والعذاب الأليم قال تعالى: ﴿ فَلْيَضْحَكُواْ قَلِيلًا وَلْيَبْكُواْ كَثِيرًا جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ﴾[التوبة:٨٢].

وعن ابن عباس رضي الله عنهما **قال**: الدنيا قليل فليضحكوا فيها ما شاؤوا فإذا انقطعت الدنيا وصاروا إلى الله ﷻ استأنفوا بكاء لا ينقطع أبدًا[٢].

وكذلك روي عن أبي رزين[٣] [٤]، وقتادة[٥]، والحسن[٦]، والربيع بن خثيم[٧].

---

(١) زاد المعاد، ابن القيم، ص: (٦٧-٦٨).

(٢) تفسير ابن كثير: (٢/ ٣٢٦).

(٣) هو لقيط بن عامر بن صبرة بن المنتفق العامري، أبو رزين العقيلي، وافد بني المنتفق من أهل الطائف، له صحبة ووفادة، وكان النبي ﷺ يكره المسائل فإذا سأله أبو رزين أعجبه، أكثر رواياته مسائل سأل عنها النبي ﷺ في التوحيد والأصول معرفة الصحابة: (٤/ ١٧٦)، الاستيعاب: (٢/ ١٩٢)، أسد الغابة: (٣/ ٥٦١)، الثقات: (٣/ ٣٥٩)، الإصابة: (٥/ ٥٠٨).

(٤) مصنف أبي شيبة، رقم (٣٤٩٠٩) (٧/ ١٦٥)، الزهد، لهناد رقم (٤٧٩)، (١/ ٥٦٠) عن أبي رزين، قال محقق الكتاب عبدالله الأنصاري: إسناده صحيح، صفة النار، ص: (١٣٤).

(٥) صفة النار، ص: (١٣٤).

(٦) تفسير عبدالرزاق: (٢/ ١٦٠).

(٧) هو الربيع بن خثيم بن عائذ بن عبدالله الثوري، أبو يزيد الكوفي، أدرك زمان النبي ﷺ، وأرسل عنه، قال له عبدالله بن مسعود: يا أبا يزيد لو رآك رسول الله ﷺ لأحبك، وما رأيتك إلا ذكرت المخبتين، قال عنه يحيى بن معين: لا يسأل عن مثله، وقال الشعبي:..........=

وعن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: «يُرْسَلُ الْبُكَاءُ عَلَى أَهْلِ النَّارِ، فَيَبْكُونَ حَتَّى يَنْقَطِعَ الدُّمُوعُ، ثُمَّ يَبْكُونَ الدَّمَ حَتَّى يَصِيرَ فِي وُجُوهِهِمْ كَهَيْئَةِ الأُخْدُودِ، لَوْ أُرْسِلَتْ فِيهِ السُّفُنُ لَجَرَتْ»[(١)].

وعن أبي موسى الأشعري ﷺ: أنه خطب الناس بالبصرة فقال: «يا أيها الناس ابكوا فإن لم تبكوا فتباكوا، فإن أهل النار يبكون الدموع حتى تنقطع، ثم يبكون الدماء حتى لو أجري فيها السفن لجرت»[(٢)].

= كان من معادن الصدق، مات سنة خمس وستين، وقال ابن حبان: مات بعد مقتل الحسين سنة ثلاث وستين.

الثقات: (٤/ ٢٢٤)، تهذيب الكمال: (٢/ ٤٥٩)، صفة الصفوة: (٣/ ٣٧)، الوافي بالوفيات: (١٤/ ٨٠)، سير أعلام النبلاء: (٤/ ٢٥٨).

تفسير الطبري: (١٠/ ٢٥٣).

(١) رواه ابن ماجه في سننه، كتاب الزهد، باب (صفة النار) رقم (٤٣٢٤) (٢/ ١٤٤٦).

قال الألباني في (صحيح وضعيف ابن ماجه): ضعيف وصح مختصرًا دون ذكر قوله ثم يبكون الدم إلى كهيئة الأخدود، ص: (٧١٧)، وحسنه كاملًا في (صحيح الجامع) رقم (٨٠٨٣)، (٢/ ١٣٤٣)، وكذلك في (سلسلة الأحاديث الصحيحة) رقم (١٦٧٩) (٤/ ٢٤٥)، ورواه ابن أبي شيبة في مصنفه، رقم (٣٤١١٩)، (٧/ ٧٣-٧٤)، ورواه البيهقي في البعث والنشور، رقم (٦٥١)، ص: (٣١٣)، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (١٠/ ٣٩١)، وقال الهيثمي: روى ابن ماجه بعضه، ورواه أبو يعلى وأضعف من فيه يزيد الرقاشي وقد وثق على ضعفه، وذكره الحافظ المنذري في الترغيب والترهيب، رقم (٥٣٣٠)، (٣/ ١٣٤٩)، وقال الألباني في تخريجه للترغيب والترهيب، رقم (٢١٧٨)، (٣/ ١٣٤٩): ضعيف، ورواه الحافظ أحمد بن أبي بكر البوصيري في إتحاف الخيرة المهرة بزوائد المسانيد العشرة (٨/ ٣٤٣)، وذكره ابن رجب في (التخويف من النار)ص: (١٣٦).

(٢) رواه ابن أبي شيبة في مصنفه، رقم (٣٤١٢٠) (٧/ ٧٤) حلية الأولياء (٣/ ١٠٣) الطبقات الكبرى: (٤/ ٣٧٣-٣٧٤)، الزهد، لأحمد بن حنبل ص: (١٩٢)، صفة الصفوة: (١/ ٢٨٦).

وعن حماد بن خوار[١] **قال:** بلغنا أن أهل النار يبكون الدموع حتى تفنى، ثم يبكون الدماء حتى تكون في خدودهم أمثال الجداول، فيقول لهم الخزنة: يا معشر الأشقياء لو كان هذا في الدار المقبول فيها العمل كان نعم الذخر لكم[٢].

قال السفاريني: أما يحق البكاء لمن قد مضى زمانه؟ أما يحق البكاء لمن قد ذهب أوانه؟ أما يحق البكاء لمن طال عصيانه؟ نهاره في المعاصي، فقد زاد خسرانه، وليله في الخطايا، فقد خف ميزانه، وبين يديه الحشر العنيف فيه ذله وهوانه، والحساب العسير ينشر فيه ديوانه، والموقف الطويل فيه غمومه وأحزانه، والجحيم الشديد فيه من العذاب ألوانه[٣].

وقال السفاريني رَحِمَهُ اللَّهُ **أيضًا:** واعلم أن بكاء أهل النار لا يجدى لهم فائدة، بل الحسرة عليهم والكآبة لم تزل زائدة، نعم ربما نفع البكاء بعض عصاة الموحدين دون أهل الشرك الملحدين[٤].

* * *

---

(١) حماد بن خوار والد حميد بن حماد بن خوار، روى عن عبدالله بن ميسرة، روى عنه نصير بن أبي الأشعث القرادي الكناني، الجرح والتعديل: (٣/ ١٣٦).

(٢) صفة النار، ص: (١٣٤).

(٣) البحور الزاخرة، (٢/ ٤٧٩).

(٤) المرجع السابق: (١/ ٦٥٧-٦٥٨).

المبحث الثامن

العذاب النفسي في الطعام والشراب في النار

إن أهل النار مشغولون بما هم فيه من العذاب، فمن كانت النار من فوقه ومن تحته، ولباسه من نار، ومقيد ومغل بالسلاسل، فهل يا ترى يستسيغ طعامًا أو شرابًا في النار؟.

ومع ذلك فهم يسألون الطعام فيعطون طعامًا أثيمًا خبيثًا لا يسمن ولا يغني عن جوع إنه طعام الضريع الذي قال الله عنه ﴿لَّيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِن ضَرِيعٍ ۝ لَّا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِي مِن جُوعٍ﴾[الغاشية: ٦-٧] وأيضًا هم يأكلون من شجرة الزقوم التي منظرها لا يدل على خير فيها فهي كرؤوس الشياطين في الخبث والقذارة قال الله تعالى عنها: ﴿أَذَٰلِكَ خَيْرٌ نُّزُلًا أَمْ شَجَرَةُ الزَّقُّومِ ۝ إِنَّا جَعَلْنَاهَا فِتْنَةً لِّلظَّالِمِينَ ۝ إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ ۝ طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ ۝ فَإِنَّهُمْ لَآكِلُونَ مِنْهَا فَمَالِئُونَ مِنْهَا الْبُطُونَ﴾[الصافات: ٦٢-٦٦].

وعن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قرأ هذه الآية: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ فقال رسول الله ﷺ: «**لَوْ أَنَّ قَطْرَةً مِنَ الزَّقُّومِ قُطِرَتْ فِي دَارِ الدُّنْيَا لأَفْسَدَتْ عَلَى أَهْلِ الدُّنْيَا مَعَايِشَهُمْ فَكَيْفَ بِمَنْ يَكُونُ طَعَامَهُ**»(١).

---

(١) رواه الترمذي في سننه، كتاب صفة النار، باب (ما جاء في صفة شراب أهل النار) رقم (٢٥٨٥) (٤/ ٦٠٩)، قال أبو عيسى: هذا حديث حسن صحيح، وقال الألباني في (صحيح وضعيف الترمذي): ضعيف ص: (٥٨٢)، وصححه في (صحيح الجامع) رقم (٥٢٥٠)، (٢/ ٩٣١)، وكذلك صححه في (تخريج مشكاة المصابيح) رقم (٥٦٨٣)، (٣/ ١٥٨٢)، ورواه النسائي في السنن الكبرى، كتاب التفسير، باب (﴿مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ﴾ [طه: ٥٥]، رقم (١١٠٧٠) (٦/ ٣١٣)، ورواه ابن ماجه في سننه، كتاب الزهد، باب (صفة النار) رقم (٤٣٢٥)، (٢/ ١٤٤٦)، ورواه أحمد في مسنده، رقم (٢٧٣٥)، (٤/ ٤٦٧)..=

فعندما يملؤون بطونهم بهذا الطعام الخبيث الذي يصيبهم بالغصة قال تعالى: ﴿إِنَّ لَدَيْنَآ أَنكَالًا وَجَحِيمًا ۝١٢ وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ وَعَذَابًا أَلِيمًا﴾[المزمل: ١٢-١٣].

ويصيبهم أيضًا بالعطش الشديد فينادون بالشراب، فيؤتى لهم بشراب ليس كشراب الدنيا بل شراب تشمئز وتتقزز منه النفوس إنه الصديد، فهذا الشراب لا يزيدهم شكله وطعمه إلا ألمًا نفسيًّا والعياذ بالله.

قال تعالى: ﴿وَيُسْقَىٰ مِن مَّآءٍ صَدِيدٍ﴾[إبراهيم: ١٦] إنه القيح والدم كما فسر ذلك مجاهد[١] رَحِمَهُ اللَّهُ، شراب يتجرعه ولا يكاد يسيغه من كراهته وسوء طعمه ولونه وريحه قال تعالى: ﴿مِّن وَرَآئِهِۦ جَهَنَّمُ وَيُسْقَىٰ مِن مَّآءٍ صَدِيدٍ ۝١٦ يَتَجَرَّعُهُۥ وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُۥ وَيَأْتِيهِ ٱلْمَوْتُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ وَمِن وَرَآئِهِۦ عَذَابٌ غَلِيظٌ﴾[إبراهيم: ١٦-١٧].

ويسقى أيضًا لونًا آخر من الشراب إنه الغساق الذي يسيل من بين جلده ولحمه كما ذكر ذلك قتادة[٢].

فيزداد غمًّا وهمًّا وحزنًا، فياليتهم لم يطلبوا ذلك الطعام أو ذاك الشراب فقد زاد في عذابهم النفسي إنه ليس كطعام الدنيا وشرابها الذي يحصل به اللذة والسعادة، فيجمع الله عليهم في الطعام والشراب العذاب النفسي، والعذاب الحسي والعياذ بالله.

= قال الأرناؤوط: إسناد صحيح على شرط الشيخين، ورواه الحاكم في مستدركه، رقم (٣١٥٨)، (٢/ ٣٢٢-٣٢٣). وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي في التلخيص فقال: على شرط البخاري ومسلم، ورواه ابن أبي شيبة في مصنفه، رقم (٣٤١٣٣) (٧/ ٧٥)، ورواه الطيالسي في مسنده، رقم (٢٧٦٥)، (٣/ ٩٠) قال محقق الكتاب محمد حسن إسماعيل: حديث صحيح، ورواه ابن حبان في صحيحه، رقم (٧٤٧٠)، ص: (٢٠٠١)، ورواه الطبراني في الكبير، رقم (١١٠٦٨)، (١١/ ٥٧).

(١) انظر: تفسير الطبري: (١٣/ ٢٤٤)، الدر المنثور: (٤/ ١٣٨).

(٢) تفسير عبدالرزاق: (٢/ ٢٤٣)، تفسير الطبري: (٢٣/ ٢١٦).

المبحث التاسع

العذاب النفسي في تقييدهم بالأغلال والسلاسل في النار

إن أهل النار إذا انتهوا إلى أبواب جهنم استقبلتهم زبانيتها بالأغلال والسلاسل إهانة وإذلالا مع أنهم محبوسون في النار لا سبيل لهم إلى الخلاص والخروج من النار، إلا أنهم يهانون، ويعذبون العذاب النفسي بتقييدهم بالأغلال والسلاسل كالمجرمين. بل هم المجرمون قال تعالى: ﴿ وَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُّقَرَّنِينَ فِي ٱلْأَصْفَادِ ﴾ [إبراهيم: ٤٩].

وقال تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ وَأُوْلَٰٓئِكَ ٱلْأَغْلَٰلُ فِىٓ أَعْنَاقِهِمْ وَأُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾[الرعد: ٥].

وقال تعالى: ﴿إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ سَلَٰسِلَا۟ وَأَغْلَٰلًا وَسَعِيرًا ﴾ [الإنسان:٤].

وهذه الأغلال والسلاسل ليست كأغلال وسلاسل الدنيا قال الله عنها ﴿خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ۝٣٠ ثُمَّ ٱلْجَحِيمَ صَلُّوهُ ۝٣١ ثُمَّ فِى سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَٱسْلُكُوهُ ﴾ [الحاقة: ٢٥].

قال كعب الأحبار: كل حلقة منها قدر حديد الدنيا[١].

وقال ابن المنكدر[٢]: لو جمع حديد كله ما خلا منها وما بقي ما عدل

---

(١) تفسير ابن كثير: (٤/ ٣٥٤).

(٢) هو محمد بن المنكدر بن عبدالله بن الهدير، التيمي القرشي أبو عبدالله الزاهد العابد أحد الأعلام، كان غاية في الحفظ والإتقان والزهد، قال ابن عيينة: كان من معادن الصدق ويجتمع إليه الصالحون، وقال الحميدي: هو حافظ، وقال ابن معين وأبو حاتم: ثقة، وقال مالك: كان ابن المنكدر سيد القراء، روى عنه الجماعة مات سنة ثلاثين ومائة.

حلية الأولياء: (٣/ ١٤٦)، تهذيب الكمال: (٣/ ٧٠٩)، الوافي بالوفيات: (٥/ ٥٣)، طبقات الحفاظ: (١/ ٩٥)، سير أعلام النبلاء: (٥/ ٣٥٣).

حلقة من الحلق التي ذكر الله في كتابه تعالى فقال: ﴿فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ﴾[١].

روى الإمام أحمد في مسنده عن عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «**لَوْ أَنَّ رُصَاصَةً مِثْلَ هَذِهِ وَأَشَارَ إِلَى مِثْلِ الْجُمْجُمَةِ أُرْسِلَتْ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الأَرْضِ وَهِيَ مَسِيرَةُ خَمْسِمِائَةِ سَنَةٍ لَبَلَغَتِ الأَرْضَ قَبْلَ اللَّيْلِ وَلَوْ أَنَّهَا أُرْسِلَتْ مِنْ رَأْسِ السِّلْسِلَةِ لَصَارَتْ أَرْبَعِينَ خَرِيفًا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ قَبْلَ أَنْ تَبْلُغَ أَصْلَهَا أَوْ قَعْرَهَا**»[٢].

ثم هو يسحب بها كما تسحب الدواب، فإنها تربط بالحبل في أعناقها وتسحب، وليته كان يسحب على قدمه بل يسحب على أشرف شيء في جسده إنه وجهه إهانة وإذلالًا وتحقيرًا وعذابًا نفسيًّا له قال تعالى: ﴿إِذِ الْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَالسَّلَاسِلُ يُسْحَبُونَ ۝٧١ فِي الْحَمِيمِ ثُمَّ فِي النَّارِ يُسْجَرُونَ﴾[غافر: ٧١-٧٢].

وقال تعالى: ﴿يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ﴾[القمر: ٤٨].

---

(١) حلية الأولياء: (٣/ ١٥٣)، التخويف من النار ص: (٩٢).

(٢) رواه أحمد في مسنده، رقم (٦٨٥٦) (١١/ ٤٤٣-٤٤٤)، قال الأرناؤوط: إسناده حسن، ورواه الترمذي في سننه، كتاب صفة النار، باب (ما جاء في صفة طعام أهل النار (رقم (٢٥٨٨) (٤/ ٦١١). وقال: هذا حديث إسناده حسن صحيح، وضعفه الألباني في (صحيح وضعيف سنن الترمذي) ص: (٥٨٣)، وفي (مشكاة المصابيح) رقم (٥٦٨٨)، (٣/ ١٥٨٣)، وأيضًا في ضعيف الجامع الصغير، رقم (٤٨٠٥) ص: (٦٩٣)، ورواه الحاكم في مستدركه، رقم (٣٦٤٠)، (٢/ ٤٧٦) وقال: حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، ووفقه الذهبي في التلخيص فقال: صحيح، ورواه البيهقي في البعث والنشور، رقم (٥٨١) ص: (٢٨٣)، ورواه ابن أبي الدنيا في صفة النار، ص: (٥٣-٥٤)، ورواه عبدالله بن المبارك في مسنده، ص: (٧٤-٧٥)، وذكره الكلاباذي في (بحر الفوائد المسمى بمعاني الأخبار)، ص: (٣٥٠-٣٥١)، وذكره المنذري في الترغيب والترهيب، رقم (٥٢٨٦)، (٣/ ١٣٣٦) قال الألباني في تخريجه له: ضعيف.

المبحث العاشر

العذاب النفسي في لباسهم في النار

امتن الله ﷻ على عباده بأن خلق لهم لباسًا يقيهم الحر ويقيهم البرد قال تعالى: ﴿وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَٰبِيلَ تَقِيكُمُ ٱلْحَرَّ وَسَرَٰبِيلَ تَقِيكُم بَأْسَكُمْ كَذَٰلِكَ يُتِمُّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ ﴾[النحل: ٨١]، وتستر عوراتهم قال تعالى: ﴿يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَٰرِى سَوْءَٰتِكُمْ وَرِيشًا وَلِبَاسُ ٱلتَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ﴾[الأعراف:٢٦]، وحثهم على التزين في اللباس عند العبادة فقال ﴿يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ خُذُوا۟ زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾[الأعراف: ٣١].

وجاءت السنة النبوية مقررة لذلك عندما أقر النبي ﷺ الرجل الذي يحب أن يكون ثوبه حسنًا ونعله حسنًا فقال النبي ﷺ: «إِنَّ اللهَ جَمِيلٌ يُحِبُّ الْجَمَالَ»[1].

وجعل الله من نعيم أهل الجنة اللباس الجميل الحسن فقال: ﴿وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ﴾[الحج:٢٣]، وقال ﴿وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِّن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ ﴾ [الكهف: ٣١].

وعلى العكس من ذلك أهل النار فإن لباسهم فيها من نار قال تعالى: ﴿فَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّن نَّارٍ﴾[الحج: ١٩]، وجعلها من القطران الشديد السواد المنتن الرائحة والذي يطلى بها جلود الإبل إذا أصابها الجرب نكاية بهم وإذلالًا لهم وزيادة في عذابهم النفسي قال تعالى: ﴿ سَرَابِيلُهُم مِّن قَطِرَانٍ﴾[إبراهيم: ٥٠].

والقطران: هو شيء يتحلب من شجر يسمى الأبهل فيطبخ ويطلى به الإبل الجرب فيحرق الجرب بحرارته وحدته، وقد تصل حرارته إلى داخل الجوف،

(١) رواه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب (تحريم الكبر) رقم (٩١)، (١/ ٨٩).

ومن شأنه أن يتسارع فيه اشتعال النار، وهو أسود منتن الريح فتطلى به جلود أهل النار حتى يصير ذلك الطلى كالسرابيل وهي القمص فيحصل بسببها.

أربعة أنواع من العذاب: لذع القطران وحرقته، وإسراع النار في جلودهم، واللون الوحش ونتن الريح، وأيضًا التفاوت بين قطران القيامة وقطران الدنيا كالتفاوت بين النارين[1].

فيكون في هذا اللباس عذاب نفسي، وعذاب حسي أما العذاب النفسي فمن حيث قذارة لونه، ونتن ريحه، وأما العذاب الحسي فلما فيه من القطران وما يسببه من إسراع النار في جلودهم، أجارنا الله من عذابه.

* * *

(١) انظر: الكشاف: (٢/ ٥٣١)، مفاتيح الغيب: (١٩/ ١١٧)، البحر المحيط: (٥/ ٤٢٨)، تفسير النسفي: (٢/ ٢٦٧).

المبحث الحادي عشر

العذاب النفسي في رؤيتهم لبعض ظواهر الدنيا في النار

وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول

رؤيتهم السحاب في النار

جعل الله ﷻ السحاب نعمة من نعمه يستبشر بها العباد عند رؤيتهم لها، وذلك لما يتخللها من المطر والغيث الذي ينزله الله رحمة للعباد قال تعالى: ﴿ فَٱنظُرْ إِلَىٰٓ ءَاثَٰرِ رَحْمَتِ ٱللَّهِ كَيْفَ يُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ ﴾[الروم: ٥٠].

وقد يكون السحاب نقمة وعذابًا يسلطه الله على المكذبين المعاندين المشاقين كما فعل الله ﷻ بقوم عاد فقد رأووا السحاب فظنوه مطرًا سيمطرهم ولكنه كان عذابًا لهم قال تعالى: ﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُّسْتَقْبِلَ أَوْدِيَتِهِمْ قَالُوا۟ هَٰذَا عَارِضٌ مُّمْطِرُنَا ۚ بَلْ هُوَ مَا ٱسْتَعْجَلْتُم بِهِۦ ۖ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٤﴾ تُدَمِّرُ كُلَّ شَىْءٍۭ بِأَمْرِ رَبِّهَا فَأَصْبَحُوا۟ لَا يُرَىٰٓ إِلَّا مَسَٰكِنُهُمْ ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْقَوْمَ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴾[الأحقاف: ٢٤-٢٥].

فكان النبي ﷺ بعد ذلك إذا رأى غيمًا أو ريحًا عرف ذلك في وجهه.

فعن عائشة رضي الله عنها زوج النب ﷺ أنها قالت: كَانَ النَّبِىّ ﷺ إِذَا عَصَفَت الرِّيحُ قَالَ: «اللهُمَّ إِنِّى أَسْأَلُكَ خَيْرَهَا وَخَيْرَ مَا فِيهَا وَخَيْرَ مَا أُرْسِلَتْ بِه، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّهَا وَشَرِّ مَا فِيهَا وَشَرِّ مَا أُرْسِلَتْ بِه»، قَالَتْ: وَإِذَا تَخَيَّلَت السَّمَاءُ تَغَيَّرَ لَوْنُهُ وَخَرَجَ وَدَخَلَ وَأَقْبَلَ وَأَدْبَرَ، فَإِذَا مَطَرَتْ سُرِّىَ عَنْهُ فَعَرَفْتُ ذَلِكَ فِى وَجْهِه، قَالَتْ عَائِشَةُ: فَسَأَلْتُهُ فَقَالَ: «لَعَلَّهُ يَا عَائِشَةُ كَمَا قَالَ قَوْمُ عَادٍ ﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا

﴿مُسْتَقْبِلَ أَوْدِيَتِهِمْ قَالُوا هَٰذَا عَارِضٌ مُّمْطِرُنَا﴾[(١)].

فأهل النار عندما يقاسون ألوان العذاب، ويشتد عليهم حر جهنم، فيعطشون فيها، ينشئ الله لهم سحابًا فيظنونه كسحاب الدنيا فيه الغيث والرحمة فيفرحون بالفرج ونزول المطر وتخفيف بعض ما هم فيه، ولكنه يخيب ظنهم فينزل عليهم ما يزيد في عذابهم فينقلب فرحهم حزنًا وغمًّا وحسرة وألمًا نفسيًّا، والعياذ بالله.

فعن يعلى بن منبه[(٢)] رفع الحديث إلى رسول الله ﷺ قال: «**ينشئ الله سحابة لأهل النار سوداء مظلمة فيقال: يا أهل النار أي شيء تطلبون فيذكرون بها سحابة الدنيا، فيقولون: يا ربنا الشراب، فيمطرهم أغلالًا تزيد في أغلالهم وسلاسل تزيد في سلاسلهم وجمرًا تلتهب عليهم**»[(٣)].

---

(١) رواه البخاري في صحيحه، كتاب بدء الخلق، باب (ما جاء في قوله ﴿وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ﴾ [الأعراف: ٥٧] رقم (٣٢٠٦)، ص: (٦٥٥-٦٥٦)، ورواه مسلم في صحيحه، كتاب صلاة الاستسقاء، باب (التعوذ عند رؤية الريح) رقم (٨٩٩)، (٢/ ٥١٤)، واللفظ له.

(٢) هو يعلى بن أمية بن أبي عبيدة بن همام بن الحارث، التيمي الحنظلي حليف قريش، ويقال له: يعلى بن منبة نسبة إلى أمه، وقيل جدته، وكنيته أبو خلف، ويقال: أبو خالد، ويقال: أبو صفوان استعمله أبو بكر على خلوان في الردة، ثم عمل لعمر على بعض اليمن ثم عزله، ثم عمل لعثمان على صنعاء، أسلم يوم الفتح، وكان سخيًّا معروفًا بالسخاء، شهد حنينًا والطائف وتبوك، وشهد الجمل مع عائشة، ثم صار من أصحاب علي وقتل معه في صفين سنة ثمان وثلاثين.

معرفة الصحابة: (٤/ ٤١٧)، الاستيعاب: (٢/ ٣٥٤)، أسد الغابة: (٤/ ٣٦١)، الإصابة: (٦/ ٥٣٨)، سير أعلام النبلاء: (٣/ ١٠٠).

(٣) رواه أبو حاتم في تفسيره: (١٠/ ٣٢٦٩)، ورواه ابن أبي الدنيا في صفة النار، ص: (٥٢-٥٣) موقوفًا ولم يرفعه، ورواه الهيثمي في مجمع الزوائد، (١٠/ ٣٩٠)، وقال: رواه الطبراني في الأوسط وفيه من فيه ضعف قليل، ولم أعرفه، وذكره المنذري في الترغيب=

....

=والترهيب، رقم (٥٢٨٧)، (٣/ ١٣٣٦)، قال الألباني في تخريجه له رقم (٢١٥٠): ضعيف، وذكره ابن عدي في الكامل في الضعفاء (٨/ ١٣١)، وذكره القنوجي في يقظة أولى الاعتبار ص: (٦٢-٦٣)، وذكره ابن رجب في التخويف من النار ص: (٩٣).

المطلب الثاني

إرسال الريح عليهم

يطلب أهل النار الخلاص من الحر الذي يجدونه من شدة حرارة النار عليهم، فيرسل الله ﷻ عليهم ريحًا باردة لا يطيقونها، فيستغيثون من شدة هذا البرد يريدون الخلاص منه فيغاثون بحر شديد، وهكذا يعذبهم الله عذابًا نفسيًّا يطلبون هذا مرة وهذا مرة وهم في ألمٍ نفسي فلا هذا ينفعهم ولا هذا ينفعهم.

فعن ابن عباس رضي الله عنهما **قال:** يستعيذ أهل النار من الحر، فيغاثون بريح باردة يَصْدَعُ بردها، فيسألون الحر[١].

وعن ابن عباس أيضًا أن كعبًا قال: إن في جهنم بردًا هو الزمهرير يسقط اللحم عن العظم حتى يستغيثوا بحر جهنم[٢].

* * *

---

(١) صفة النار، ص(١٠١)، التخويف من النار ص: (٧١).

(٢) حلية الأولياء: (٥/ ٣٧٠).

المطلب الثالث

رؤيتهم وتأذيهم ببعض الحشرات

الفرع الأول: رؤيتهم الحيات والعقارب في النار:

تعتبر الحية والعقرب من ألد أعداء بني آدم من الهوام، فالإنسان جبل بفطرته على الخوف والهلع من مشاهدتها ورؤيتها.

فهذا كليم الله موسى عليه السلام لما أمره الله تعالى أن يلقى عصاه فتحولت بقدرة الله تعالى إلى حية حقيقية خاف عليه السلام وولى مدبرًا منها قال تعالى: ﴿وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿١٧﴾ قَالَ هِىَ عَصَاىَ أَتَوَكَّؤُاْ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِى وَلِىَ فِيهَا مَـَٔارِبُ أُخْرَىٰ ﴿١٨﴾ قَالَ أَلْقِهَا يَٰمُوسَىٰ ﴿١٩﴾ فَأَلْقَىٰهَا فَإِذَا هِىَ حَيَّةٌ تَسْعَىٰ ﴿٢٠﴾ قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا ٱلْأُولَىٰ﴾[طه: ١٧-٢١].

وقال أيضًا: ﴿وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَءَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَآنٌّ وَلَّىٰ مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ يَٰمُوسَىٰٓ أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ إِنَّكَ مِنَ ٱلْءَامِنِينَ﴾[القصص:٣١].

وحين مناظرته عليه السلام مع سحرة فرعون عندما ألقوا حبالهم وعصيهم وخيلت إليه أنها حيات تسعى، خاف عليه السلام منها فقال الله تعالى عنه: ﴿قَالُواْ يَٰمُوسَىٰٓ إِمَّآ أَن تُلْقِىَ وَإِمَّآ أَن نَّكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَىٰ ﴿٦٥﴾ قَالَ بَلْ أَلْقُواْ فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ ﴿٦٦﴾ فَأَوْجَسَ فِى نَفْسِهِۦ خِيفَةً مُّوسَىٰ ﴿٦٧﴾ قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْأَعْلَىٰ﴾[طه: ٦٥-٦٨].

وأما العقرب فقد لعنها النبي صلى الله عليه وسلم وعدها مع الحية من الفواسق الخمسة التي تقتل في الحل والحرم.

فعن عائشة رضي الله عنها قالت: لَدَغَتِ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم عَقْرَبٌ وَهُوَ فِي الصَّلَاةِ فَقَالَ:

«لَعَنَ اللهُ الْعَقْرَبَ، مَا تَدَعُ الْمُصَلِّيَ وَغَيْرَ الْمُصَلِّي، اقْتُلُوهَا فِي الْحِلِّ وَالْحَرَمِ»[١].

وقد جعل الباري ﷻ من عذاب أهل النار النفسي تسليط الحيات والعقارب عليهم في النار وهي التي لا يطيقون رؤيتها في الدنيا بل ويفرون منها كما سبق وأحيانًا يحاولون قتلها، أما في النار فلا مفر ولا سبيل إلى قتلها، فيجتمع لهم العذاب الحسي بلدغها لهم فيجدون ألم سمها في أجسادهم والألم النفسي في رؤيتها والخوف والهلع من منظرها وعدم التمكن من الفرار منها والعياذ بالله.

وأيضًا هي ليست كحيات وعقارب الدنيا بل ضخَّم الله ﷻ أجسامها في النار نكاية بهم، فالحيات مثل أعناق الجمال الطويلة والعقارب مثل البغال السود.

فعن عبدالله بن الحارث بن جزء الزبيدي[٢] ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ فِي النَّارِ حَيَّاتٍ كَأَمْثَالِ أَعْنَاقِ الْبُخْتِ، تَلْسَعُ إِحْدَاهُنَّ اللَّسْعَةَ فَيَجِدُ حَمْوَتَهَا أَرْبَعِينَ خَرِيفًا، وَإِنَّ فِي النَّارِ عَقَارِبَ كَأَمْثَالِ الْبِغَالِ الْمُوكَفَةِ، تَلْسَعُ إِحْدَاهُنَّ اللَّسْعَةَ، فَيَجِدُ حَمْوَتَهَا أَرْبَعِينَ سَنَةً»[٣].

---

(١) رواه ابن ماجه في سننه، كتاب إقامة الصلاة والسنة، باب (ما جاء في قتل الحية والعقرب في الصلاة) رقم (١٢٤٦)، (١/ ٣٩٥)، ورواه ابن أبي شيبة في مصنفه، رقم (٢٣٥٤٣) (٥/ ٤٣).

(٢) هو عبدالله بن الحارث بن جزء بن عبدالله بن معد يكرب الزبيدي، حليف أبي وداعة السهمي، يكنى أبا الحارث، قال البخاري: له صحبة سكن مصر، روى عن النبي ﷺ أحاديث حفظها، وسكن مصر، فروى عنه المصريون وكان اسمه العاص فسماه رسول الله ﷺ عبدالله، قيل: إنه شهد بدرًا، وهو آخر من مات بمصر من الصحابة سنة ست وثمانين بعد أن عمي، وقيل غير ذلك.

معرفة الصحابة: (٣/ ١٢٣)، الاستيعاب: (١/ ٥٢٦)، أسد الغابة: (٢/ ٥٧٢)، الإصابة: (٤/ ٤١)، تقريب التهذيب، ص: (٢٤١).

(٣) رواه أحمد في مسنده، رقم (١٧٧١٢)، (٢٩/ ٢٥١) قال الأرناؤوط: إسناد ضعيف،=

الفرع الثاني: إرسال الذباب عليهم وتأذيهم به في النار:

سمى الذباب ذبابًا لكثرة حركته واضطرابه[1].

وهو من الحشرات الضارة المؤذية التي لا تقع إلا على القاذورات، والتي تكون سببًا في نقل الأمراض، كما أنها تؤذي ابن آدم وتزعجهم عند الوقوع على وجههم أو سائر أجسادهم، فهو يتقزز من رؤيتها ويتأذى بحركتها على جسده قال الجاحظ[2]: يقال: أزهى من ذباب؛ لأنه يسقط على أنف الملك الجبار وعلى

=دراج بن سمعان ضعفه غير واحد من الأئمة، ورواه الحاكم في مستدركه، رقم (٨٧٥٤) (٤/ ٦٣٥) وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، ووفقه الذهبي في التلخيص فقال: صحيح، ورواه ابن أبي الدنيا في (صفة النار) رقم (٩٢)، ص: (٧٠)، ورواه البيهقي في البعث والنشور، رقم (٦١٦ ص: (٢٩٨)، ورواه ابن حبان في صحيحه، رقم (٧٤٧١)، ص: (٢٠٠١)، ورواه أسد بن موسى في (الزهد) ص: (٢٦)، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (١٠/ ٣٩٠)، وقال: رواه أحمد والطبراني وفيه ضعفاء، وقد وثقوا، وذكره أيضًا في موارد الظمآن، رقم (٢٦١٣) ص: (٦٤٩)، وذكره الحافظ المنذري في الترغيب والترهيب، رقم (٥٢٩٢)، (٣/ ١٣٣٨)، وحسن الحديث الألباني في تخريجه له في الترغيب والترهيب، رقم (٣٦٧٦) (٣/ ١٣٣٨)، وفي (مشكاة المصابيح) رقم (٥٦٩١) (٣/ ١٥٨٤) لم يتكلم عنه الألباني في تخريجه له بتصحيح ولا تضعيف.

(١) غذاء الألباب، السفاريني (٢/ ٦٣).

(٢) هو أبو عثمان عمرو بن بحر بن محبوب البصري، صاحب التصانيف الكثيرة في الفنون، وكان بحرًا من بحور العلم رأسًا في الكلام والاعتزال، وكان أحد الأذكياء وإنما قيل له (الجاحظ)؛ لأن عينيه كانت جاحظتين، قال ثعلب: ما هو ثقة، وقال ابن حجر: كان من أئمة البدع وإليه تنتسب الفرقة الجاحظية من المعتزلة، له مصنفات منها (الحيوان) و(البيان والتبيين)، قال ابن حزم: كان أحد المجان الضلال غلب عليه الهزل ومع ذلك فإنا ما رأينا له في كتبه تعمد كذبة يوردها مثبتًا لها وإن كان كثير الإيراد لكذب غيره، مات سنة خمسين ومائتين.

وفيات الأعيان: (٢/ ٢٢٤)، تاريخ بغداد: (١٢/ ٢٠٨)، ميزان الاعتدال: (٥/ ٣٠٠)،=

موق عينيه ليأكله، ثم يطرد فلا ينطرد.

وحكى أن ذبابًا وقع على أنف المنصور[(١)] وهو يخطب، فحرك رأسه ليطرده، وكان الخلفاء لا يحركون أيديهم على المنابر، فطار حتى سقط على رأسه، فحركها فطار حتى وقع على عينيه، فحرك رأسه فطار حتى وقع على عينه الأخرى، حتى أضجره، فذبه بيده، فلما نزل سأل عمرو بن عبيد[(٢)]: لم خلق الله الذباب؟

فقال: ليذل به الجبابرة، ثم قرأ قوله تعالى: ﴿وَإِن يَسْلُبْهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيْـًٔا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ۚ ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلْمَطْلُوبُ﴾[الحج: ٧٣][(٣)].

=العبر: (١/ ٣٥٩)، لسان الميزان، (٤/ ٤٠٩).

(١) هو أمير المؤمنين عبدالله بن محمد بن علي بن عبدالله بن العباس أبو جعفر، ولد سنة خمس وتسعين، وكان قبل الخلافة يقال له (عبدالله الطويل)، كان من أفراد الدهر حزمًا ودهاءً وجبروتًا حريصًا على جمع المال، وكان يلقب (أبا الدوانيف)، وكان شجاعًا مهيبًا قتل خلقًا كثيرًا حتى ثبت الأمر له ولولده، وكان فيه عدل، وله حظ من صلاة وعلم وفقه، توفي محرمًا على باب مكة سنة ثمان وخمسين ومائة.

تاريخ بغداد: (١٠/ ٥٥)، البداية والنهاية: (١٠/ ١٣٠)، العبر: (١/ ١٧٥)، سير أعلام النبلاء: (٧/ ٨٣)، فوات الوفيات: (١/ ٥٦٨).

(٢) هو عمرو بن عبيد بن باب، ويقال ابن كيسان التميمي مولاهم أبو عثمان البصري. قال ابن حجر: معتزلي ضال مع زهده، وقال عمرو بن علي: متروك الحديث صاحب بدعة، وقال ابو حاتم، متروك الحديث، وقال النسائي: ليس بثقة ولا يكتب حديثه، وقال أحمد بن حنبل: ليس بأهل أن يحدث عنه. وقال الخطيب: كان يسكن البصرة، وجالس الحسن وحفظ عنه، واشتهر بصحبته ثم أزاله واصل بن عطاء عن مذهب أهل السنة بالقدر ودعاه إليه، واعتزل أصحاب الحسن، وكان له سمت، وإظهار زهد، مات سنة ثلاث وأربعين أو قبلها.

الضعفاء الصغير للبخاري، ص: (٤٦٥)، الضعفاء والمتروكين، الدارقطني، ص: (٣٤٨)، الكامل في الضعفاء: (٦/ ١٧٤)، تهذيب التهذيب: (٣/ ٢٨٨)، طبقات المعتزلة، ص: (٣٥).

(٣) ثمار القلوب، الثعالبي (٢/ ١٥٠)، الجليس الصالح الكافي، الحريري، ص: (٤٧٨-٤٧٩)، مرقاة المفاتيح: (٧/ ٢٦٨١).

وقال الشاعر:

وما خلق الله الذباب لحاجة إليها ولكن كي يغيظ بها الخلـق[١]

فمن عذاب أهل النار النفسي تسليط هذه الحشرة القذرة المؤذية عليهم في النار لتؤذيهم.

فعن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: **«الذُّبَابُ كُلُّهُ فِي النَّارِ إلا النَّحْلُ»**[٢].

قال أهل العلم عن هذا الحديث: كون الذباب في النار ليس بعذاب له، بل ليعذب به أهل النار بوقوعه عليهم[٣].

* * *

(١) فريدة القصر وجريدة العصر، العماد الأصفهاني (٦/ ٥٤٢) والبيت لمرجي بن تباه.

(٢) رواه أبو يعلى في مسنده، رقم (٤٢٣١)، ص: (٧٩١) عن أنس بن مالك، قال محقق الكتاب الشيخ حسين أسد: إسناد حسن، ورواه الطبراني في المعجم الكبير، رقم (١١٠٥٨) (١١/ ٥٤). قال محقق الكتاب حمدي عبدالمجيد السلفي: حديث صحيح لكنه عند البزار من حديث ابن عمر، ورواه عبدالرزاق في مصنفه، رقم (٩٤١٥) (٥/ ٢١٣)، ورقم (٨٤١٧) (٤/ ٤٥١)، ورواه الهيثمي في مجمع الزوائد (١٠/ ٣٩٠)، وقال: رواه الطبراني في الأوسط الكبير بأسانيد ورجال بعضها ثقات كلها ورواه البزار باختصار، ورواه أبو نعيم في (أخبار أصفهان) ص: (٢١٩)، وقد ذكر ابن الجوزي طرق هذا الحديث في (الموضوعات) (٢/ ٤٣٥-٤٣٦)، ورد عليه ابن عراق في (تنزيه الشريعة) فقال: فالحديث حسن أو صحيح، (٢/ ٣٨٦)، وكذلك رد عليه السفاريني في (البحور الزاخرة) (٢/ ٢٣٩)، ورواه السيوطي في (الجامع الصغير) رقم (٤٣٤٨) (٢/ ٢٦٥) وصححه الألباني في (صحيح الجامع) رقم (٣٤٤٢) (١/ ٦٤٧).

(٣) انظر: البحور الزاخرة: (٢/ ٢٣٩)، غذاء الألباب: (٢/ ٦٣)، حاشية الجمل: (٥/ ٢٧٣)، حاشيتا القليوبي وعميرة: (٤/ ٢٦١)، ومرقاة المفاتيح (٧/ ٢٦٨١).

المطلب الرابع

العذاب النفسي في تسليط الجرب عليهم:

يعد مرض الجرب من الأمراض الجلدية القديمة المعدية التي عرفها الإنسان، وهو مرض يثير الرعب والخوف والهلع لدى الناس، فقد كانت العرب تعتبره مسبة وشتيمة يسب ويعير به الشخص.

قال عنترة[١]:

لا تذكري مهري وما أصمعته فيكون جلدُك مثل جلدِ الأجْربِ[٢]

وقال لبيد بن ربيعة العامري[٣]:

ذهب الذين يعاش في أكنفاهم وبقيت في خلف كجلد الأجْرب[٤]

وقد جعله الله ﷻ في الآخرة من العذاب النفسي الذي يسلطه على أهل النار مما يصيبهم من الخجالة، زيادة على ما يصيبهم من الألم الحسي من أثر الحكة

---

(١) هو عنترة بن شداد بن معاوية بن قراد بن مخزوم بن مالك بن غالب العبسي، الفارس المشهور، وكان شاعرًا مجيدًا وفارسًا محاربًا مقدامًا شريف الهمة عفيف الإزار.

الأغاني، لأبي الفرج الأصفهاني (٨/ ٢٤٤)، الاشتقاق، لابن دريد، ص: (٢٨٠)، الشعر والشعراء، لابن قتيبة الدنيوري (١/ ٢٤٣) بلوغ الأرب، محمود الألوسي: (٢/ ١٢٦)، خزانة الأدب، عبدالقادر البغدادي: (١/ ١٢٨).

(٢) ديوان عنترة شرح الخطيب التبريزي، ص: (١٣).

(٣) هو لبيد بن ربيعة العامري الشاعر، وفد فأسلم، ولم يقل بعد الإسلام بيتًا من الشعر، مات وهو ابن مائة وسبع وخمسين سنة.

معرفة الصحابة: (٤/ ١٧٩)، الاستيعاب: (٢/ ١٨٩)، أسد الغابة: (٣/ ٥٥٤)، تهذيب الأسماء واللغات: (١/ ٥٤٠)، الإصابة: (٥/ ٥٠٠).

(٤) ديوان لبيد بن ربيعة، شرح الطوسي، ص: (٥٧).

التي يسببها في جلودهم.

فعن يزيد بن شجرة[١] قال: إن لجهنم لجبابًا، في كل جب ساحل كساحل البحر، فيه هوام وحيات كالبخاتي وعقارب كالبغال الدهم، فإذا سأل أهل النار التخفيف؛ قيل: اخرجوا إلى الساحل، فتأخذهم تلك الهوام بشفاههم وجنوبهم وبما شاء الله من ذلك، فتكشطها، فيرجعون، فيبادرون إلى معظم النار، ويسلط عليهم الجرب، حتى إن أحدهم ليحك جلده، حتى يبدو العظم، فيقال: يا فلان! هل يؤذيك هذا؟ فيقول: نعم. فيقال له: ذلك بما كنت تؤذي المؤمنين[٢].

وعن مجاهد قال: يلقى على أهل النار الجرب فيحتكون حتى تبدو العظام، فيقولون: ربنا بم أصابنا هذا؟ قال: بأذاكم المؤمنين[٣].

* * *

(١) هو يزيد بن شجرة الرهاوي، من مذحج، مختلف في صحبته، ذكره خليفة بين خياط قال: بعث معاوية يزيد بن شجرة الرهاوي سنة تسع وثلاثين ليقيم الحج للناس، فنازعه قثم بن العباس، ففرق بينهما أبو سعيد الخدري وغيره فاصطلحا أن يقيم الحج شيبة بن عثمان، ويصلي بالناس، ذكره ابن سعد في الطبقة الأولى من أهل الشام مع بعض الصحابة، وقال أبو حاتم وأبو زرعة: ليس له صحبة، مات سنة ثمان وخمسين في أواخر خلافة معاوية.

الاستيعاب: (٢/ ٣٤٩)، أسد الغابة: (٤/ ٣٤٣)، الثقات: (٣/ ٤٤٥)، الإصابة: (٦/ ٥٢٠)، جامع التحصيل، ص: (٣٠١).

(٢) رواه البيهقي في البعث والنشور، ص: (٢٩٨-٢٩٩)، التخويف من النار ص: (٩٩) وصحح إسناده الألباني في تخريجه (للترغيب والترهيب) (٣/ ١٣٣٨) وقال: صحيح موقوف.

قلت: وهذا له حكم الرفع؛ لأن مثل هذا لا يقال من قبيل الرأي.

(٣) رواه ابن أبي شيبة في مصنفه (٧/ ٧٥)، ورواه أسد بن موسى في الزهد، ص: (٣٣)، صفة النار ص: (٨٨)، التخويف من النار ص: (٩٩).

الخاتمة

الحمد لله الذي يسر علينا إتمام وإنجاز هذا البحث المتواضع والذي غصنا في آلامه وأحزانه سنواتٍ عدة كيف لا وهو يتعلق بنوع من أنواع عذاب الجبار جل وعلا بل وفيه نوع من أنواع العذاب وهو أشد من العذاب الحسي أجارنا الله والمسلمين من سخطه وعذابه.

ويمكن أن نجمل القول في أهم نتائج هذا البحث في النقاط الآتية:

إن عذاب الله حقٌ واقعٌ لا محالة، قال تعالى: ﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَٰقِعٌ ۝٧ مَّا لَهُۥ مِن دَافِعٍ﴾ [الطور: ٧-٨].

إن تنوع أنواع العذاب في الآخرة على الكافرين والمنافقين هو من باب مجازاتهم بسوء أعمالهم التي اقترفوها في الحياة الدنيا.

إن الجزاء من جنس العمل فقد استخدم الكافرون والمنافقون أساليب الحرب النفسية كالاستهزاء والتبكيت والتعذيب النفسي على المؤمنين فنالوا مثل ذلك في الآخرة.

إن العذاب النفسي ينال الكافرين والمنافقين بمجرد موتهم وانتقالهم من الحياة الدنيا إلى الآخرة.

اتضح أن العذاب النفسي أشد وطأ وألمًا من العذاب الحسي.

إن تنوع العذاب الحسي في مواقف القيامة دليل على قدرة الله تعالى في مجازاة عباده.

قد يجمع الله تعالى على الكافر والمنافق أضعافًا من العذاب النفسي في نفس الوقت وذلك زيادة في عذابه وخزيه والعياذ بالله.

قد يجمع الله ﷻ على الكافر والمنافق العذاب الحسي والعذاب النفسي في الآخرة في وقتٍ واحد..

في تنويع العذاب على الكافرين والمنافقين بيان فضل الله على المؤمنين ولطفه بهم جزاء ما كانوا يعانونه من إيذاء واستهزاء في الحياة الدنيا.

إن التعذيب في البرزخ للكافر والمنافق يجمع فيه بين العذابين الحسي والنفسي.

إن التعذيب في عرصات يوم القيامة يغلب فيه التعذيب النفسي.

في النار يجمع بين العذاب النفسي والحسي على المنافق والكافر، وأن أشد ذلك العذاب هو عذاب الحرمان من رؤية الجبار كما قرر ذلك علماء الإسلام فيما سبق.

يشارك في تعذيب الكافرين والمنافقين عذابًا نفسيًّا في الآخرة الملائكةُ والمؤمنون.

العذاب النفسي أوسع من العذاب الحسي فهو في البرزخ وفي عرصات القيامة وفي النار.

إن العذاب النفسي يسبق العذاب الحسي في الغالب.

تمييز الكفار والمنافقين ببعض الصفات في يوم القيامة نوع من أنواع العذاب النفسي.

إن تنوع المجادلات وكثرة الخصومات يوم القيامة من الكفار والمنافقين نوع من أنواع العذاب النفسي.

نسأل الله السلامة والعافية .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

* * *

الفهـــارس

فهرس الآيات القرآنية

	رقم الآية	الصفحة
﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِمَّا رَزَقْنَـٰكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَـٰعَةٌ ۗ وَٱلْكَـٰفِرُونَ هُمُ ٱلظَّـٰلِمُونَ ﴾	٢٥٤	١٩٤
﴿ مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ﴾	٢٥٥	١٨٣، ١٨٦

سورة آل عمران

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ ٱلَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِٱلْقِسْطِ مِنَ ٱلنَّاسِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ (٢١) أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ حَبِطَتْ أَعْمَـٰلُهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ وَمَا لَهُم مِّن نَّـٰصِرِينَ ﴾	٢١-٢٢	١٠٣
﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَن يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِم مِّلْءُ ٱلْأَرْضِ ذَهَبًا وَلَوِ ٱفْتَدَىٰ بِهِۦٓ ﴾	٩١	١٢٥
﴿ يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَـٰنِكُمْ فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ (١٠٦) وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱبْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِى رَحْمَةِ ٱللَّهِ هُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ ﴾	١٠٦-١٠٧	١٠٥

سورة النساء

﴿ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍۭ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَـٰٓؤُلَآءِ شَهِيدًا ﴾	النساء:٤١	٢٠٠
﴿ يَوْمَئِذٍ يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَعَصَوُا۟ ٱلرَّسُولَ لَوْ تُسَوَّىٰ بِهِمُ ٱلْأَرْضُ وَلَا يَكْتُمُونَ ٱللَّهَ حَدِيثًا ﴾	النساء:٤٢	١٣١، ٢٠٨
﴿ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ﴾	النساء:٧٩	١٩٩
﴿ رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ ﴾	النساء:١٦٥	٦٩

سورة الأعراف

سورة الرعد

سورة إبراهيم

	رقم الآية	الصفحة
﴿قَالُوا۟ يَـٰمُوسَىٰٓ إِمَّآ أَن تُلْقِىَ وَإِمَّآ أَن نَّكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَىٰ ﴿٦٥﴾ قَالَ بَلْ أَلْقُوا۟ ۖ فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ ﴿٦٦﴾ فَأَوْجَسَ فِى نَفْسِهِۦ خِيفَةً مُّوسَىٰ ﴿٦٧﴾ قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْأَعْلَىٰ﴾	٦٥-٦٨	٣٤٤
﴿يَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ ۚ وَنَحْشُرُ ٱلْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا ﴿١٠٢﴾ يَتَخَـٰفَتُونَ بَيْنَهُمْ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا عَشْرًا ﴿١٠٣﴾ نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ إِذْ يَقُولُ أَمْثَلُهُمْ طَرِيقَةً إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا يَوْمًا﴾	١٠٢-١٠٤	١١٨
﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِىٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَـٰتُنَا فَنَسِيتَهَا ۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ﴾	١٢٤-١٢٦	١١٢
﴿يَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ ۚ وَنَحْشُرُ ٱلْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا﴾	١٠٢	١٩٨،١١١
﴿فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا﴾	١٠٨	٢١٨
﴿فَقُلْنَا يَـٰٓـَٔادَمُ إِنَّ هَـٰذَا عَدُوٌّ لَّكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ ٱلْجَنَّةِ فَتَشْقَىٰٓ﴾	١١٧	٢٨١
﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ أَعْمَىٰ﴾	١٢٤	١١٤،٥٦
﴿لِمَ حَشَرْتَنِىٓ أَعْمَىٰ﴾	١٢٥	١١٤

سورة الأنبياء

﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ﴾	٢٨	١٨٦،١٨٣
﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ﴾	٤٧	١٦٨،١٦٥

	رقم الآية	الصفحة
سورة سبأ		
﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ مَوْقُوفُونَ عِندَ رَبِّهِمْ يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ ٱلْقَوْلَ يَقُولُ ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ لَوْلَآ أَنتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ (٣١) قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ لِلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوٓا۟ أَنَحْنُ صَدَدْنَٰكُمْ عَنِ ٱلْهُدَىٰ بَعْدَ إِذْ جَآءَكُم ۖ بَلْ كُنتُم مُّجْرِمِينَ (٣٢) وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ بَلْ مَكْرُ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ إِذْ تَأْمُرُونَنَآ أَن نَّكْفُرَ بِٱللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُۥٓ أَندَادًا ۚ وَأَسَرُّوا۟ ٱلنَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ وَجَعَلْنَا ٱلْأَغْلَٰلَ فِىٓ أَعْنَاقِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾	٣١-٣٣	٢٣٠
﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ أَهَٰٓؤُلَآءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ (٤٠) قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِم ۖ بَلْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ٱلْجِنَّ ۖ أَكْثَرُهُم بِهِم مُّؤْمِنُونَ﴾	٤٠-٤١	٢٣٧
﴿وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُۥ﴾	٢٣	١٨٦
﴿فَٱلْيَوْمَ لَا يَمْلِكُ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ نَّفْعًا وَلَا ضَرًّا وَنَقُولُ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلنَّارِ ٱلَّتِى كُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ﴾	٤٢	١٩٥
﴿وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِم مِّن قَبْلُ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ فِى شَكٍّ مُّرِيبٍۭ﴾	٥٤	٤٨
سورة فاطر		
﴿إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا ۚ إِنَّمَا يَدْعُوا۟ حِزْبَهُۥ لِيَكُونُوا۟ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ﴾	٦	٢٨١
﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ ۚ﴾	١٠	٦١
﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۚ﴾	١٨	١٢١

	رقم الآية	الصفحة
﴿ وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَٰلِحًا غَيْرَ ٱلَّذِى كُنَّا نَعْمَلُ ۚ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَآءَكُمُ ٱلنَّذِيرُ ۖ فَذُوقُوا۟ فَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِن نَّصِيرٍ ﴾	٣٧	٣١٧، ٣٢٢

سورة يس

﴿ يَٰوَيْلَنَا مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا ۜ ۗ هَٰذَا مَا وَعَدَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَصَدَقَ ٱلْمُرْسَلُونَ ﴾	٥٢	٨٧
﴿ وَٱمْتَٰزُوا۟ ٱلْيَوْمَ أَيُّهَا ٱلْمُجْرِمُونَ ﴾	٥٩	١٩٧
﴿ وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنكُمْ جِبِلًّا كَثِيرًا ۖ ﴾	٦٢	٢٨٢
﴿ ٱلْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰٓ أَفْوَٰهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَآ أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴾	٦٥	٢٠٦

سورة الصافات

﴿ قَالُوٓا۟ إِنَّكُمْ كُنتُمْ تَأْتُونَنَا عَنِ ٱلْيَمِينِ ﴿٢٨﴾ قَالُوا۟ بَل لَّمْ تَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ ﴿٢٩﴾ وَمَا كَانَ لَنَا عَلَيْكُم مِّن سُلْطَٰنٍۭ ۖ بَلْ كُنتُمْ قَوْمًا طَٰغِينَ ﴿٣٠﴾ فَحَقَّ عَلَيْنَا قَوْلُ رَبِّنَآ ۖ إِنَّا لَذَآئِقُونَ ﴿٣١﴾ فَأَغْوَيْنَٰكُمْ إِنَّا كُنَّا غَٰوِينَ ﴿٣٢﴾ فَإِنَّهُمْ يَوْمَئِذٍ فِى ٱلْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ ﴾	٢٨-٣٣	٢٣١
﴿ أَذَٰلِكَ خَيْرٌ نُّزُلًا أَمْ شَجَرَةُ ٱلزَّقُّومِ ﴿٦٢﴾ إِنَّا جَعَلْنَٰهَا فِتْنَةً لِّلظَّٰلِمِينَ ﴿٦٣﴾ إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِىٓ أَصْلِ ٱلْجَحِيمِ ﴿٦٤﴾ طَلْعُهَا كَأَنَّهُۥ رُءُوسُ ٱلشَّيَٰطِينِ ﴿٦٥﴾ فَإِنَّهُمْ لَءَاكِلُونَ مِنْهَا فَمَالِـُٔونَ مِنْهَا ٱلْبُطُونَ ﴾	٦٢-٦٦	٣٣٤
﴿ فَإِنَّهُمْ يَوْمَئِذٍ فِى ٱلْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ ﴿٣٣﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَفْعَلُ بِٱلْمُجْرِمِينَ ﴾	٣٣-٣٤	١٩٨
﴿ ٱحْشُرُوا۟ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ وَأَزْوَٰجَهُمْ وَمَا كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ﴾	٢٢	٩٢، ١٩٥
﴿ وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَآءَلُونَ ﴾	٢٧	٢١٨، ٢٣٠

سورة غافر

الآية	رقم الآية	الصفحة
﴿ٱلْيَوْمَ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٢﴾ يَوْمَ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱنظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ قِيلَ ٱرْجِعُوا۟ وَرَآءَكُمْ فَٱلْتَمِسُوا۟ نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُۥ بَابٌۢ بَاطِنُهُۥ فِيهِ ٱلرَّحْمَةُ وَظَٰهِرُهُۥ مِن قِبَلِهِ ٱلْعَذَابُ ﴿١٣﴾ يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ وَلَٰكِنَّكُمْ فَتَنتُمْ أَنفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَٱرْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ ٱلْأَمَانِىُّ حَتَّىٰ جَآءَ أَمْرُ ٱللَّهِ وَغَرَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ﴾	١٢-١٤	١٨٠
﴿ٱنظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ﴾	١٣	١٨٠

سورة المجادلة

الآية	رقم الآية	الصفحة
﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا فَيَحْلِفُونَ لَهُۥ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ ۖ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَىٰ شَىْءٍ ۚ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ﴾	١٨	١٩٤

سورة الحشر

الآية	رقم الآية	الصفحة
﴿كَمَثَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ إِذْ قَالَ لِلْإِنسَٰنِ ٱكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّنكَ إِنِّىٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾	١٦	٢٨٢

سورة الممتحنة

الآية	رقم الآية	الصفحة
﴿وَيَبْسُطُوٓا۟ إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتَهُم بِٱلسُّوٓءِ﴾	٢	٤٠
﴿لَن تَنفَعَكُمْ أَرْحَامُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُمْ ۚ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَفْصِلُ بَيْنَكُمْ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾	٣	١٢٤

سورة المنافقون

الآية	رقم الآية	الصفحة
﴿وَإِن يَقُولُوا۟ تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ ۖ﴾	٤	١١٤

* * *

فِهرس الأحاديث والآثار

لفظ الحديث أو الأثر	الصفحة
إِنَّ فِي النَّارِ حَيَّاتٍ كَأَمْثَالِ أَعْنَاقِ الْبُخْتِ، تَلْسَعُ إِحْدَاهُنَّ اللَّسْعَةَ فَيَجِدُ حَمْوَتَهَا أَرْبَعِينَ خَرِيفًا ...	٣٤٥
إن لجهنم لجبابا، في كل جب ساحل كساحل البحر، فيه هوام وحيات كالبخاتي وعقارب كالبغال الدلم ...	٣٥٠
إِنَّ لِكُلِّ نَبِيٍّ حَوْضًا وَإِنَّهُمْ يَتَبَاهَوْنَ أَيُّهُمْ أَكْثَرُ وَارِدَةً وَإِنِّي أَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَكْثَرَهُمْ وَارِدَةً	١٣٩
إِنَّ مُحَمَّدِيَّكُمْ هَذَا لَدَحْدَاحٌ فَسَمِعَهَا الشَّيْخُ، فَقَالَ: مَا ظَنَنْتُ أَنِّي أَعِيشُ حَتَّى أُعَيَّرَ بِصُحْبَةِ مُحَمَّدٍ ﷺ	١٤٠
أَنَا فَرَطُكُمْ عَلَى الْحَوْضِ لَيُرْفَعَنَّ إِلَيَّ رِجَالٌ مِنْكُمْ حَتَّى إِذَا أَهْوَيْتُ لأُنَاوِلَهُمُ اخْتُلِجُوا دُونِي ...	١٤٤
أَنَا فَرَطُكُمْ عَلَى الْحَوْضِ لَيُرْفَعَنَّ إِلَيَّ رِجَالٌ مِنْكُمْ حَتَّى إِذَا أَهْوَيْتُ لأُنَاوِلَهُمُ اخْتُلِجُوا دُونِي فَأَقُولُ أَيْ رَبِّ أَصْحَابِي يَقُولُ لاَ تَدْرِي مَا أَحْدَثُوا بَعْدَكَ	١٤٤
أَنَّهُ لَمَّا رَجَعَ مِنَ الْيَمَنِ، قَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، رَأَيْتُ رِجَالاً بِالْيَمَنِ يَسْجُدُ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ، أَفَلاَ نَسْجُدُ لَكَ؟ قَالَ: لَوْ كُنْتُ آمِرًا بَشَرًا يَسْجُدُ لِبَشَرٍ، لأَمَرْتُ الْمَرْأَةَ أَنْ تَسْجُدَ لِزَوْجِهَا	٢٢٣
إِنَّهُ لَيَأْتِي الرَّجُلُ الْعَظِيمُ السَّمِينُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لاَ يَزِنُ عِنْدَ اللهِ جَنَاحَ بَعُوضَةٍ	١٦٨
إِنِّي عَلَى الْحَوْضِ حَتَّى أَنْظُرَ مَنْ يَرِدُ عَلَيَّ مِنْكُمْ وَسَيُؤْخَذُ أُنَاسٌ دُونِي ...	١٤٤
آيَةُ الْمُنَافِقِ ثَلاَثٌ: إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ، وَإِذَا اؤْتُمِنَ خَانَ	٢٨

لفظ الحديث أو الأثر	الصفحة
يُدْنَى الْمُؤْمِنُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ رَبِّهِ ﷻ حَتَّى يَضَعَ عَلَيْهِ كَنَفَهُ فَيُقَرِّرُهُ بِذُنُوبِهِ فَيَقُولُ هَلْ تَعْرِفُ؟	١٦١
يَرِدُ عَلَيَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ رَهْطٌ مِنْ أَصْحَابِي فَيُحَلَّؤُونَ عَنِ الْحَوْضِ	١٤٤
يُرْسَلُ الْبُكَاءُ عَلَى أَهْلِ النَّارِ، فَيَبْكُونَ حَتَّى يَنْقَطِعَ الدُّمُوعُ ...	٣٣٢
يُعْرَضُ النَّاسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ثَلَاثَ عَرَضَاتٍ فَأَمَّا عَرْضَتَانِ فَجِدَالٌ وَمَعَاذِيرُ	١٥٠
يَكْشِفُ رَبُّنَا عَنْ سَاقِهِ فَيَسْجُدُ لَهُ كُلُّ مُؤْمِنٍ وَمُؤْمِنَةٍ	٢٢٥

* * *

فِهرس الأعلام

اسم العلم	الصفحة
إسماعيل بن عبدالرحمن السدي	٤٨
إسماعيل بن عبدالرحمن النيسابوري الصابوني	١٤٢
إسماعيل حقي بن مصطفى الإسلامبولي البرسوي	٢٢
أشهب بن عبدالعزيز العامري	١٢٦
البراء بن عازب الأوسي	٣٨
ثوبان بن بجدد	١٣٨
جعفر بن محمد بن علي زين العابدين	١٠٨
الجنيد بن محمد بن الجنيد النهاوندي البغدادي	٢٢٢
الجهم بن صفوان أبو محرز الراسبي السمرقندي	١٩١
الحارث بن أسد المحاسبي	١٤٣
الحسن بن أحمد بن عبدالغفار الفارسي	١٨١
الحسن بن علي بن خلف البربهاري	٥٨
الحسن بن علي بن محمد بن إسحاق الدقاق القشيري	٣٢٩
الحسين بن الحسن بن محمد بن حليم البخاري الحليمي	٣٢٥
الحسين بن الفضل بن عمير البجلي	٣٠٠
الحسين بن عبدالله بن محمد الطيبي	٤٦

اسم العلم	الصفحة

اسم العلم	الصفحة

اسم العلم	الصفحة

اسم العلم	الصفحة
علي بن علي بن محمد الصالحي (أبو العز الحنفي)	٥٩
علي بن محمد بن إبرهيم المعروف بالخازن	٦١
علي بن محمد بن علي، الشريف الجرجاني	٥٤
علي بن محمد بن محمد المنوفي	٢١
عمر بن عبدالله المدني	٣٥
عمران بن الحصين بن عبيد بن خلف الخزاعي	١٨٧
عمرو بن بحر بن محبوب البصري (الجاحظ)	٣٤٦
عمرو بن عبيد بن باب التميمي البصري	٣٤٧
عنترة بن شداد بن معاوية العبسي الفارسي	٣٤٩
عياض بن موسى اليحصبي الأندلسي	١٤٦
غُضيف بن الحارث الكندي	٧٣
فضلة بن عبيد الأسلمي (أبو برزة)	١٤٠
القاسم بن سلام البغدادي (أبو عبيد)	٨٩
قتادة بن دعامة بن قتادة السدوسي	٣٤
قيس بن عاصم بن سنان المنقري	١٢٢
كعب بن مانع الحميري	٢٧٥

اسم العلم	الصفحة
محمد صديق خان الحسيني القنوجي	١٥٩
محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد العيني	١٨٢
محمود بن عبدالله الحسيني الألوسي	٧٠
محمود بن عمر بن محمد الزمخشري	٤٤
مرعى بن يوسف الكرمي المقدسي	١٦٧
معمر بن المثنى التيمي البصري (أبو عبيدة)	٥٦
معمر بن سليمان النخعي أبو عبدالله الرقي	٣١١
مقاتل بن سليمان بن كثير الأزدي	١٥٣
نصر بن عمران بن عصام الضبعي (أبو جمرة)	١٤٠
يحيى بن زياد بن عبدالله الكوفي (الفراء)	٩٩
يزيد بن شجرة الرهاوي	٣٥٠
يعلى بن أمية بن أبي عبيدة بن همام التيمي الحنظلي	٣٤١

* * *

قائمة المصادر والمراجع

* القرآن الكريم (جل منزله وعلا).

- الإبانة عن أصول الديانة: لأبي الحسن الأشعري، حققه وخرج أحاديثه عبدالقادر الأرنؤوط،، مكتبة دار البيان، دمشق -سوريا، ط: الأولى، ١٤٠١هـ-١٩٨١م.

- أبجد العلوم: للشيخ الإمام صديق بن حسن القنوجي، دار ابن حزم، بيروت-لبنان، ط: الأولى، ١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م.

- إتحاف المطالع بوفيات أعلام القرن الثالث عشر والرابع عشر: لعبدالسلام بن عبدالقادر بن سودله، تنسيق وتحقيق محمد مجي، دار الغرب الإسلامي، بيروت- لبنان، ط: الأولى، ١٤١٧هـ-١٩٩٧م.

- الإتقان في علوم القرآن: للإمام جلال الدين عبدالرحمن السيوطي، حققه وعلق عليه وخرج أحاديثه فواز أحمد زمرلي، دار الكتاب العربي، بيروت- لبنان، ١٤٢٧هـ-٢٠٠٧م.

- آثار الإمام البشير الإبراهيمي: جمع وتقديم نجله الدكتور أحمد طالب الإبراهيمي دار الغرب الإسلامي، بيروت -لبنان، ١٩٩٧م.

- آثار البلاد وأخبار العباد القزويني: تصنيف الإمام العالم زكريا بن محمد بن محمود القزويني، دار صادر، بيروت.

- الأحاديث الطوال: للحافظ أبي القاسم سليمان بن أحمد الطبراني، دراسة وتحقيق مصطفى عبدالقادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، ط: الأولى، ١٤١٢هـ-١٩٩٢م.

- الإحاطة في أخبار غرناطة: تأليف عبدالله محمد بن عبدالله بن سعيد بن أحمد السلماني الشهير بلسان الدين ابن الخطيب، شرحه وضبطه وقدم له الأستاذ الدكتور يوسف علي طويل، دار الكتب العلمية، ط: الأولى، ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م.

- الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان: للإمام أبي حاتم محمد بن حبان الخراساني، ترتيب الإمام الأمير علاء الدين علي بن بلبان الفاسي، حقق أصوله وخرج أحاديثه الشيخ خليل بن مأمون شيحا، دار المعرفة، بيروت-لبنان، ط: الأولى، ١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م.

- أحكام الجنائز وبدعها: محمد بن ناصر الدين الألباني، مكتبة دار المعارف، السعودية-الرياض، ط: الأولى، ١٤١٢هـ-١٩٩٢م.

- إحياء علوم الدين: للإمام أبي حامد محمد بن محمد الغزالي، ضبط وتوثيق أحمد إبراهيم زهرة وأحمد عناية، دار الكتاب العربي، بيروت-لبنان، ط: الأولى، ١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م.

- الآداب الشرعية والمنح المرعية: للإمام محمد بن مفلح المقدسي الحنبلي، دار ابن حزم، بيروت-لبنان، ط: الأولى، ١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م.

- الآداب: للإمام أبي بكر أحمد بن الحسين بن علي البيهقي، علق عليه وخرج أحاديثه مجدي بن منصور بن سيد الثوري، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، ط: الأولى، ١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م.

- الإرشاد إلى قواطع الأدلة في أصول الاعتقاد: إمام الحرمين الجويني، تحقيق د.محمد يوسف موسى، وعلي عبدالمنعم عبدالحميد، مكتبة الخانجي، القاهرة-مصر، ١٩٦٩م.

- أسباب النزول: علي بن أحمد الواحدي، تخريج وتدقيق عصام بن عبدالمحسن الحميدان، دار الذخائر، الريان للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت-لبنان، ط: الثالثة، ١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م.

- الاستذكار: لابن عبدالبر، دار احياء التراث، بيروت-لبنان، ط: الثانية، ٢٠٠٩م-١٤٣٠هـ.

- الاستيعاب في أسماء الأصحاب: لابن عبدالبر للإمام العلامة أبي عمر يوسف بن عبدالبر النمري القرطبي، دار الفكر، بيروت-لبنان، ١٤٢٦هـ-٢٠٠٦م.

- أسد الغابة في معرفة الصحابة: للإمام عز الدين أبي الحسن علي بن محمد الجزري ابن الأثير، تحقيق الشيخ خليل مأمون شيحا، دار المعرفة، بيروت-لبنان، ط: الثالثة، ١٤٢٨هـ-٢٠٠٧م.

- الإسراء والمعراج أو خلاصة المفضل الفائق في معراج خير الخلائق: تأليف للإمام محمد بن يوسف الصالحي الشامي، اعتنى به حسن أحمد إسبر، دار ابن حزم، بيروت-لبنان، ط: الأولى، ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م.

- الإسراء والمعراج: تأليف ابن حجر العسقلاني، جمع وتحقيق محمد عبدالحكيم القاضي، دار الحديث، مصر-القاهرة، ١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م.

- إسعاف المبطأ برجال الموطأ للسيوطي، دراسة وتحقيق د.خالد عيسى القريوتي، الناشر مكتبة الرشد، الدار العثمانية، ط: الأولى، ١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م.

- الأسماء والصفات: للإمام الحافظ أبي بكر أحمد بن الحسين بن علي البيهقي، تحقيق وتعليق وفهرسة الشيخ عماد الدين أحمد حيدر، دار الكتاب العربي،

بيروت-لبنان، ط: الثالثة، ١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م.

- الاشتقاق: لأبي بكر محمد بن الحسن بن دريد، تحقيق عبدالسلام محمد هارون، دار الجيل، بيروت-لبنان، ط: الأولى، ١٤١١هـ-١٩٩١م.
- أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن: لمحمد الأمين بن محمد المختار الشنقيطي، دار الفكر، بيروت- لبنان، ١٤١٥هـ- ١٩٩٥م.
- اعتقاد أهل السنة: للحافظ أبي بكر أحمد بن إبراهيم الإسماعيلي، تقريظ الشيخ حماد بن محمد الأنصاري قرأه وعلق عليه: د. جمال غزون، دار المنهاج، الرياض- السعودية، ط: الأولى، ١٤٣٠هـ.
- الاعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد: للحافظ أبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي، علق عليه عبدالرزاق عفيفي وقدم له وعلق عليه الشيخ عبدالرحمن بن صالح المحمود، دار الفضيلة، الرياض-السعودية، ط: الأولى، ١٤٢٠هـ-١٩٩٩م.
- الأعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين: خير الدين الزركلي، دار العلم للملايين، بيروت-لبنان، ط: السابعة عشر، آب/ أغسطس، ٢٠٠٧م.
- إغاثة اللهفان في مصايد الشيطان: لابن القيم الجوزية، تحقيق بشير محمد عيون، مكتبة دار البيان، دمشق-سوريا، مكتبة المؤيد، الرياض-السعودية، ط: الأولى، ١٤١٤هـ-١٩٩٣م.
- الأغاني: لأبي الفرج الأصفهاني، شرحه وكتب هوامشه الأستاذ سمير جابر، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، ط: الثانية، ١٤١٢هـ-١٩٩٢م.

- إنباء الغمر بأبناء العمر في التاريخ: للإمام الحافظ الحجة شيخ الإسلام شهاب الدين أبي الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، ط: الثانية، ١٤٠٦هـ-١٩٨٦م.

- إنباه الرواة على أنباه النحاة: الوزير جمال الدين أبي الحسن علي بن يوسف القفطي، تحقيق أبو الفضل إبراهيم، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة-مصر، ط: الثانية، ١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م.

- الأنساب: للإمام أبي سعد عبدالكريم بن محمد التميمي السمعاني، حقق نصوصه وعلق عليه: عبدالرحمن بن يحيى المعلمي اليماني، المجلد السادس، الناشر محمد أمين دمج، بيروت- لبنان، ط: الثانية، ١٤٠٠هـ-١٩٨٠م.

- أهوال القبور: للحافظ ابن رجب الحنبلي: تحقيق رضوان جامع رضوان، مكتبة أولاد الشيخ للتراث، القاهرة-مصر.

- الأهوال: للحافظ ابن أبي الدنيا، دراسة وتحقيق وتعليق مجدي فتحي السيد، دار اليقين، ١٤٢١هـ-٢٠٠٠م، ط: الأولى.

- الأولياء وطبقات الأصفياء: للحافظ أبي نعيم أحمد بن عبدالله الأصفهاني، دار الفكر، بيروت-لبنان.

- إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون: تأليف إسماعيل باشا محمد أمين بن مير سليم الباباني أصلًا والبغدادي مولد ومسكنًا، اعتنى به محمد عبدالقادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، ط: الأولى، ١٤٢٥هـ-٢٠٠٨م.

- الإيمان: للحافظ محمد بن إسحاق بن يحيى ابن منده، دار ابن حزم، بيروت-لبنان، ط: ١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م.

- البحر الزخار المعروف بمسند البزار: تأليف الحافظ الإمام أبي بكر أحمد بن عمرو بن عبدالخالق البزار، تحقيق عادل بن سعد، راجعه وقرأه وقدم له بدر بن عبدالله البدر، مكتبة العلوم والحكم، المملكة العربية السعودية، ط: الأولى، ١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م.
- بحر العلوم: لأبي الليث نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم السمرقندي، تحقيق الشيخ علي محمد معوض، والشيخ عادل أحمد عبدالموجود، والدكتور زكريا عبدالمجيد النوتي، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، ط: الأولى، ١٤١٣هـ.
- بحر الفوائد المشهور بمعاني الأخبار الكلاباذي البخاري، تحقيق محمد حسن محمد حسن إسماعيل وأحمد فريد المزيدي، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، ط: الأولى، ١٤٢٠هـ-١٩٩٩م.
- البحر المحيط: لمحمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي، دراسة وتحقيق الشيخ عادل أحمد عبدالموجود والشيخ علي محمد معوض وآخرون، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ط: الثانية، ١٤٢٨هـ- ٢٠٠٧م.
- البحور الزاخرة في علوم الآخرة: للعلامة محمد بن أحمد السفاريني الحنبلي، تحقيق محمد إبراهيم شلبي شومان، غراس للنشر والتوزيع، الكويت، ط: الأولى، ١٤٢٨هـ-٢٠٠٧م.
- بدائع الفوائد: للإمام ابن القيم الجوزية، تحقيق د.محمد الاسكندراني وعدنان درويش، دار الكتاب العربي، بيروت-لبنان، ١٤٢٤هـ-٢٠٠٤م.
- البداية والنهاية: أبو الفداء الحافظ ابن كثير الدمشقي، تحقيق أحمد عبدالوهاب فتيح، دار الحديث، القاهرة، ط: الأولى، ١٤١٣هـ-١٩٩٢م.

- البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع: لمحمد بن علي الشوكاني، تحقيق حسين بن عبدالله العمري، دار الفكر، دمشق- سوريا، ط: الأولى، ١٤١٩هـ-١٩٩٨م.

- البعث والنشور: للحافظ أبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي، تحقيق محمد السعيد بن بسيوني زغلول الابياني، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت-لبنان، ط: الأولى، ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م.

- بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة: الحافظ جلال الدين عبدالرحمن السيوطي، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر، بيروت-لبنان، ط: الثانية، ١٣٩٩هـ-١٩٧٩م.

- بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب: للسيد محمود شكري الألوسي البغدادي، عنى بشرحه وتصحيحه وضبطه محمد بهجة الأثري، دار الكتب العلمية، يبروت-لبنان، ط: الثانية.

- تاج العروس من جواهر القاموس: السيد محمد مرتضى الزبيدي، اعتنى به ووضح حواشيه د.عبدالمنعم خليل إبراهيم والأستاذ كريم سيد محمد محمود، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، ط: الأولى، ٢٠٠٧م.

- التاج المكلل من جواهر مآثر الطراز الآخر والأول: تأليف العلامة صديق بن حسن بن علي بن لطف الله الحسني البخاري القنوجي، مكتبة دار السلام، ط: الأولى، ١٤١٦هـ-١٩٩٥م.

- تأريخ أصبهان (ذكر أخبار أصبهان): للحافظ الإمام أبي نعيم أحمد بن عبدالله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران المهراني الاصبهاني، تحقيق سيد كروي حسن، ط: الأولى، ١٤١٠هـ-١٩٩٠م.

- تأريخ الأمم والملوك: لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان.
- تأريخ الثقات: للإمام الحافظ أحمد بن عبدالله بن صالح أبي الحسن العجلي بترتيب الحافظ نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي وتضمينات الحافظ ابن حجر العسقلاني، وثق أصوله وخرج حديثه وعلق عليه الدكتور عبدالمعطي قلعجي، دار الكتب العملية، بيروت- لبنان، ط: الأولى، ١٤٠٥هـ-١١٩٨٤م.
- التأريخ الصغير: للإمام الحافظ أبي عبدالله محمد بن إسماعيل البخاري، تحقيق محمود إبراهيم زايد، فهرس أحاديثه د.يوسف المرعشلي، دار المعرفة، بيروت-لبنان، ط: الأولى، ١٤٠٦هـ-١٩٨٦م.
- التاريخ الكبير: لأبي عبدالله إسماعيل بن إبراهيم الجعفي البخاري، تحقيق: عبيد بن فيروز عمير بن عبدالرحمن، ١٤٠٧هـ، بيروت- لبنان.
- تأريخ بغداد أو مدينة السلام: تأليف الإمام الحافظ أبي بكر أحمد بن علي الخطيب البغدادي، دراسة وتحقيق مصطفى عبدالقادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، ١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م، ط: الثانية.
- تأريخ جرجان المسمى أيضًا كتاب معرفة علماء أهل جرجان: تأليف الحافظ العلامة حمزة بن يوسف السهمي، قرأه وضبط نصه الدكتور يحيى مراد، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، ط: الأولى، ١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م.
- تأريخ مدينة دمشق: للإمام أبي القاسم علي بن الحسن المعروف بابن عساكر، تحقيق محب الدين أبي سعيد عمر بن غرامة العمروي، دار الفكر، بيروت-لبنان، ١٤١٦هـ-١٩٩٦م.

- تأويل مشكل القرآن/لابن قتيبة/تحقيق السيد أحمد صقر/دار التراث/القاهرة-مصر/ط: الثانية/١٣٩٣هـ.

- التحرير والتنوير: محمد الطاهر ابن عاشور، مؤسسة التاريخ، بيروت-لبنان، ط: الأولى، ١٤٢٠هـ.

- تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي: للإمام الحافظ أبي العلا محمد عبدالرحمن المباركفوري، دار الفكر، بيروت-لبنان، ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م.

- تخريج أحاديث إحياء علوم الدين: استخراج أبي عبدالله محمود بن محمد الحداد، دار العاصمة، الرياض-السعودية، ط: الأولى، ١٤٠٨هـ-١٩٨٧م.

- التخويف من النار والتعريف بحال دار البوار: ابن رجب الحنبلي، تحقيق د.محمد الإسكندراني، دار الكتاب العربي، بيروت-لبنان، ١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م.

- التدوين في أخبار قزوين: للمؤرخ الكبير عبدالكريم بن محمد الرافعي القزويني، ضبط نصه وحقق متنه الشيخ عزيز الله العطارزي، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، ١٤٠٨هـ-١٩٨٧م.

- تذكرة الحفاظ: تأليف الإمام شمس الدين محمد بن عثمان الذهبي، وضع حواشيه الشيخ زكريا عميرات، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، ط: الثانية، ٢٠٠٧م-١٤٢٨هـ.

- التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة: للإمام محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، تحقيق محمد محمد عامر، دار الدعوة الإسلامية، القاهرة-مصر، ٢٠٠٢م.

- ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك: القاضي عياض بن موسى السبتي، وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية بالمغرب.
- ترجمة الشيخ محمد الأمين الشنقيطي صاحب أضواء البيان: عبدالرحمن بن عبدالعزيز السديس، دار الهجرة للنشر والتوزيع، الرياض-السعودية، ١٤١٢هـ.
- الترغيب والترهيب: تأليف الإمام عبدالعظيم بن عبدالقوي المنذري، حكم على أحاديثه وآثاره وعلق عليه العلامة محمد ناصر الدين الألباني، اعتنى به أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، مكتبة المعارف، المملكة العربية السعودية-الرياض، ط: الأولى، ١٤٢٤هـ.
- الترغيب والترهيب: للحافظ عبدالعظيم بن عبدالقوي المنذري، حكم على أحاديثه وآثار وعلق عليه العلامة المحدث محمد ناصر الدين الألباني، اعتنى به أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض-السعودية، ط: الأولى، ١٤٢٤هـ.
- التعريفات: للشريف علي بن محمد الجرجاني، دار الفكر، بيروت-لبنان، ط: الأولى، ١٤١٨هـ-١٩٩٧م.
- تعظيم قدر الصلاة: للإمام محمد بن نصر المروزي، ضبط نصوصه وخرج أحاديثه الأستاذ أحمد أبو المجد، دار العقيدة، الاسكندرية-مصر، ١٤٢٣هـ-٢٠٠٣م.
- تفسير أبي السعود: لمحمد بن محمد بن مصطفى العماد المولى أبو السعود، دار إحياء التراث العربي، بيروت-لبنان.
- تفسير البيضاوي: المسمى أنوار التنزيل وأسرار التأويل ناصر الدين

أبي سعيد عبدالله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت-لبنان، ط: الأولى، ١٤١٠هـ.

- تفسير الجلالين: للإمام جلال الدين محمد بن أحمد المحلى وجلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر السيوطي، مكتبة الرياض الحديثة، الرياض-السعودية، ١٩٩٢م.

- تفسير السمعاني: تحقيق ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس بن غنيم، دار الوطن، الرياض-السعودية، ط: الأولى، ١٤١٨هـ.

- تفسير القرآن الحكيم المشهور بتفسير المنار: للسيد الإمام محمد رشيد رضا، خرج آياته وأحاديثه وشرح غريبة إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ط: الثانية، ١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م.

- تفسير القرآن العظيم مسندًا عن رسول الله ﷺ والصحابة والتابعين: للإمام الحافظ عبدالرحمن بن محمد بن إدريس الرازي ابن أبي حاتم، تحقيق أسعد محمد الطيب، المكتبة العصرية، صيدا-بيروت، لبنان، ط: الثانية، ١٤١٩هـ.

- تفسير القرآن العظيم: للإمام الحافظ عماد الدين أبي الفداء إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي، تقديم محمد عبدالرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي، بيروت- لبنان، ط: الأولى، ١٤١٧هـ-١٩٩٧م.

- تفسير القرآن: للإمام عبدالرزق بن همام الصنعاني، تحقيق الدكتور مصطفى مسلم محمد، مكتبة الرشد، ط: الأولى، ١٤١٠هـ.

- التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب: فخر الدين محمد بن عمر الرازي، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، ط: الأولى، ١٤٢١هـ.

- تفسير عبدالرزاق الصنعاني: للإمام عبدالرزاق الصنعاني، تحقيق الدكتور محمود محمد عبده، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، ط: الأولى، ١٤١٩هـ-١٩٩٩م.
- تفسير مجاهد: للإمام المحدث المقرىء المفسر اللغوي أبي الحجاج مجاهد بن جبر التابعي المكي المخزومي، قدم له وحققه وعلق على حواشيه عبدالرحمن الطاهر بن محمد السورتي، المنشورات العلمية، بيروت-لبنان.
- تقريب التهذيب: للإمام الحافظ شهاب الدين أحمد بن علي بن حجر العسقلاني الشافعي بعناية عادل مرشد، مؤسسة الرسالة، ط: الأولى، ١٤١٦هـ-١٩٩٦م.
- تنزيه الشريعة المرفوعة عن الأحاديث الشنيعة الموضوعة: لأبي الحسن علي بن محمد بن عراق الكناني، دار الكتب العلمية، ط: الثانية، ١٤٠١هـ-١٩٨١م، بيروت-لبنان.
- تنوير الحوالك شرح على موطأ مالك: للإمام جلال الدين عبدالرحمن السيوطي، المكتبة الثقافية، بيروت-لبنان.
- تهذيب الآثار وتفضيل الثابت عن رسول الله ﷺ من الأخبار: لأبي جعفر الطبري محمد بن جرير بن يزيد، قرأه وأخرج أحاديثه محمد ومحمود وشاكر، مطبعة المدني، المؤسسة السعودية بمصر.
- تهذيب الأسماء واللغات: للإمام الفقيه الحافظ أبي زكريا محي الدين بن شرف النووي، تحقيق الشيخ علي محمد معوض، والشيخ عادل أحمد عبدالموجود، دار النفائس، ط: الأولى، ١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م.
- تهذيب التهذيب: تصنيف الحافظ أبي الفضل أحمد بن علي بن حجر شهاب

الدين العسقلاني الشافعي، باعتناء إبراهيم الزيبق، عادل مرشد، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط: الأولى، ١٤٢٦هـ-١٩٩٦م.

- تهذيب الكمال في أسماء الرجال: للحافظ المتقن جمال الدين أبي الحجاج يوسف المزي، حققه وضبط نصه وعلق عليه الدكتور بشار عواد معروف، مؤسسة الرسالة، ط: الأولى، ١٤١٨هـ-١٩٩٨م.
- تهذيب اللغة: لأبي منصور محمد بن أحمد الأزهري، دار إحياء التراث العربي، بيروت-لبنان، ط: الأولى، ١٤٢١هـ-٢٠٠١م.
- التوهم رحلة الإنسان إلى عالم الآخرة: للحارث بن أسد المحاسبي، دار ابن حزم، بيروت-لبنان، ط: الأولى، ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م.
- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان: عبدالرحمن بن ناصر السعدي، مؤسسة الرسالة، بيروت- لبنان، ط: الأولى، ١٤١٦هـ.
- الثقات: للإمام الحافظ محمد بن حبان بن أحمد بن أبي حاتم التميمي البستي، مؤسسة الكتب الثقافية، ط: الأولى، ١٣٩٩هـ-١٩٧٩م.
- ثمار القلوب في المضاف والمنسوب: أبي منصور عبدالملك بن محمد الثعالبي، شرح وتعليق خالد عبدالغني محفوظ، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، ط: الأولى، ١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م.
- جامع الأحاديث والمسانيد والمراسيل: للإمام السيوطي، جمع وترتيب عباس أحمد صقر وأحمد عبدالجواد، مطبعة محمد هاشم الكتبي بدمشق.
- جامع البيان عن تأويل آي القرآن: للإمام أبي جعفر محمد بن جرير الطبري، دار الأعلام، عمان -الأردن، ودار ابن حزم، بيروت -لبنان، ط: الأولى،

١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م.

- جامع التحصيل في أحكام المراسيل: تأليف الحافظ صلاح الدين أبي سعيد بن خليل بن كيكلدي العلائي، حققه وقدم له وخرج أحاديثه حمدي عبدالمجيد السلفي، عالم الكتب، بيروت-لبنان، ط: الثالثة، ١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م.

- الجامع الصحيح وهو سنن الترمذي: لأبي عيسى محمد بن عيسى بن سورة، تحقيق كمال يوسف الحوت، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان.

- الجامع الصغير في أحاديث البشير والنذير: تأليف الإمام جلال الدين بن أبي بكر السيوطي، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، ط: الثالثة، ٢٠٠٦م-١٤٢٧هـ.

- الجامع لأحكام القرآن: لمحمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرج الأنصاري الخزرجي القرطبي، دار إحياء التراث، بيروت-لبنان، ١٤٠٥هـ.

- الجرح والتعديل: الإمام الحافظ شيخ الإسلام الرازي، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، ط: الأولى، ١٣٧٢هـ-١٩٥٢م.

- الجليس الصالح والأنيس الناصح الشافي: أبي الفرج المعافى بن زكريا المعروف بابن طرار الجريري النهرواني، ضبطه وصححه عبدالكريم سامي الجندي، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، ط: الأولى، ١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م.

- جمهرة اللغة: لابن دريد محمد بن الحسن الأزدي، دار صادر، بيروت-لبنان، ١٣٤٥هـ.

- الجواهر المضيئة في طبقات الحنفية: تأليف عبدالقادر بن أبي الوفاء القرشي، اعتنى به محمد عبدالله الشريف، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، ط: الأولى، ١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م.
- حاشية السندي على صحيح البخاري: المكتبة العصرية، بيروت-لبنان، ١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م.
- حاشية الشيخ سليمان الجمل على شرح المنهاج: للشيخ زكريا الأنصاري، دار الفكر، بيروت-لبنان.
- حاشيتان قليوبي: عميرة على شرح جلال الدين محمد بن أحمد المحلي على منهاج الطالبين، دار الفكر، بيروت-لبنان، ط: الأولى، ١٤٢٥هـ-١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م.
- الحاوي للفتاوي: للإمام جلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر السيوطي، تحقيق وتعليق محمد محي الدين عبدالحميد، المكتبة العصرية، صيد بيروت-لبنان، ١٤١١هـ-١٩٩٠م.
- الحجة في بيان المحجة وشرح عقيدة أهل السنة: تأليف الإمام الحافظ أبي القاسم إسماعيل بن محمد بن الفضل التميمي الأصبهاني، تحقيق ودراسة محمد بن محمود أبو دحين، دار الراية، المملكة العربية السعودية-الرياضي، ط: الثانية، ١٤١٩هـ-١٩٩٩م.
- حلية الأولياء وطبقات الأصفياء: للحافظ أبي نعيم أحمد بن عبدالله الأصفهاني، بيروت-لبنان.
- حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر: للشيخ عبدالرزاق البيطار، حققه ونسقه وعلق عليه حفيده محمد بهجة البيطار، مطبوعات المجمع العلمي

العربي، دمشق، سوريا، ١٣٨٣هـ-١٩٦٣م.

- حواشي الشرواني وابن قاسم العبادي على تحفة المحتاج بشرح المنهاج: لابن حجر الهيثمي، دار إحياء التراث العربي، بيروت-لبنان.
- خريدة القصر وجريدة العصر: عماد الدين الأصبهاني الكاتب، تحقيق محمد بهجة الأثري، مديرية الثقافية العامة، العراق.
- خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب: لعبدالقادر بن عمر البغدادي، تحقيق وشرح عبدالسلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة- مصر، ط: الثالثة، ١٤٠٩هـ-١٩٨٩م.
- خلق أفعال العباد والرد على الجهمية وأصحاب التعطيل: للإمام محمد بن إسماعيل البخاري، دراسة وتحقيق فهد بن سليمان الفهيد، دار أطلس الخضراء، المملكة العربية السعودية-الرياض، ط: الثانية، ١٤٣٠هـ-٢٠٠٩م.
- دائرة المعارف الإسلامية: يصدرها باللغة العربية أحمد الشنتناوي وإبراهيم زكي خورشيد وعبدالحميد يونس، دار الفكر، بيروت-لبنان.
- الدارس في تاريخ المدارس: عبدالقادر بن محمد النعيمي الدمشقي، تحقيق جعفر الحسني، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة-مصر، ١٩٨٨م.
- الدر المنثور في التفسير المأثور: عبدالرحمن بن جلال الدين السيوطي، بيروت-لبنان، ١٤١٤هـ.
- الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة: تأليف شيخ الإسلام حافظ العصر شهاب الدين أحمد بن علي بن محمد بن محمد بن علي بن أحمد الشهير بأبي

حجر العسقلاني، دار إحياء التراث العربي، بيروت-لبنان.

- الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب: تأليف الإمام القاضي إبراهيم بن نور الدين المعروف بابن فرحان المالكي، دراسة وتحقيق مأمون بن محيي الدين الجنان، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، ١٤١٧هـ-١٩٩٦م.
- ديوان الإسلام: تأليف الشيخ الإمام شمس الدين أبي المعالي محمد بن عبدالرحمن بن الغزي، تحقيق سيد كسروي حسن، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، ط: الأولى، ١٤١١هـ-١٩٩٠م.
- ديوان المتنبي: راجعه وفهرسه د. يوسف الشيخ محمد البقاعي، دار الكتاب العربي، بيروت-لبنان، ١٤٢٨هـ-٢٠٠٧م.
- ديوان عنتر شرح الخطيب التبريزي، قدم له ووضع هوامشه وفهارسه مجيد طراد، دار الكتاب العربي، بيروت-لبنان، ١٤٢٨هـ-٢٠٠٧م.
- ديوان لبيد بن ربيعة شرح الطوسي، قدم له ووضع هوامشه وفهارسه د.حنا نصر الحتى، دار الكتاب العربي، بيروت-لبنان، ١٤٢٤هـ-٢٠٠٤م.
- الذيل على طبقات الحنابلة: لابن رجب الشيخ الإمام العالم الحافظ الحجة الفقيه زين الدين أبي الفرج عبدالرحمن بن شهاب الدين أحمد البغدادي ثم الدمشقي الحنبلي، دار المعرفة، بيروت-لبنان.
- ذيول العبر في خبر من غبر: المؤرخ الإسلام الحافظ الذهبي، حققه وضبط على مخطوطتين أبو هاجر محمد السعيد بن بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، ط: الأولى، ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م.
- الرؤية: للإمام الحافظ أبي الحسن علي بن عمر الدارقطني، قدم له وحققه

وعلق عليه وخرج أحاديثه إبراهيم محمد العلي وأحمد فخري الرفاعي، مكتبة المنار، الأردن-الزرقاء، ط: الأولى، ١٤١١هـ-١٩٩٠م.

- الرد على الجهمية: للإمام أبي سعيد عثمان بن سعيد الدارمي، خرّج أحاديثه وعلق عليه أبو الأشبال أحمد بن سالم المصري، مكتبة ابن تيمية، الإمارات العربية المتحدة-الشارقة، ط: الأولى، ١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م.
- الرسالة المستطرفة لبيان مشهور كتب السنة المشرفة: للسيد الشريف محمد ابن جعفر الكتاني، كتب مقدماتها ووضع فهارسها محمد المنتصر بن محمد الزمزمي الكتاني، دار البشائر الإسلامية، بيروت-لبنان، ط: الرابعة، ١٤٠٦هـ-١٩٨٦م.
- الرسالة في اعتقاد أهل السنة وأصحاب الحديث والأئمة أو عقيدة السلف أصحاب الحديث: لأبي عثمان إسماعيل بن عبدالرحمن الصابوني، حققها وخرج أحاديثها بدر بن عبدالله البدر، مكتبة الغرباء الأثرية، المدينة المنورة-السعودية، ١٤١٥هـ-١٩٩٤م.
- روح البيان: للإمام الشيخ إسماعيل حقي البروسوي، تعليق وتصحيح وضبط النص الشيخ أحمد عزو عناية، دار إحياء التراث العربي، بيروت-لبنان، ط: الأولى، ١٤٢١هـ-٢٠٠١م.
- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني: شهاب الدين السيد محمود الألوسي البغدادي، ضبطه وصححه علي عبدالباري عطيه، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، ط: الأولى، ١٤١٥هـ.
- الروح: للإمام ابن القيم الجوزية، تحقيق يونس علي بديوي، دار ابن كثير، دمشق-بيروت، ط: الرابعة، ١٤٢٠هـ-٢٠٠٠م.

- الروض الأغن في معرفة المؤلفين باليمن ومصنفاتهم في كل فن: بقلم الفقير إلى الله الدائم المعين عبدالملك بن أحمد بن قاسم بن حميد الدين، دار الحارثي للطباعة والنشر، ط: الأولى، ١٤١٥هـ.
- الروض الأنف في شرح السيرة النبوية لابن هشام: للإمام المحدث عبدالرحمن السهيلي، تحقيق وتعليق وشرح عبدالرحمن الوكيل.
- روضة الناظرين عن مآثر علماء نجد وحوادث السنين: محمد بن عثمان بن صالح، طبعة الحلبي، القاهرة-مصر، ١٤٠٣هـ.
- زاد المسير في علم التفسير: أبي الفرج عبدالرحمن بن علي بن محمد الجوزي، المكتب الإسلامي، بيروت-لبنان، ط: الرابعة، ١٤٠٧هـ.
- الزهد: أسد بن موسى، بعناية بسام عبدالوهاب الجابي، المكتب الإسلامي، دار ابن حزم، بيروت-لبنان، ط: الأولى، ١٤٢٠هـ-١٩٩٩م.
- الزهد: للإمام هناد بن السري، تحقيق محمد أبو الليث الخير آبادي، وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية بدولة قطر.
- الزهد: للعالم الإمام أبي عبدالله أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني، خرج أحاديثه وعلق عليه د.محمد الاسكندراني، دار الكتاب العربي، بيروت-لبنان، ط: الأولى، ١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م.
- سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد ﷺ: تأليف الإمام محمد بن يوسف الصالحي الشامي، تحقيق وتعليق الشيخ عادل أحمد عبدالموجود والشيخ علي محمد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، ط: الثانية، ١٤٢٨هـ-٢٠٠٧م.

- السراج المنير: للإمام الشيخ الخطيب الشربيني، خرج أحاديثه وعلق عليه أحمد عزو عناية الدمشقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت-لبنان، ط: الأولى، ١٤٢٥هـ، ٢٠٠٤م.
- سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها: محمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض-السعودية، ١٤١٥هـ-١٩٩٥م.
- سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر: لأبي الفضل محمد خليل بن علي المرادي، دار ابن حزم، بيروت-لبنان، ودار البشائر الإسلامية، بيروت-لبنان، ط: الثالثة، ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م.
- السنة: للإمام أبي عبدالرحمن عبدالله بن إمام أهل السنة أحمد بن حنبل الشيباني، تحقيق ودراسة الدكتور محمد بن سعيد بن سالم القحطاني، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، ط: الرابعة، ١٤١٦هـ-١٩٩٦م.
- السنة: للحافظ أبي بكر عمرو بن أبي عاصم الضحاك بن مخلد الشيباني، بقلم محمد بن ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت-لبنان، ط: الثالثة، ١٤١٣هـ-١٩٩٣م.
- سنن ابن ماجه: للحافظ أبي عبدالله محمد بن يزيد الغزويني، حقق نصوصه وعلق عليه محمد فؤاد عبدالباقي، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان.
- سنن أبي داود: للإمام أبي داود سليمان بن الأشعث السجستاني، تحقيق محمد عبدالعزيز الخالدي، دار الكتب العلمية، ط: الأولى، ١٤١٦هـ-١٩٩٦م.
- السنن الكبرى: إعداد جماعة من الأساتذة بإشراف أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، ط: الأولى، ١٤١٣هـ-١٩٩٢م.

- سير أعلام النبلاء: تصنيف الإمام شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، مؤسسة الرسالة، ط: الحادية عشر، ١٤٢٢هـ-٢٠٠١م.
- السيرة الحلبية المسمى إنسان العيون في سيرة الأمين المأمون: للعلامة أبي الفرج نور الدين علي بن إبراهيم الحلبي الشافعي، ضبطه وصححه عبدالله محمد الخليلي، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، ط: الثالثة، ٢٠٠٨م.
- شجرة النور الزكية في طبقات المالكية: للشيخ محمد بن محمد مخلوف، دار الفكر، بيروت-لبنان.
- شذرات الذهب في أخبار من ذهب: للمؤرخ أبي الفلاح عبدالحي بن العماد الحنبلي، دار الفكر، بيروت-لبنان.
- شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة: للإمام الحافظ أبي القاسم هبة الله بن الحسن المعروف باللالكائي، خرج آياته وأحاديثه ووضع فهارسه محمد عبدالسلام شاهين، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، ط: الأولى، ١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م.
- شرح الزرقاني على موطأ الإمام مالك: للإمام محمد بن عبدالباقي الزرقاني، دار الفكر، بيروت-لبنان، ط: الأولى، ١٤٢١هـ-٢٠٠١م.
- شرح السنة: أبو محمد الحسن البربهاري، تحقيق خالد بن قاسم الردادمي، دار السلف للنشر والتوزيع، ودار الصميعي للنشر والتوزيع، الرياض-السعودية، ط: الثالثة، ١٤٢١هـ.
- شرح العقيدة الواسطية لشيخ الإسلام ابن تيمية: محمد خليل هراس، راجعه: عبدالرزاق عفيفي، مكتبة ابن تيمية، القاهرة-مصر، ط: الرابعة.

- شرح الفقه الأكبر: المتن المنسوب إلى الإمام أبي حنيفة، شرح الإمام أبو منصور محمد بن محمد السمرقندي، تحقيق عبدالله بن إبراهيم الأنصاري، مجلس دائرة المعارف النظامية، حيد آباد، الدكن-الهند، ١٣٢١هـ.

- شرح الكوكب المنير المسمى بمختصر التحرير أو المختبر المبتكر شرح المختصر في أصول الفقه: العلامة محمد بن أحمد الفتوحي الحنبلي المعروف بابن النجار، تحقيق د.محمد الزحيلي و د.نزيه حماد، جامعة أم القرى، مركز البحوث وإحياء التراث الإسلامي، مكة المكرمة-السعودية، ط: الثانية، ١٤١٥هـ.

- شرح النووي على صحيح مسلم: للإمام محي الدين النووي، تحقيق الشيخ خليل مأمون شيحا، دار المعرفة، بيروت-لبنان، ط: الثامنة، ١٤٢٢هـ-٢٠٠١م.

- الشريعة: تأليف الإمام أبي بكر محمد بن الحسين بن عبدالله الآجري، تحقيق عبدالرزاق المهدي، دار الكتاب العربي، بيروت-لبنان، ط: الأولى، ١٤١٧هـ-١٩٩٦م.

- شعب الإيمان: للإمام أبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي، تحقيق حمدي الدمرداش ومحمد العدل، دار الفكر، بيروت-لبنان، ط: الأولى، ١٤٢٤هـ-٢٠٠٤م.

- الصحاح: للإمام إسماعيل بن حماد الجوهري، اعتنى به خليل مأمون شيحا، دار المعرفة، بيروت-لبنان، ط: الثالثة، ١٤٢٩هـ-٢٠٠٨م.

- صحيح البخاري: للإمام أبي عبدالله محمد بن إسماعيل البخاري الجعفي، دار السلام، المملكة العربية السعودية-الرياض، ط: الأولى، ١٤١٧هـ-١٩٩٧م.

- صحيح الجامع الصغير وزيادته (الفتح الكبير): تأليف محمد ناصر الدين الألباني، أشرف على طبعه زهير الشاويش، المكتب الإسلامي، بيروت-لبنان، ط: الثالثة، ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م.
- صحيح مسلم: للإمام أبي الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، دار ابن حزم، بيروت-لبنان، ط: الأولى، ١٤١٦هـ-١٩٩٥م.
- صحيح وضعيف ابن ماجه: للعلامة محمد ناصر الدين الألباني، اعتنى به أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، مكتبة المعارف، المملكة العربية السعودية-الرياض، ط: الثانية، ١٤٢٩هـ-٢٠٠٨م.
- صحيح وضعيف سنن الترمذي: للإمام العلامة المحدث محمد ناصر الدين الألباني، اعتنى به أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، مكتبة المعارف، المملكة العربية السعودية-الرياض، ط: الثانية، ١٤٢٩هـ-٢٠٠٨م.
- صفة الصفوة: للإمام أبي الفرج عبدالرحمن ابن الجوزي، ضبطها وكتب هوامشها إبراهيم رمضان وسعيد اللحام، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، ط: الأولى، ١٤٠٩هـ-١٩٨٩م.
- صفة النار: أبي بكر عبدالله بن محمد بن أبي الدنيا، تحقيق محمد خير رمضان يوسف، دار ابن حزم، بيروت-لبنان، ط: الأولى، ١٤١٧هـ-١٩٩٧م.
- الصلة في تاريخ علماء الأندلس: لأبي القاسم خلف بن عبدالملك بن بشكوال، قدم له وضبطه وشرحه ووضع فهارسه الدكتور صلاح الدين الهواري، المكتبة العصرية، صيدا-بيروت، ط: الأولى، ١٤٢٣هـ-٢٠٠٣م.
- الضعفاء الصغير للبخاري، ضمن المجموع في الضعفاء والمتروكين: دراسة وتحقيق الشيخ عبدالعزيز عز الدين السيروان، بيروت-لبنان، ط: الأولى،

١٤٠٥هـ-١٩٨٥م.

- الضعفاء والمتروكين للدارقطني، ضمن المجموع في الضعفاء والمتروكين: دراسة وتحقيق الشيخ عبدالعزيز عز الدين السروان، دار القلم، بيروت-لبنان، ط: الأولى، ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م.
- الضعفاء والمتروكين للنسائي، ضمن المجموع في الضعفاء والمتروكين: دراسة وتحقيق الشيخ عبدالعزيز عز الدين السروان، دار القلم، بيروت-لبنان، ط: الأولى ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م.
- ضعيف الجامع الصغير وزيادته (الفتح الكبير): تأليف محمد ناصر الدين الألباني، أشرف على طبعه زهير الشاويش، المكتب الإسلامي، بيروت-لبنان، ط: الثالثة، ١٤١٠هـ-١٩٩٠م.
- الضوء اللامع لأهل القرن التاسع: لشمس الدين محمد بن عبدالرحمن السخاوي، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة-مصر.
- طبقات الأولياء: تأليف سراج الدين أبي حفص عمر بن علي بن أحمد المعروف بابن الملقن، تحقيق مصطفى عبدالقادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، ط: الأولى، ١٤١٩هـ-١٩٩٨م.
- طبقات الحنابلة: للقاضي أبي الحسين محمد بن أبي يعلى، دار المعرفة، بيروت-لبنان.
- طبقات الشافعية الكبرى: لتاج الدين أبي نصر عبدالوهاب بن علي السبكي، تحقيق محمود محمد الطناحي، وعبدالفتاح محمد الحلو، دار إحياء الكتب العربية.

- طبقات الفقهاء: لأبي إسحاق الشيرازي، تصحيح ومراجعة فضيلة الشيخ خليل الميس مدير أدهر لبنان، دار القلم، بيروت-لبنان.
- الطبقات الكبرى: تأليف محمد بن سعد بن منيع الزهري، دار إحياء التراث العربي، بيروت-لبنان، ط: الأولى، ١٤١٧هـ-١٩٩٦م.
- طبقات المعتزلة: تأليف أحمد بن يحيى بن المرتضى، دار المنتظر، بيروت-لبنان، ط: الثانية، ١٤٠٩هـ-١٩٨٨م.
- طبقات المفسرين: لأحمد بن محمد الأدنه وي، تحقيق سليمان بن صالح الخزي، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة- السعودية، ط: الأولى، ١٤١٧هـ-١٩٩٧م.
- طبقات المفسرين: للحافظ جلال الدين عبدالرحمن السيوطي، تحقيق علي محمد عمر، مكتبة وهبة، ط: الأولى، ١٣٩٦هـ-١٩٧٦م، القاهرة-مصر.
- طبقات المفسرين: للحافظ شمس الدين محمد بن علي الداودي، تحقيق علي محمد عمر، مكتبة وهبة، القاهرة-مصر، ط: الأولى، ١٤١٥هـ-١٩٩٤م.
- طبقات المفسرين: للحافظ شمس الدين محمد بن علي الداوودي، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان.
- طبقات النحويين واللغويين: لأبي بكر محمد بن الحسن الزبيدي الأندلسي، تحقيق أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، القاهرة-مصر، ط: الثانية.
- طريق الهجرتين وباب السعادتين: للإمام ابن القيم الجوزية، تحقيق وتخريج أحمد إبراهيم زهوة، درا الكتاب العربي، بيروت-لبنان، ط: الأولى، ١٤٢٣هـ-٢٠٠٣م.

- العاقبة: للحافظ عبدالحق بن عبدالرحمن الإشبيلي، تحقيق أبي عبدالله محمد حسن إسماعيل، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، ط: الأولى، ١٤١٥هـ-١٩٩٥م.

- العبر في خبر من غبر: لمؤرخ الإسلام الحافظ الذهبي، حققه وضبطه على مخطوطتين أبو هاجر محمد السعيد بن بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، ط: الأولى، ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م.

- عذاب القبر وسؤال الملكين: للإمام أبو بكر أحمد بن حسين البيهقي، مكتبة التراث الإسلامي.

- العظمة: للإمام الحافظ عبدالله بن محمد بن جعفر المعروف بأبي الشيخ الأصفهاني، حققه وعلق عليه محمد فارس، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، ط: الأولى، ١٤١٤هـ-١٩٩٤م.

- عقيدة السلف وأصحاب الحديث: للإمام إسماعيل بن عبدالرحمن الصابوني، تحقيق الدكتور ناصر بن عبدالرحمن الجديع، دار العاصمة، الرياض-السعودية، ط: الثانية، ١٤١٩هـ-١٩٩٨م.

- العقيدة: للإمام أحمد بن حنبل برواية أبي بكر الخلال، دراسة وشرح وتحقيق الشيخ عبدالعزيز عز الدين السيروان، دار قتيبة، ط: الأولى، ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م.

- علماء نجد خلال ثمانية قرون: عبدالله بن عبدالرحمن آل بسام، دار العاصمة، الرياض-السعودية، ط: الثانية، ١٤١٩هـ.

- عمدة القاري شرح صحيح البخاري: للإمام العلامة بدر الدين أبي محمد محمود بن أحمد العيني، دار إحياء التراث العربي، بيروت-لبنان.

- العين: لأبي عبدالرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي، دار إحياء التراث، بيروت-لبنان، ط: الثانية، ١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م.

- غاية النهاية في طبقات القراء: تأليف الإمام شمس الدين أبي الخير محمد بن محمد بن محمد بن علي ابن الجزري الدمشقي الشافعي، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، ط: الأولى، ١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م.

- غذاء الألباب شرح منظومة الآداب: للعلامة محمد بن أحمد السفاريني الحنبلي، ضبطه وصححه محمد عبدالعزيز الخالدي، دار الكتب العلمية، ط: الثانية، ١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م.

- غريب الحديث: لأبي الفرج عبدالرحمن بن علي بن الجوزي، وثق أصوله وخرج حديثه وعلق عليه الدكتور عبدالمعطي أمين قلعجي، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ط: الأولى، ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م.

- غريب الحديث: للإمام أبي عبيد القاسم بن سلام الهروي، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، ط: الثانية، ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م.

- غريب القرآن المسمى بنزهة القلوب: للإمام أبي بكر محمد بن عزيز السجستاني، عنى بتصحيحه وترقيم وضبط ألفاظه وتعليق حواشيه لجنة من أفاضل العلماء، مكتبة محمد علي صبيح وأولاده، القاهرة - مصر، ١٣٨٢هـ- ١٩٦٣م.

- غريب القرآن على حروف المعجم: للإمام أبي بكر محمد بن عزيز السجستاني، تحقيق أحمد عبدالقادر صلاح، دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر، دمشق-سوريا، ط: الأولى، ١٩٩٣م.

- الفتاوى الحديثية: لابن حجر الهيثمي، دار الفكر، بيروت-لبنان.

- فتح الباري بشرح صحيح الإمام البخاري: للإمام الحافظ أحمد بن علي ابن حجر العسقلاني، قام بإخراجه وتحقيقه محب الدين الخطيب، المكتبة السلفية، القاهرة-مصر، ط: الثالثة، ١٤٠٧هـ.

- فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير: للإمام محمد بن علي الشوكاني، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ط: الثالثة، ١٤٢٨هـ-٢٠٠٧م.

- الفصل في الملل والأهواء والنحل: للإمام أبي محمد علي بن أحمد المعروف بابن حزم الأندلسي، تحقيق الدكتور يوسف البقاعي، دار إحياء التراث العربي، بيروت-لبنان، ط: الأولى، ١٤٢٢هـ-٢٠٠٢م.

- الفكر السامي في تاريخ الفقه الإسلامي: لمحمد بن الحسن الحجوي الثعالبي الفاسي، خرج أحاديث وعلق عليه عبدالعزيز بن عبدالفتاح القارئ، المكتبة العلمية-المدينة المنورة السعودية، ط: الأولى، ١٣٩٧-١٩٧٧م.

- فهرس الفهارس والأثبات ومعجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات: عبدالحي بن عبدالكبير الكتاني، باعتناء الدكتور إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، بيروت-لبنان، ١٤٠٦هـ-١٩٨٦م.

- الفهرست: تأليف أبي الفرج محمد بن أبي يعقوب إسحاق المعروف بالنديم، ضبطه وشرحه وعلق عليه وقدم له الدكتور يوسف علي طويل، وضع فهارسه أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، ط: الأولى، ١٤١٦هـ-١٩٩٦م.

- الفوائد البهية في تراجم الحنفية: أبي محمد عبدالحي اللكنوي الهندي، دار المعرفة، بيروت-لبنان.

• فوات الوفيات: تأليف محمد بن شاكر بن أحمد بن عبدالرحمن الكتبي، تحقيق الشيخ علي محمد معوض والشيخ عادل أحمد عبدالموجود، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، ط: الأولى، ١٤٢١هـ-٢٠٠٠م.

• الفواكه الدواني على رسالة ابن أبي زيد القيرواني: للشيخ أحمد بن غنيم بن سالم النفراوي المالكي، دار الفكر، بيروت-لبنان، ١٤٢٠هـ-٢٠٠٠م.

• فيض الباري شرح صحيح البخاري: للإمام محمد أنور الكشمري، تحقيق أحمد عزو عناية، دار إحياء التراث العربي، بيروت-لبنان، ط: الأولى، ١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م.

• القاموس القويم للقرآن الكريم: إبراهيم أحمد عبدالفتاح، دار الكلمة، المنصور-مصر، ط: الأولى، ١٤٢٧هـ.

• القاموس المحيط: للإمام مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي، مراجعة وإشراف د.محمد الإسكندراني، دار الكتاب العربي، بيروت-لبنان، ١٤٢٩هـ-٢٠٠٨م.

• قطف الثمر في بيان عقيدة أهل الأثر: للعلامة الشريف محمد صديق حسن القنوجي، حققه وعلق عليه وأخرج أحاديثه وقدم له د. عاصم بن عبدالله القريوتي، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، ١٤٢٢هـ.

• الكاشف في معرفة من له رواية في الكتب الستة: للإمام الذهبي، دار الكتب العلمية، ط: الأولى، ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م.

• الكامل في التاريخ: لأبي الحسن علي بن أبي الكرم محمد الشيباني المعروف بابن الأثير دار الكتاب العربي، بيروت- لبنان، ط: الرابعة، ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م.

- الكامل في ضعفاء الرجال: تأليف الإمام الحافظ أبي أحمد عبدالله بن عدي الجرجاني، تحقيق وتعليق الشيخ عادل أحمد عبدالموجود الشيخ علي محمد معوض، شارك في تحقيقه الأستاذ الدكتور عبدالفتاح أبو سنة، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، ط: الأولى، ١٤١٨هـ-١٩٩٧م.

- الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل: أبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري، تحقيق عبدالرازق المهدي، دار أحياء التراث العربي، بيروت-لبنان، ط: الثانية، ١٤٢١هـ.

- كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون: تأليف حاجي خليفة مصطفى بن عبدالله كاتب جلبي، اعتنى به محمد عبدالقادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، ط: الأولى، ١٤٢٩هـ-٢٠٠٨م.

- الكشف والبيان في تفسير القرآن المعروف بتفسير الثعلبي: للإمام أبي إسحاق أحمد بن محمد الثعلبي، تحقيق سيد كسروي حسن، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، ط: الأولى، ١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م.

- كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال: تأليف العلامة علاء الدين علي المتقي بن حسام الدين الهندي، تحقيق محمود عمر الدمياطي، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، ط: الثانية، ١٤٢٤هـ-٢٠٠٤م.

- لب اللباب في تحرير الأنساب: تأليف الإمام العلامة جلال الدين عبدالرحمن السيوطي، تحقيق محمد أحمد عبدالعزيز وأشرف أحمد عبدالعزيز، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، ط: الأولى، ١٤١١هـ-١٩٩١م.

- لباب التأويل في معاني التنزيل: علاء الدين علي بن محمد البغداد الشهير بالخازن، ضبطه وصححه عبدالسلام محمد علي شاهين، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، ط: الأولى، ١٤١٥هـ.

- لسان العرب: للإمام ابن منظور، دار الحديث، القاهرة-مصر، ١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م.
- لسان الميزان: للإمام الحافظ شهاب الدين أبي الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، دار الفكر، بيروت-لبنان، ط: الأولى، ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م.
- لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية شرح الدرة المضيئة في عقيدة الفرقة المرضية: العلامة محمد بن أحمد السفاريني الحنبلي، المكتب الإسلامي، بيروت-لبنان.
- مجاز القرآن: لأبي عبيدة معمر بن المثنى التيمي، تحقيق أحمد فريد المزيدي، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، ط: الأولى، ١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م.
- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد: للحافظ نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي، تحقيق حسام الدين القدسي، مكتبة القدسي، مصر-القاهرة، ١٤١٤هـ-١٩٩٤م.
- مجموع فتاوى شيخ الإسلام: لابن تيمية، جمع وترتيب عبدالرحمن بن محمد بن قاسم.
- المجموع في الضعفاء والمتروكين: دراسة وتحقيق الشيخ عبدالعزيز عزالدين السيروان، دار القلم، بيروت-لبنان، ط: الأولى، ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م.
- مجموعة التوحيد: للشيخ محمد بن عبدالوهاب ونخبة من العلماء، المكتبة السلفية، المدينة المنورة-السعودية.
- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: للقاضي أبي محمد عبدالحق بن غالب بن عطية الأندلسي، تحقيق عبدالسلام عبدالشافي محمد، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، ط: الأولى، ١٤٢٢هـ.
- مختار الصحاح:للإمام محمد بن أبي بكر الرازيأ تحقيق محمد حسنى

عبدالرحمن ورمضان عبدالمطلب، دار الأندلس الجديدة، القاهرة -مصر، ط:الأولى، ١٤٣٠هـ

- مختصر طبقات الحنابلة: للعلامة محمد جميل بن عمر المعروف ابن شطي، دراسة فواز أحمد زمرلي، دار الكتاب العربي، بيروت-لبنان، ط: الأولى، ١٤٠٦هـ-١٩٨٦م.
- المخصص: لأبي الحسن علي بن إسماعيل النحوي اللغوي الأندلسي المعروف بابن سيده، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة -مصر.
- مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين: للإمام ابن القيم، دار الفكر، بيروت-لبنان، ١٤١٢هـ-١٩٩٢م.
- مدارك التنزيل وحقائق التأويل: لأبي البركات عبدالله بن أحمد بن محمود النسفي.
- المدخل إلى مذهب الإمام أحمد بن حنبل: للعلامة عبدالقادر بن بدران الدمشقي، تحقيق الدكتور عبدالله بن عبدالمحسن التركي، مؤسسة الرسالة، بيروت-لبنان، ط: الثالثة، ١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م.
- مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان: تأليف الإمام أبي محمد عبدالله بن أسعد بن علي بن سليمان اليافعي اليمني المكي، وضع حواشيه خليل المنصور، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، ط: الأولى، ١٤٢٧هـ-١٩٩٧م.
- مراح لبيد لكشف معنى القرآن المجيد: للعلامة محمد بن عمر نووي الجاوي، تحقيق محمد أمين الضناوي، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، ط: الأولى، ١٤١٧هـ-١٩٩٧م.
- مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح: للعلامة علي بن سلطان القاري، دار

الفكر، بيروت-لبنان، ط: الأولى، ١٤٢٢هـ-٢٠٠٢م.

- المستدرك على الصحيحين: للإمام الحافظ محمد بن عبدالله الحاكم النيسابوري، دراسة وتحقيق مصطفى عبدالقادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، ط: الأولى، ١٤١١هـ-١٩٩٠م.

- المستفاد من ذيل تاريخ بغداد: للحافظ ابن النجار البغدادي، دراسة وتحقيق مصطفى عبدالقادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، ط: الثانية، ١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م.

- المستفاد من ذيل تاريخ بغداد: للحافظ محب الدين بن النجار البغدادي، تحقيق محمد مولود خلف، إشراف د. بشار عواد معروف، مؤسسة الرسالة، بيروت-لبنان، ط: الأولى، ١٤٠٦هـ-١٩٨٦م.

- المسك الأذفر في نشر مزايا القرن الثاني عشر والثالث عشر: محمود شكري الألوسي، تحقيق الدكتور عبدالله الجبوري، دار العلوم، الرياض- السعودية، ١٤٠٢هـ-١٩٨٢م.

- مسند أبي داود الطيالسي: تأليف سليمان بن داود الجارود، تحقيق محمد حسن محمد حسن إسماعيل، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، ط: الأولى، ١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م.

- مسند أبي يعلى: للإمام أبي يعلى أحمد بن علي بن المثنى الموصلي، حقق أصوله وخرج أحاديثه الشيخ خليل مأمون شيحا، دار المعرفة، بيروت-لبنان، ط: الأولى، ١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م.

- مسند إسحاق بن راهويه: تأليف الإمام إسحاق بن إبراهيم بن مخلد الحنظلي المرزوي، دراسة وتحقيق محمد مختار ضرار المغني، دار الكتاب العربي، بيروت-لبنان، ط: الأولى، ١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م.

- مسند الإمام أحمد بن حنبل: حقق هذا الجزء وخرج أحاديثه وعلق عليه شعيب الأرنؤوط وعادل مرشد وجمال عبداللطيف، مؤسسة الرسالة، بيروت-لبنان، ط: الثانية، ١٤٢٩هـ-٢٠٠٨م.
- مسند الإمام عبدالله بن المبارك: تحقيق صبحي البدري السامرائي، مكتبة المعارف، الرياض-السعودية، ط: الأولى، ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م.
- مسند الدارمي المعروف سنن الدارمي: للإمام الحافظ أبو محمد عبدالله بن عبدالرحمن بن بهرم الدارمي، دار ابن حزم، بيروت-لبنان، ط: الأولى، ١٤٢٣هـ.
- المسودة في أصول الفقه: للعلامة أحمد بن محمد العلاني الحراني، ضبط نصه وخرج أحاديثه وعلق عليه محمد بن رياض الأحمد، المكتبة العصرية، صيد، بيروت-لبنان، ط: الأولى، ١٤٢٨هـ-٢٠٠٨م.
- مشاهير علماء الأمصار: تأليف الإمام أبي حاتم محمد بن أحمد بن حبان البستي، وضع حواشيه وعلق عليه مجدي بن منصور بن سيد الثوري، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، ط: الأولى، ١٤١٦هـ-١٩٩٥م.
- المصنف في الأحاديث والآثار: للإمام الحافظ عبدالله بن محمد بن أبي شيبة، ضبطه وصححه محمد عبدالسلام شاهين، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، ط: الثانية، ١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م.
- المصنف: للحافظ الكبير أبي بكر عبدالرزاق بن همام الصنعاني، تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي، المكتب الإسلامي، بيروت- لبنان، ط: الثانية، ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م.
- معالم التنزيل: لأبي محمد الحسين بن مسعود البغوي، تحقيق محمد عبدالله النمر، عثمان جمعة ضميرية، سليمان مسلم، دار طيبة، الرياض-السعودية،

ط: الثانية، ١٤١٤هـ.

- معاني القرآن وإعرابه: لأبي إسحاق إبراهيم بن السري الزجاج، شرح وتحقيق د.عبدالجليل عبده شلبي، دار الحديث، القاهرة-مصر، ١٤٢٤هـ-٢٠٠٤م.
- معجم الأدباء: ياقوت الحموي، دار الفكر، بيروت-لبنان، ط: الثالثة، ١٤٠٠هـ-١٩٨٠م.
- المعجم الأوسط: للحافظ الطبراني، تحقيق الدكتور محمود الطحان، المملكة العربية السعودية-الرياض، مكتبة المعارف، ط: الأولى، ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م.
- معجم الصحابة: للحافظ أبي الحسين عبدالباقي بن قانع البغدادي، تحقيق حمدي الدمرداش محمد، مكتبة نزار مصطفى الباز، ط: الأولى، ١٤١٨هـ-١٩٩٨م.
- المعجم الصغير للطبراني: للحافظ أبي القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب، ضبط وتحقيق عبدالرحمن محمد العثمان، دار الفكر، بيروت-لبنان، ط: الأولى، ١٤١٨هـ-١٩٩٧م.
- المعجم الكبير: للحافظ أبي القاسم سليمان بن أحمد الطبراني، حقق وأخرج أحاديثه حمدي عبدالمجيد السلفي، دار احياء التراث العربي، ط: الثانية، ١٤٢٢هـ-٢٠٠٢م.
- معجم المؤلفين: عمر رضا كحالة، مؤسسة الرسالة، بيروت-لبنان، ط: الأولى، ١٤١٤هـ-١٩٩٣م.
- معجم المطبوعات العربية والمعربة: يوسف اليأن سركيس، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة-مصر.

- معجم مقاييس اللغة: لأبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، دار إحياء التراث العربي، بيروت-لبنان، ١٤٢٩هـ.
- معرفة الصحابة: تأليف أبي نعيم الأصبهاني أحمد بن عبدالله بن أحمد بن إسحاق بن مهران، تحقيق محمد حسن محمد إسماعيل ومسعد عبدالحميد السعدني، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، ط: الأولى، ١٤٢٢هـ-٢٠٠٢م.
- معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار: تأليف الإمام شمس الدين أبي عبدالله محمد بن أحمد عثمان الذهبي، تحقيق الدكتور طيار التي قولاج، استانبول، ط: الأولى، ١٤١٦هـ-١٩٩٥م.
- معرفة علوم الحديث وكمية أجناسه: محمد بن عبدالله الحاكم النيسابوري، شرح وتحقيق أحمد بن فارس السلوم، دار ابن حزم، بيروت-لبنان، ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م.
- المغني في الضعفاء: للإمام محمد بن أحمد الذهبي، عنى بطبعه ونشره عبدالله بن إبراهيم الأنصاري، إدارة إحياء التراث الإسلامي، قطر.
- مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية أهل العلم والإرادة: ابن القيم الجوزية، تحقيق د.محمد الإسكندراني وأحمد عناية، دار الكتاب العربي، بيروت-لبنان، ١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م.
- مفردات ألفاظ القرآن: للعلامة الراغب الأصفهاني، تحقيق صفوان عدنان داوودي، دار القاسم، دمشق-سوريا، ط: الرابعة، ١٤٣٠هـ-٢٠٠٩م.
- مناهل العرفان في علوم القرآن: بقلم الشيخ محمد عبدالعظيم الزرقاني، حققه واعتنى به فواز أحمد زمرلي، دار الكتب العربي، بيروت-لبنان، ط: الثانية، ١٤١٧هـ-١٩٩٦م.

• المنتخب من مسند عبد بن حميد: للإمام الحافظ أبي محمد عبدالله بن حميد، حققه وضبط نصه وخرج أحاديثه السيد صبحي السامرائي ومحمود الصعيدي، مكتبة السنة، ط: الأولى، ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م.

• المنتظم في تاريخ الملوك والأمم: لأبي الفرج عبدالرحمن بن علي بن محمد ابن الجوزي، دراسة وتحقيق محمد عبدالقادر عطا ومصطفى عبدالقادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان.

• المنهاج في شعب الإيمان: للحافظ أبي عبدالله الحسين بن الحسن الحليمي، تحقيق حلمي محمد فوده، دار الفكر، بيروت-لبنان، ط: الأولى، ١٣٩٩هـ-١٩٧٩م.

• موارد الظمآن إلى زوائد ابن حبان: للحافظ نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي، حققه ونشره محمد عبدالرزاق حمزة، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان.

• الموضوعات: للإمام أبي الفرج عبدالرحمن بن علي الجوزي، خرج آياته وأحاديثه توفيق حمدان، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، ط: الثانية، ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م.

• ميزان الاعتدال في نقد الرجال: تأليف الإمام الحافظ شمس الدين محمد بن أحمد الذهبي، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، ط: الثانية، ٢٠٠٨م-١٤٢٩هـ.

• النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة: تأليف جمال الدين أبي المحاسن يوسف بن تغري بردي الأتابكي، تحقيق الدكتور إبرهيم علي طرخان، طبعة مصورة عن طبعة دار الكتب.

• نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: للإمام برهان الدين أبي الحسن

إبراهيم بن عمر البقاعي، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة-مصر، ط: الثانية، ١٤١٣هـ-١٩٩٢م.

- نظم العقبان في أعيان الأعيان: تأليف الإمام الحافظ جلال الدين السيوطي، المكتبة العلمية، بيروت-لبنان.

- النعت الأكمل لأصحاب الإمام أحمد بن حنبل: محمد كمال الدين محمد الغربي العامري، تحقيق محمد مطيع الحافظ ونزار أباظة، دار الفكر، بيروت-لبنان، ١٤٠٢هـ-١٩٨٢م.

- نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب: للشيخ أحمد بن محمد المقري التلمساني، تحقيق يوسف الشيخ البقاعي، دار الفكر، بيروت-لبنان، ط: الأولى، ١٤١٩هـ-١٩٩٨م.

- النهاية في الفتن والملاحم: للإمام الحافظ إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي، خرج أحاديثه خليل مأمون شيحا، علق عليه محمد خير طعمه حلبي، دار المعرفة، بيروت-لبنان، ط: السادسة، ١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م.

- النهاية في غريب الحديث والأثر: للإمام مجد الدين أبي السعادات المبارك ابن محمد بن الأثير الجزري، خرج أحاديثه وعلق عليه صلاح بن محمد بن عويضة، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، ط: الثانية، ١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م.

- نيل الابتهاج بتطريز الديباج: لأحمد بابا التنبكتي، إشراف وتقديم عبدالحميد عبدالله الهرامة كلية الدعوة الإسلامية، طرابلس- ليبيا، ط: الأولى، ١٣٩٨-١٩٨٩.

- نيل الوطر من تراجم رجال اليمن في القرن الثالث عشر من هجرة سيد البشر ﷺ: تأليف محمد بن محمد بن يحيى بن عبدالله الحسني اليمني

الصنعاني المعروف بزباره، تحقيق وتعليق الشيخ عادل أحمد عبدالموجود، والشيخ علي محمد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، ط: الأولى، ١٤١٩هـ-١٩٩٨م.

• هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى: للإمام ابن القيم الجوزية، تحقيق وتخريج علي محمد دندل، دار الكتاب العربي، بيروت-لبنان، ١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م.

• هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين من كشف الظنون: تأليف إسماعيل باشا بن محمد أمين بن مير سليم الباباني أصلًا والبغدادي مولدًا ومسكنًا، اعتنى به محمد عبدالقادر عطا، دار الكتب العلمية، ط: الأولى، ١٤٢٩هـ-٢٠٠٨م.

• الوافي بالوفيات: تأليف صلاح الدين خليل بن أبيك الصفدي، تحقيق واعتناء أحمد الأرناؤوط، تركي مصطفى، دار إحياء التراث العربي، ط: الأولى، ١٤٢٠هـ-٢٠٠٠م.

• وفيات الأعيان وأنباء الزمان: لأبي العباس شمس الدين أحمد بن محمد أبي بكر بن خلكان، دار إحياء التراث العربي، بيروت-لبنان، ط: الأولى، ١٤١٧هـ-١٩٩٧م.

• يتمية الدهر في محاسن أهل العصر: لأبي منصور عبدالملك الثعالبي، تحقيق الدكتور مفيد محمد قحيمة، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، ط: الأولى، ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م.

• يقظة أولي الاعتبار (مما ورد في ذكر النار وأصحاب النار): للإمام محمد صديق حسن خان القنوجي، حققه وعلق عليه طالب عواد، دار الكتاب العربي، بيروت-لبنان، ١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م.

* * *

فِهرس الموضوعات

* * *